

بحوث ومقالات

ایمان

لکھنؤ ابراہیم کو

— 4 —

ورغبة الكسب اليسير هنا ، كما تطغى في
مياذنب أخرى .

وفي ربع القرن الأخير ازدهرت حركة
التحقيق والنشر ازدهارا ملحوظا ، وتنافس
فيها المتنافسون من حكومات وهيئات
وأفراد ، وظهرت في العالم العربي وزارات
للتراث ، ومجالس قومية لإحيائه . وبدأت
ظاهرة أخرى ، ألا وهي أن دعوات اليها تشجعنا
عليها ، وهي أن يضم تحقيق النصوص إلى
مجال البحوث الجامعية ، وهذا أخذ به
بذلك ، وفيه مافيه من غناء ومثاقفة
وتحريز وتمحيص . فتمتلئ رسائل الماجستير
والدكتوراه التي تعالج نصوصا قديمة ، وقد
اتجه الشباب الجامعي أخيرا نحو ذلك وأسهم
فيه إسهاما كبيرا . ومما يؤسف اليه أن عددا
غير قليل من تلك الرسائل قد
أولنا من أنه من الصعب على الجامعات المصرية أن تلتزم
من هذا العبء ، وأن توجه إليه أنظار دور
النشر الكبرى .

عن تراثنا زمنا طويلا ،
وقد تذبذبه إليه من قبل نفر
من كبار المستشرقين في
أجريات التمرن الماضي ، وأخرجوا منه
مراجع لا تزال عمدة في بابها . وبدأنا في
هواة نضطلع بهذا العبء منذ أوائل
هذا القرن ، وأخذ يتكون لدينا جيل من
المحققين والناشرين . ولم نعن كثيرا بتتبع
الأصول الخفية ، وأجمعوا من قضاة
واقفنا في الغالب ينسبون ملكة توفيقا لدينا ،
وأكتبنا مخطوطات واحدا ، وكان في وسعنا
أن نضم إليه مخطوطات أخرى ، ولم نلتزم
في اختصار نتيج التحقيق العلمي ،
ومع ذلك أسهمنا في إحياء تراثنا ، وظهر لنا
إنتاج أخذ ينمو على الراسي ، واضطلع به
أفراد لم يجمعنا جات من مركزنا ،
المركب القوي ، وأعادوا إنتاجنا من جديد
نشره دون إضافة أو تعديل ، ورعما شوهوه
وأساءوا إليه ، وطلعت الزعة التجارية

ولم تحظ هذه الحركة النشيطة في الجامعات وخارجها بتخطيط واضح . ولا بتنسيق شامل ، بل تركت لهوى الأفراد والجماعات . ولانكاد نلاحظ شيئا من هذا التخطيط إلا في مثلين اثنين وقف عندهما مجمعان لغويان . هما مجمع دمشق الذى عنى خاصة بالنصوص التاريخية التى تتصل بسوريا وبلاد الشام ، ومجمع القاهرة الذى وقف عند النصوص اللغوية . ووقعا تبعاً لهذا فى شئ من الازدواج والتكرار ، فإذ نشر نص واحد أكثر من مرة فى بادين أو بلاد عربية ، وتهمل نصوص أخرى لها زركها وقيمتها . وما أخرجنا أن تتوزع هذه الجهود بيننا ، وأن يرسم للتحقيق والنشر خطة شاملة تقوم على أولويات واضحة ، وفى وسع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم أن ترعى ذلك وتتعهده . وليس فى هذا ما يعجز عن حرية المحققين والناشرين ، بل هو محاولة لتوزيع الأعمال بينهم وتنفاد للجهود المكررة والضائعة .

وتراثنا واسع عريض ومتعدد الألوان ، متنوع الدراسات ، فيه أدب ولغة ، وقصص وتاريخ ، وفقه وتشريع ، وتفسير وحديث وجغرافيا ورحلات ، وعلم وفلسفة . ولم تنل هذه الدراسات حظاً متعادلاً من التحقيق والنشر ، ففيها ما عظم الإقبال عليه ، وفيها ما أهمل إهمالاً يكاد يكون تاماً . ويرجع ذلك فى الغالب إلى أن بعض الهيئات العلمية لم تحاول أن تضطلع بنصيبها ، وما أجدرها

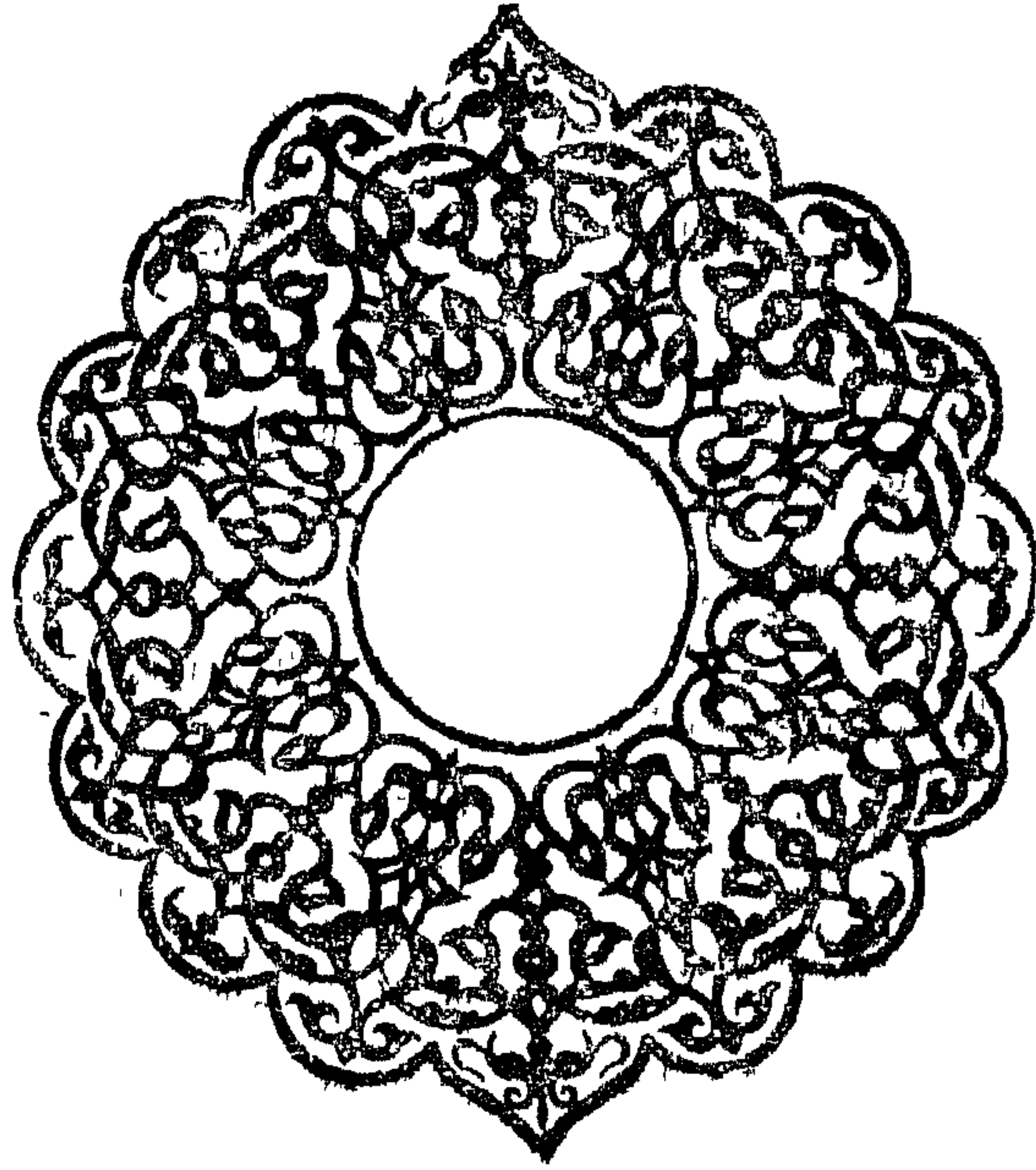
أن تفعل . فتاريخ العلوم الطبيعية والرياضية مثلاً ونصوصها قد استلقت نظر المستشرقين منذ عهد مبكر . ولم تنل منا بعد ما تستحق من عناية . ونحن فى حاجة ماسة لتتبعها والكشف عنها ، لاسيما وقد قلت عناية المستشرقين بها أخيراً ، ورب الدار أولى برعايتها .

والسبيل الحى لإحياء تراثنا ، ونشره نشرًا علمياً محققاً أن تضطلع به الهيئات المتخصصة ، وتتقاسم أعباءه فيما بينها ، فيقوم الأدباء واللغويون على نشر النصوص الأدبية واللغوية ، ويرعى الفقهاء والمحدثون أصول الشريعة الإسلامية ومراجعها ، وتضطلع الجمعيات والاتحادات العلمية والفلسفية بالخطوط العلمية والفلسفية . ولهذا التخصص أشباه ونظائر فى اللغات العالمية الكرى ، وقد آتى ثماراً طيبة . وبلغ درجة واضحة من التحديد والدقة ، فوقفت كل هيئة نفسها على عصر بذاته ، أو على مدرسة بعينها . والأمثلة على ذلك كثيرة . فذكر من بينها فى الفرنسية « مجموعة بوذية » التى عنيت خاصة بالنصوص الفلسفية اليونانية ، وفى الإنجليزية « مجموعة لويب » الكلاسيكية التى أخرجت عدداً غير قليل من مؤلفات أرسطو الطبيعية . واستطاعت مكتبتنا العربية بالجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية أن تخرج فى العشرين سنة الأخيرة قدراً لا بأس به من النصوص الفلسفية .

ومن حق إحياء التراث أن ينوره به ، وأن
تعطي عنه فكرة صحيحة للباحثين والدارسين
في العالم بأسره ، وأن ينقل منه ما ينقل
إلى اللغات الحية. وإذا كنا نحرص على أن نأخذ
عن هذه اللغات ، فإن من واجبنا أن نعطيها ،
وربما تم هذا العطاء على أيدي بعض أبناء
هذه اللغات أنفسهم ، ولكن هذا لا يعفيانا
من أداء هذا الواجب على وجهه. وقد اضطلع
به فخر من باحثينا ومبعوثينا في النصف الأول
من هذا القرن ، ثم انصرفنا عنه أخيرا ،

وضعت بيننا وسائل البذل والعطاء ، وقل
من يجيدون النقل والترجمة :
ولم يبق شيء اليوم في أن الثقافة العربية
غذبت قديما الثقافة اللاتينية والعبرية بهذاء
وفير. وامتد غذاؤها إلى عصر النهضة الأوروبية
والتاريخ الحديث ، ونريد لها أن تستعيد مجدها
وأن تسهم مع الثقافات الأخرى في ميدان الفكر
والحضارة الإنسانية

إبراهيم هادي
رئيس المجمع



حول الدراسات النحوية

للأستاذ علي النجدي ناصف

أنشأت

الدراسات النحوية في هذه الأيام، وتعددت أنواعها، وجعل أصحابها من طلاب الدراسات الجامعية ألياً يقيمون عليها كثيراً من رسائلهم التي يتقدمون بها للحصول على الماجستير أو الدكتوراه في النحو

وتدور هذه الرسائل في جملة الأمر على القول في قضايا النحو التي لها اتصال بموضوعات الرسائل، ينتقدونها، ويعرضون آراءهم فيها وما أخذهم عليها ولا يفوتهم - ولو استطراداً - أن يعرجوا على النحاة أنفسهم، ليلقوا عليهم تبعة ما أنكروا منها، وينعروا عليهم الأصول التي أقاموها عليها، والتزموا الأخذ بها . وإن كانت في رأيهم - لتخالف الذوق العربي، وليس بيننا وبين صميم اللغة في طبيعتها نسب قريب .

ولكل من كتاب إحياء النحو للأستاذ إبراهيم مصطفى، رحمه الله، وكتاب الرد على النحاة، الذي حققه الأستاذ الدكتور

شوقي ضيف، لأبي العباس أحمد بن مضاء، رحمه الله - لكل من الكتابين فضل في توجيه الدراسة النحوية الجامعية إلى هذه الوجهة، والتشجيع على المضى فيها .

ففي الكتاب الأول نقد لنظرية العامل ودراسة لعلامات الإعراب، انتهى فيها إلى أن الفتحة لا تعد منها، إلى أساليب أعقل النحاة القول فيها كما يقول . وفي الآخر نقد أيضاً لنظرية العامل وإنكار للتأويل، ولكثير من وجوه التقدير.

نعم لذين الكتابين فضل مذكور في شيوخ الدراسة النحوية، وتوسيع نطاقها على أساس من نقد النحو ومذاهب النحاة . وما هو بالفضل الهين ولا باليسير لأنه دعوه إلى التحرر في الدراسة والنقد وبعث نهضة نحوية تضع النحو في الميزان، وتقول للناس ماله وما عليه . ومن حق الباحثين في هذا الحيل أن يستجيبوا لهذه الدعوة، ويسهموا في دعم الدراسات اللغوية، كل على مقدار ما أوتي من موهبة، وورق من كفاية .

فليس تراثنا من النحو أو غيره . بمنجاة من النقد ، ولا علماءه المبرزون فيه بمعصومين من الوهم أو الغفلة ، إن كانوا معصومين من سوء الفهم وانحراف المنهج . وليس نقد هذا التراث وقفا على عصر دون عصر ، ولا هو بمباح لباحثين من أهله ، ومحرم على آخرين ، ولكنه حق ثابت لكل صالح له وقادر عليه . فليمنح شبابنا في طريقهم مزودين بدعواتنا لهم بالسداد والتوفيق ، وبالنصح الخالص والإرشاد القويم :

وأريد في هذه الكلمة — وقد قرأت كثيرا من رسائلهم في الدراسات النحوية — أن أعزز نشاطهم ، وأسبغهم في النصح لهم بما أرجو أن يبصرهم وجه الحق ، ويهديهم سواء السبيل . وليس من همي هنا أن أتناول إحياء النحو ولا الرد على النحاة بنقد أو تعقيب ، فلماذا أكتب ، ولا هو مني على بال ، ولكن الذي أريده أن أشكر لها المنهج الذي التزما اتباعه في النقد وشرح ما يذهب إليه من آراء .

لقد كنا في نقدهما موضوعيين ، لا يقولان في غير حقائق النحو التي بدا لهما أن يقولا فيها . وكان أسلوبهما في التفسير والنقد هادئا عفا ، لا أثر فيه لحدة ولا ثورة ولا انطلاق ، صنيح العلماء الراشدين ، والناقدين المنصفين . وكتب أوديلو اتبع باحثونا الجامعيون سبيلهم في النقد وعرض الرأي ، كما تأثروا بهم في محاولة الدراسة النحوية على قاعدتين من العصرية والحرية .

نعم ، كنت أود ذلك وأرتجيه ، لكن الذي رأيته ، وأسفنت له من بعض الرسائل التي قرأتها واشتركت في مناقشتها — لا يأخذ من ذلك بقليل ولا كثير ، وإنما هو السخط على النحاة ، وإرسال القلم فيهم حرا طليقا ، يصب عليهم غضبه ، ولا يتحرج من تناولهم بالذم والانتقاص ، في غير هوادة ولا رفق ، فهم في رأيهم قد جئوا على اللغة . وأفسدوا النحو بما أدخلوا عليه من فلسفه ، وما تكلفوا لمسائله من علل ، وما التمسوا له من شواهد لاحظ لها من فنية الشعر ، لا في معناها ولا في لفظها ، ثم لم تمنحهم الأمانة العلمية أن يعتمدوا فيها التحريف والافتعال ، نزولا على حكم العصبية المذهبية ، ومطابقة لنزوة العلبة والانتصار من كل سبيل .

ومن أعجب العجب أن هذا الاندفاع المتهور — لا يفرق أحيانا بين نحوى ونحوى ، ولا بين عصر وعصر ، في بعض ما يصدر من أحكام ، وما يقذف به هنا وهناك من زراية واستهزاء .

ولو أن هذه النشأة من الباحثين — تروت في النظر والدرس ، وحملت نفسها على المراجعة الواعية ، والبحث المتعمق الرزين لحففت من غلوائها ، ودأمت من تعاليها ، ولبدت لها آراء غير آرائها ، خلافا لما أو تعديلا منها .

فالفلسفة التي دخلت النحو ، وتفشيت في بنيته وأحكامه — كانت وما تزال مطلباً

عزیزاً من مطالب المعرفة العقلية ، وقد عني
 بها مختلفاء المسلمين ، وخاصة حين استبحرت
 الدولة ، ودعت ادواعى التطور والحضارة
 إلى الأخذ بأسبابها ، واجتلاب أصولها من
 الأمم التي سبقت إليها ، ومكنت لها فأعلت
 من قدرها ، وأثلت مجدها بين أمم التاريخ .
 فكان من ذلك أن طبعت العقلية الغربية
 بطابعها ، وأن تأثرت بها الحياة الفكرية فمن
 جميع جوانبها تأثراً شاملاً ، فما نزع لعلم أو فن
 إلا هو آخذ منها ، وهي عاملة عملها فيه .
 فكيف يراد النحر وحده على البراءة منها
 ويحرم عليه أن يصطبغ بصبغتها ، وينهج
 نهجها في عرض قضاياها ، ويمد يد مبادئها ،
 ومناقشة مشكلاته ، والاجتهاد للرأى فيه .
 أما إنه لو جاءنا خلوا من الفلسفة لكان فينا
 من الشواذ ، متمرداً على طبيعة الأشياء ،
 وقوانين البيئة وعملها في كل ما يشأ فيها ،
 ويحيا في ظلالها .
 وأما التماس العلة لأحكامه ، فأمر يقتضيه
 تطبع العقل البشرى إلى علم المجهول ، واستبطان
 الأسرار . ولا نكران أنها من صنع النحاة ،
 وأن العربى كان يتكلم على سجيته ، دون أن
 يعرف لوجوه الإعراب سبباً ، ولا يتيقن
 لإعلال المعتل وتصحيح الصحيح وجهها ، إنما
 هو الحس اللغوى ، أو القانون الإلهى الذى
 أودعه الله إياه ، هو الذى يجذبه الخطأ ويهديه
 إلى الصواب ، فإذا كلامه على نمط سوى
 لاختلاف فيه ولا تخلط .

والدش العربى فى الجهل بإعراب لغته
 وتصريف مفراداتها وحيداً بين خلق الله
 فى هذه الحياة ، فهناك النبات مثلاً ، يخضع
 فى نشروته ونموه ، وفى نضجته ومرضيه ، وفى
 كل شأن من شئون حياته لقوانين إلهية مقررّة ،
 لا يدرك من أمرها شيئاً ، ولم يمنع جهله
 ذاك عالم الزراعة أن يبحث فى أموره ، ويحارس
 التجارب ليكشف الأسرار الكامنة فيه .
 والإنسان فى نفسه ، والكون فى أغواره
 وسفاهه - كلاهما تحكّمه قوانين مخضع لها ،
 ولا يعلم الناس منها إلا يسيراً . والله - سبحانه
 - يدعوهم إلى النظر فيها ، واستطلاع حقائقها
 والاتعاظ بها ، وإن كثيراً منهم ليغفون غايتها
 ويجهلون فى طلبها . وهما هم أولاء يطلعون
 على الناس بجديد منها كل يوم .
 وفى العربية ضروب من المسائل والأحكام
 لها فى توجيه الإعراب ، وتصريف المفردات
 ظواهر وآثار تبدو لمن لا يعلم سرها غريبة .
 مستعلية ، فتنازع نفسه فى شوق وإلحاح
 أن يستجليها ، ويطلع طلوعها حتى إذا هبط
 إلى حقيقتها ، وأدرك مأربه منها - أبحر
 بالرضا والراحة والإطمئنان .
 من ذلك مثلاً حذف واو الجماعة من نحو
 (ولا يصدّنا) للتخلص من التقاء الساكنين
 ثم الإبقاء عليها فى نحو (اتجأونى فى الله)
 مع التقاء هنا ساكنة مع النون بعدها . ولا
 ريب أنه سيستشعر السكينة فى نفسه حين
 يعلم أن الساكن الثانى فى (يصدّنا) هو نون

التوكيد ، وهى كلمة مستقلة ، وأن الساكن الثانى فى (تحاجونى) هو نون الرفع المدخلة فى نون الوقاية ، وهى جزء أو كالجزء من بنيتها الفعل ، فالتقاء الساكنين هنا جائز ، لأنه على بابها ، كالذى فى (ولا الضالين) مثلاً (١)

ومثل آخر هو حذف همزة الوصل بعد همزة الاستفهام من الفعل فى نحو (أصطفى) ، ثم إبقاؤها مع أل فى مثل (الله) ويقتضى القياس أن تحذف من أل أيضاً لكن خوف اللبس من الحذف هو الذى استوجب الإبقاء عليها ، لأنها إذا حذفت منها فى نحو : البستان مضمرة ؟ - لم يتبين المراد بالعبارة ، إذ تحتمل أن تكون إخباراً وأن تكون استفهاماً (٢).

بل إنى لا اعتقد أن ناشئاً من التلاميذ ستفهمه الحيرة ، ويسائل نفسه إن لم يسأل معلمه إذا قال له : تقول ازدحم النادى ، وذهبت إلى النادى بسكون الياء ، وتقول : دخلت النادى بنصبها فليس بمفهوم لديه - فيما أتصور - أن يرى كلمة النادى هى هى ، وأن الياء فيها هى الياء ، ثم تسكن فى حالين وتحرك فى الثالثة . حتى إذا تبين فرق النطق بالياء مضمومة ومكسورة ، ونطقها مفتوحة ذهبت عنه الحيرة ، ولم تبق به حاجة إلى المساءلة .

إن الدعوة إلى تجريد النحو من علله ، ثم دفعه إلى الناس صناديق مغلقة ، أوقصبايا مسلمة - تعد دعوة إلى تعطيل العقل أن ينظر فى أسرار اللغة ، وهو مدعو إلى النظر فى كل شىء ، وما من شىء ألزم للمرء وألصق به من لغته ، فهى أدواته فى التفاهم والخطاب .

ولللخليل بن أحمد كلمة حكيمة شرح فيها موقفه من اللغة فى تبين عللها ، وإن لم يكن أصحابها يعلمون عنها شيئاً ، فقد سأله سائل : أعن العرب أخذت هذه العلل ، أم اخترعتها من نفسك ؟ فقال :

«إن العرب نطقت على سميتها ، وعرفت مواقع كلامها ، وقام فى عقولها علله وإن لم ينقل ذلك عنها ، وعلمت أنا بما عندي أنه علة لما علته منه . فإن أكن أحسنت العلة فهو الذى التمس ، وإن تسكن هناك علة غير ما ذكرت فالذى ذكرت يحتمل أن يكون علة ومثلى فى ذلك مثل رجل حكيم دخل داراً محكمة البناء عجيبة النظام والأقسام ، وقد صبحت عنده حكمة بانيتها بالخبر الصادق أو البراهين الواضحة ، والحجج الملائمة .

فكلما وقف هذا الرجل الداخلى على شىء منها قال : إنما فعل هذا لعله كذا وكذا . وجائز أن يكون الحكميم البانى للدار فعل ذلك للعلة التى ذكرها هذا الذى دخل الدار ، وجائز أن يكون فعاه لغير تلك العلة ، إلا أن ما ذكره هذا الرجل

(١) حاشية الحضرى على شرح ابن عقيل : ٢ : ٨٤ ، و ٨٥

(٢) الكشاف : ٢ : ٢٢٦

الداخل محتمل أن يكون علة كذلك فإن
سنحت لغيرى علة لما عللته من النحو هي أليق
مما ذكرته للمعلول فليات بها « ١١ » .

أما نقد الشواهد والنيل من قيسها الفنية ،
والطعن في سلاستها من الوضع والافتعال —
فأمور لا تخلو من التجني والتخليط . فهناك
عرف بين اختيار التراهد اللغوية واختيار
النماذج الأدبية . فتلك يدور الاختيار فيها على
جانبا اللغوى ومدى صلاحيتها لتأييد القضية
التي يجاء بها لتأييدها ، وكفى . أما هذه فيدور
الاختيار فيها على براعة النظم ، وروعة الفن ،
وجمال التصوير ؛ فلكل من النوعين
خصائصه المميزة ، ودواعيه المتنضية عند
الاختيار .

وليس ببعيد أن يجحد الافتعال أو
التغيير في العبارة سبيلا إلى بعض الشواهد
بسبب تنافس الأقران ، أو عصبية المذهب
أو الرأى ، غير أن التسليم بهذا كله على إطلاقه
أمر لا تطمئن إليه النفس ، لتعذر إثبات
صحته ، وقيام القول فيه على مجرد التظن
والارتياح ، أو على أخبار ينلب عليها في
رأى أن تكون صادرة عن منازع خاصة
لا صلة لها بالحقيقة العلمية الخالصة .

ومهما يكن من أمر فإن الشواهد المعيبة
أو المنكرة لا تعد شيئا مذكورا إلى جانب
الشواهد القويمة في فيضها الزاخر العباب . ومن
الظلم أن تؤخذ هذه الكثرة البالغة بعيب

القائه المحدوده منها وأن يحكم على الشواهد
كلها — كما يفعل بعضهم حكما واحدا ، أنها
غير صالحة ، والاستشهاد بها عمل مردود .

إن خير ما ينبغي الأخذ به في نقد النحو
أن ينظر الباحث إلى الجوانب التي يبدوله أن
فيها مجالا للنقد والدعوة إلى التغيير والإصلاح
كما ينظر إلى الظواهر التي يحق أن تدرس ،
لا إلى المعايير التي يحق أن تعاب ، لتقوم
الدراسة على أساس من البراءة والتجرد ، تقول
الحق خالصا من كل شائبة ، وتدع الحكم آخر
الأمر للنهية التي ينتهي إليها العرض الزيه ،
والتحجيس الدقيق أما النظر إليها على أنها
تعاب فيجحد حكما عليها سابقا لأوانه المقدور ،
فلا تعدو الدراسة حينئذ أن تكون تلمسا
لأسباب الحكم ، وتسويغا للطعن ، ولا تخلو
مع ذلك من التكلف والانتحال .

وعلى النحو من أكثر الموضوعات التي
يكثر فيها القول ، وتشتد بسببها حملة التشهير
والغرض من النحاة . فإذا بدا لباحث من طلاب
الدرجات العلمية الجامعية أن يدرسها دراسة
نقدية مستقلة أو ملحقة — فالرأى عندي أن
يبدأ بالنظر في كفاية النحاة لصنع النحو والتأليف
فيه ، وليسأل : أهم أهل لذلك وأصحاب أصالة
فيه ، أم هم أدعياء متخلفون ، ودخلاء
متكلمون ؟ إنه إن يفعل ذلك فسيرى منهم حشدا
عظيما من حفظة اللغة وأئمتها المتخصصين فيها .
يتتابع أعيانه بين يديه على مر الأجيال ، ومع

كل منهم شهادة إعظام وإكبار ، وثبتت من المؤلفات المتنوعة ، يسجلها له التاريخ تراثا نفيسا ، وذكرنا باقيا على الأيام :

وحسبه أن يكون إمامهم الأول وشيخهم الأكبر هو الخليل بن أحمد ، وأن يكون تلميذه الفذ هو سيبويه حامل رسالته ، وناشر علمه في كتابه العظيم ، مرجع النحو الوثيق وينبوعه الفياض . ثم ينقلب الباحث بعد هذا فيسأل : إذا كان هذا هو مبلغ النحاة من العلم والتقدم فيه — فماذا حملهم على التماس علل النحو ، وإنهم ليعلمون أن العرب لم تكن تعرفها ولا خطر لها بهال ؟ هو التريد والفضول ، أم الحكمة والسداد ؟

سيكون الجواب الذي لاجوابه غيره في شرعة الإنصاف ، ومراجعة الواقع على نور من حقائق التاريخ ، بل الحكمة والسداد . فما كان لئلهم أن يغيب ذلك عنهم ولكن لم يغيب عنهم أيضا طبيعة الإنسان ، وأنه خلق طامعة لا يسكت عن مجهول حتى يعرفه . والنحو بعد قوانين وأحكام لا يعلمها . وهو لا بد سائل عن كثير من وجوهها وعمال تشابهها فكان أن ساق النحاة إليه علل الأحكام وشواهدا . وكأنهم رأوا بحق أن هذا أشبه بكرامة الإنسان ، وأدل على الإقرار بحقه في البحث والمساءلة عن المجهول في حقيقته والأسباب المقتضية له . وأين من هذا - رضى قوانين النحو وأحكامه قضايا مفروضة ، وأوامر صادعة ، لا تقبل مناقشة ولا جدلا

لأن العرب هكذا قالتها ، ولا يملك أحد أن يرى في شئ منها رأيا ، ولأن يفترض فرضا ؟

أظن أن الباحث إذ يبلغ باب التذكي إلى هذه الغاية لا يسعه إلا أن يقر أن النحاة في التزام البحث عن علل النحو قد أحذروا صنعا وأدوا واجبا ، وأنهم لو أعرضوا عنها أو لم يهتدوا إليها — لم يعدوا في أوجح الظن إنكار منكر أو ملام لائم .

تم تتحول الباحث من هنا إلى عالم النحو المتكلمه ، فإذا هو إزاء أشكال منها كثيرة ، جهد أصحابها في انتحالها ما وسعهم الجهد . ثم جاءوا منها بعد ذلك بما ليس له قيمة تذكر ، ولا نفع يوثق . وسيرى أنها إنما ظهرت في عصور متأخرة ، وصحب تأخرها في الزمن ضعف في الحياة الثقافية لم يقتصر على النحو ، بل تسرب إلى غيره من أصناف العلوم وإلى كل جانب من جوانب الحياة العامة ، وما كان لهذا العهد أن ينجب نتاجا قويا لا تشوبه شوائب الحشو والفضول .

وربما شفع لهم أن النحو قد جاءهم صرحا شامخا ، وخلقاً متكاملا ، لا يرون فيه نقصا فيتموه ، ولا صدعا فيرأبوه ، فشغلوا أنفسهم منه بهذا اللون من التفكير المترف يبدئون فيه ويعيدون ، وجعلوا همهم في التأليف فيه أن ينقلوا من كتب السلف ، ويرووا آراءهم فيها . وكثير من الكتب التي اعتمدوا عليها في هذا الصنيع قد عدا عليه الزمن ، أو حال

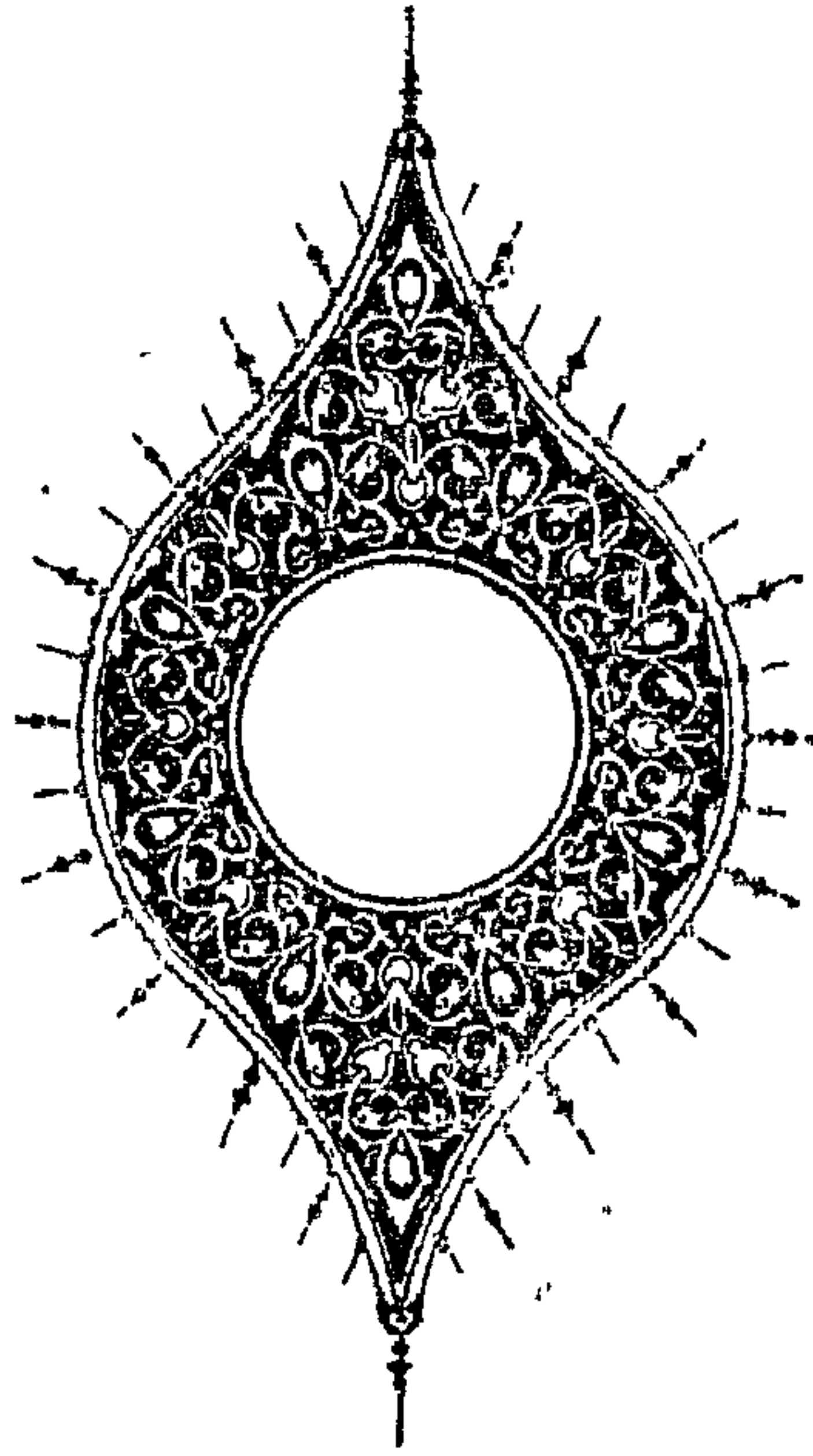
دونه النأي والاغراب . ولذا كان كثير من
النصوص التي نقلت نقيسا فيما .

أظن أن الساحت بعد هذا التطواف سينتهي
إلى حكم عادل يرتبه ويرضى عنه : أن علل
البحر عمل مشروع أصلا ومبدأ ، وأن النحويين
في توالي طبقاتهم واختلاف عصورهم
كانوا أبناء زمانهم ، طبعهم بطابعه وحملهم
على اطرائقه ، فكانوا صورة صادقة له ، وآية

بينة على فعل الأيام والأحداث بالناس ؛ لافي
أنفسهم وكفى . ولكن في آثارهم أيضا . وإذا
كان تمة ما ينكر من العلل النحوية فهو
تشقيقها والإسراف فيها ، كما ينكر من كل
عمل نافع مشروع حين لا تنهيها له أصالة الطبع
وأسباب الاعتدال والقصد :

على النجدي ناصف

عضو المجمع



الزَّبِيدِيُّ .. والزَّبِيدِيَّ

للدكتور احمد المحموني

كثيرا

ما يلتبس علينا النطق

الصحيح باسم واحد

من هؤلاء العلماء الأجلاء ، فلا ندرى
أصوابه بفتح الزاي المشددة وكسر الباء
أم بضم الزاي المشددة وفتح الباء .

فرايت أن أذكر بعض العلماء الذين
تنطق أسماؤهم وبعدها إياء النسب ، بفتح
الزاي وكسر الباء ، وأعرف بأربعة منهم ،
ثم أذكر بعض العلماء الذين يجمعون
نسبهم بضم الزاي المشددة وفتح الباء ،
وأعرف باثنين منهم .

أولا . الزَّبِيدِيُّونَ

زَبِيد على وزن أمير بلد باليمن
أنشأه محمد بن زياد المتوفى سنة ٢٤٥هـ

مولى المهدي في زمن هارون الرشيد .^(١)
أو هي مدينة أنشئت أيام الخليفة المأمون .^(٢)
وقد نسب إلى هذه المدينة عدد كبير
من العلماء

١- منهم أبو عبدالله محمد بن يحيى
القرشي اليمني الزَّبِيدِيَّ

[٤٦٠-٥٥٥هـ - ١٠٦٧-١١٦٠ م]

له نحو مئة مصنف ، منها (في النحو)
و (القوالي) و (الرد على ابن الخشاب)^(٣)

٢- أبو عبدالله عبداللطيف بن أبي بكر

ابن أحمد اليماني الزَّبِيدِيَّ [٧٤٧-٨٠٢هـ

١٣٧٤-١٤٠٠] سكن زَبِيد ومات بها .

(١) تاج العروس مادة زيد .

(٢) معجم البلدان لياقوت ٣ / ١٣١

(٣) الأعلام للزركلي ٨ / ٧

ومن مؤلفاته (شرح ملحّة الإعراب)
و (مقدمة في علم النحو) و (نظم
مقدمة ابن بابشاذ) وهي أرجوزة في
ألف بيت .^(١)

٣ - أحمد بن أحمد بن زين الدين
عبد اللطيف الشُّرجي^(٢) شهاب الدين
المعروف بالزُّبيدي ، محدث البلاد
اليمنية في عصره ، اشتهر وتوفى في
زبيد [٨١٢-٨٩٣ هـ - ١٤١٠-١٤٨٨ م]
من مؤلفاته (التجريد الصريح لأحاديث
الجامع الصحيح^(٣)) وهو مختصر صحيح
البخاري^(٣) مطبوع ، وله شرح اسمه
(فتح المبدى بشرح مختصر الزُّبيدي
للشيخ عبد الله الشرقاوي) .

ومنها (الفوائد) مطبوع ، (نزهة
الأحباب) .

وأرجح أن صاحب فتح المبدى كان
يظن أن اسم مؤلف التجريد الصريح
الزُّبيدي بضم الزاى لا بفتحها ، فسمى

كتابه فتح المبدى لتنسجم السجعة أكثر
من انسجامها لو أن الزاى مفتوحة .
ومن العجيب أننا نقرأ في أول
كتاب فتح المبدى الذى ألفه الشيخ
الشرقاوى أن بهامش هذا الشرح كتاب
التجريد الصحيح لأحاديث الجامع الصحيح
للحسين بن المبارك الزُّبيدي ، ثم نجد
هذا الكلام نفسه في الصفحة الثامنة
من الجزء الأول بالهامش وبالحاشية .^(٤)
وقد تنبه إلى هذا الأستاذ الزركلى .

٤ - مرتضى الزُّبيدي [١١٤٥-١٢٠٥ هـ -
١٧٣٢-١٧٩٠ م] أبوالفيض محمد
بن محمد الحسيى الزُّبيدي العلامة
باللغة والحديث والرجال والأنساب .

من مؤلفاته (تاج العروس في شرح
القاموس) مطبوع في عشرة مجلدات ،
(مختصر العين) في اللغة مخطوط ،
و (ألفية السند) في الحديث تشتمل

(١) الأعلام ٤ / ١٨١

(٢) نسبة إلى شرجة موضع بنو أسى مكة أصله منه .

(٣) فهرس الفهارس والأثبات ٢ / ٣٩٩ عند الحز

(٤) فتح المبدى ١ / ٨

(٥) الأعلام ١ / ٨٧

على ألف وخمسة مئة بيت ،
وشرحها^(١) الخ .

٥ - و منهم^(٢) :

موسى بن عيسى شيخ الطبراني .

٦ - محمد بن يحيى بن مهران شيخ
مسلم .

٧ - محمد بن يحيى بن علي بن المسلم
الزبيدي الزاهد نزيل بغداد .

٨ - إسماعيل بن محمد بن يحيى السابق
وهم محدثون .

٩ - عمر بن محمد بن يحيى السابق .

١٠ - مبارك بن محمد بن يحيى السابق .
وهم محدثون

١١ - الحسن بن المبارك الزبيدي

١٢ - الحسين بن المبارك الزبيدي

١٣ - يحيى المبارك الزبيدي .

١٤ - عبدالعزيز بن يحيى السابق

١٥ - أحمد بن يحيى السابق

١٦ - محمد بن يحيى السابق

١٧ - إسماعيل بن محمد بن يحيى المبارك .

١٨ - إبراهيم بن أحمد بن محمد

ابن يحيى المبارك ، حدثوا كلهم .

١٩ - أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل
الزبيدي .

٢٠ - إسماعيل بن عبد الرحمن بن إسماعيل
الزبيدي .

٢١ - إسماعيل بن الحسن بن المبارك
الزبيدي

٢٢ - أبو بكر المضرب الزبيدي

انتشر عنه مذهب الإمام الشافعي باليمن
على رأس المئة الرابعة .

٢٣ - الحسن بن محمد بن أبي عقادة
الزبيدي قاضي اليمن زمن الصليحي

٢٤ - أبو الفتوح بن عبد الله بن أبي عقادة
أوحد عصره ، نقل عنه صاحب البيان ،

وآل ببتد هم أجل بيت في زبيد ،
وذكر ابن أخي الحسن السابق .

٢٥ - عبد الله بن عيسى بن أيمن الهرمي ،
من جاعة فقهاء زبيد .

(١) الأعلام ٧ / ٢٩٧

(٢) تاج العروس مادة زيد

٢٦- علي بن القاسم بن العليف الحكمي
الزبيدي صاحب مشكلات المذهب ،
يقال إنه خرَّج من تلامذته ستين
مدرسا ، توفي سنة ٦٤٠ هـ .

٢٧- محمد بن أبي بكر الخطاب
الزبيدي تلميذ السابق .

٢٨- أبو الخير بن منصور بن أبي الخير
ابن الشماخ الزبيدي السعدي ، توفي
سنة ٦٨٠ هـ .

٢٩- أحمد بن أبي الخير السابق ، سمع
عليه الملك المؤيد داود سنن أبي داود ،
توفي سنة ٧٢٩ هـ .

٣٠- ومنهم^(١) أبو فرة موسى بن طارق
الزبيدي ، قاضيها .

٣١- أبو حمة محمد بن يوسف بن محمد
ابن أسوار الزبيدي ، كنيته أبو يوسف ،
وأبى حمة كاللقب له .

٣٢- موسى بن طارق الزبيدي .

٣٣- موسى بن عيسى الزبيدي .

٣٤- محمد بن سعيد بن حجاج
الزبيدي .

ثانيا : الزبيديون

أما زبيد علي وزن نهير فهو تصغير
زبد أو زبد ، أو كانه تصغير لهما ،
واسم فبيلة وموضع ومحلة^(٢) .

ومن المشهورين بنسبتهم إلى زبيد
عمرو بن معد يكرب بن عبد الله ، ينتهي
نسبه إلى زبيد الأصغر ، وكنيته
أبو ثور ، قدم في وفد زبيد سنة تسع
وأسلم ، وشهد الفتوح ، ثم قتل
بالقنادسية أو نهاوند .

١- ومنهم محمد بن الوليد بن عامر
الزبيدي ٧٩ - ١٤٩ هـ (٦٩٨ - ٧٦٦ م)
أبو الهذيل ، قاض من الأعلام في رواية
الحديث ، ثقة ، من أهل حمص ، أعلم
أهل الشام بالفتوى والحديث .

٢- أبو بكر الزبيدي محمد بن الحسن
بن عبد الله بن مذجج الزبيدي الأندلسي
الإشبيلي ٣١٦ - ٣٧٩ هـ (٩٢٨ - ٩٨٩ م)

(١) معجم البلدان ٣ / ١٣٢

(٢) معجم البلدان ٣ / ١٣٢ وتاج العروس مادة زبد .

شاعر ، أصل سلفه من حمص بالشام ،
وهو مؤدّب هشام بن الحكم المستنصر
بالله ، ولي قضاء اشبيلية فاستقر بها .

من مؤلفاته (الواضح) في النحو
مخطوط ، (وطبقات النحويين
واللغويين) مطبوع ، (ولحن العامة)
مخطوط ، و (مختصر العين) في
اللغة مخطوط^(١) .

٣- ومنهم محمد بن الحسين الأندلسي
صاحب القالي ، وابناه ، وهم لغويون .

ومنهم محمد بن عبد الله بن منحج
الزبيدي الإشبيلي اللغوي نزيل قرطبة^(٢) .
وبعد ، فهذه لمحة إلى طائفة من
العلماء ينتسب بعضهم إلى زبيد بفتح
الزاي ، وينتسب آخرون إلى زبيد

بضم الزاي ، وما أكثر علمائنا وأدباءنا
الذين تتشابه أَسْمَاؤُهُمْ وأَلْقَابُهُمْ وكناهم ،
وتختلط أنسابهم .

واقف أحسن الأمدى [٣٧٠ هـ]
إذ ألف كتابا عنوانه (المؤلف والمختلف
في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم
وبعض شعرهم) واعتنى بتصحيحه
وتهذيبه الأستاذ المستشرق الدكتور
فرينس كرنكو ، ونشرته مكتبة المقدسي
بالقاهرة ، ففيه نفع كبير للدارسين ،
وحفاظا على حقائق الشخصيات المدروسة .

وفي هذا وأمثاله دلالة على كلف
ملفنا العظيم بالاستيعاب والتحقيق
والتدقيق

أحمد الحوفي
عضو المجمع

(١) الأعلام ٦ / ٣١٢

(٢) تاج العروس مادة زبيد ومعجم البلدان ٣ / ١٣٢

تحقيق لسان العرب

- ١٠ -

دُرِّسَ نَزْدَ عَبْدِ السَّلَامِ هَارُونَ

١٠٠١ - (عثم) ٢٧٧ س ١٣ وببيروت ١٠٠٢ - (عجم) ٢٨٠ س ٧ وببيروت

٣٨٤ والمخطوطة ، قوله :

فقد يُقَطَّعُ السيف اليماني وجفنه
شباريقَ أعشار عُثْمَنَ على كسر
وفيه أخطاء ثلاثة :

الأول : « يُقَطَّع » ، صوابها « يَقَطَّع »
بالبناء للفاعل .

١٠٠٣ - (عجم) ٢٨٤ س ١٢ وببيروت

٣٩١ : « قال أبو داود السنجي » بالنون

والحاء المهملة ، وفي المخطوطة : « السبعي »

بالباء والحاء المعجمة ، وصوابها جميعا

« السَّنجي » بالنون بعدها جيم ، نسبة

إلى سنج ، وهي قرية عظيمة من قرى

مرو الشاهجان ، كما في معجم البلدان .

قال ياقوت : ينسب إليها جماعة من أهل

العلم ، منهم : أبو داود سليمان بن معبد

والثاني : « شباريق » بالنصب ،

صوابها « شباريقُ » بالرفع ، وهو خبر

للجفن ووصف له بأنه مقطَّع ممزَّق ،

يقال ثوبٌ شبارقٌ وشبارقٌ وشباريقٌ :

مقطَّع ممزَّق .

والثالث : « أعشار » ، الصواب فيها

« أعشارٌ » ، وهو المقطع ، كأنه قطع

على عشر قطع ، كما في مقاييس اللغة

٤ : ٣٢٦ عند إنشاد البيت .

ابن كوسيجان السنحى ، كثير الحديث ،
وله تاريخ . يروى عن عبد الرزاق بن همام
ويزيد بن هارون ، والأصمعى ، وغيرهم .
وروى عنه مسلم بن الحجاج ، وأبو داود
السجستاني . وكان عالماً شاعراً أديباً ،
مات سنة ٢٥٧

١٠٠٤ - (عجم) ٢٨٤ س ١٤ وببيروت
٣٩١ والمخطوطة ، وأنشد ابن الأعرابي
لجبيهاة الأسلمى :

فاو أنّها طافت بطنبٍ معجمٍ
نفى الرقّ عنه جذبه فهو كالح

واقصر في التهذيب ١ : ٣٩٤ على
قوله « اجسهاة » ولم ينسبه . والصواب
إن شاء الله : جبيهاة الأشجعى ، لا الأسلمى
كما فى المفضليات ١٦٧ . وليس
فى نسب « أسلم » بل هو « أشجع » .
وجبيهاة لقب له . واسمه يزيد بن حميمة
بن عبيد بن عتميلة بن فيس بن رويبة
بن سحيم بن عبيد بن هلال بن زبيد
بن بكر بن أشجع بن ريث بن غطفان
بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر

كما فى ترجمته فى الأغانى ١٦ : ١٤١
ونرح المفضليات ١٦٧

وفى البيت كذلك خطان :

الأول : قوله « بطنب » صوابها
« بطنب » بالطاء المعجمة المكسورة ، كما
فى المفضليات ١٦٨ وتهذيب اللغة ١ : ٣٩٤
و ١٤ : ٣٩٠ واللسان (ظنب) عند
إنشاد هذا البيت من قبل . والظنب :
أصل الشجرة .

والثانى : قوله « جذبه » بالذال
المعجمة ، والصواب « جذبه » بالذال
المهمل كما فى المراجع السابقة . والرق ،
بالكسر : مارق من الأعصان والورق .

وجاء أيضاً فى اللسان شرحاً لهذا
البيت فى السطر ١٦ : « والظنب :
أصل العرفج إذا انسلخ من ورقه » .
وفى المخطوطة : « والظنب » بسكون
النون بعد الطاء المهمل .

وصوابهما « والظنب » كما ذكرت
آنفا .

١٠٠٥ - (عرم) ٢٩١ ص ٦
وببيروت ٣٩٧ قول بشر بن أبي خازم :
إِنَّ الأُرية مانعٌ أرمأخنا
ماكان من سحْمٍ بها وصغار

وكذا وردت « أرمأخنا » في المخطوطة
بالنصب ، مع كتابة حاءٍ صغيرة تحت
الحاء إشارة إلى الإهمال . وصواب
ضبطها « أرمأخنا » بالرفع فاعل لمانع ،
كما في مادة (سحْم ١٧٣) ، مع
نسبة البيت إلى النابغة ، وبالرفع كذلك
ضبطت في ديوان النابغة ص ١٢٩ .

ونسبة البيت إلى النابغة هي الصحيحة
كما في الديوان ومعجم البلدان في رسم
(العريضة) وتتحقيقات ابن برى في
اللسان (عرم) ، قال : هو للنابغة
الذبياني ، وليس لبشر كما ذكر الجوهري .

١٠٠٦ - (عكم) ٣٠٠ ص ١٠ وببيروت
٤١٦ قول أبي كبير الهذلي :

أزْهير هل عن شَيْبةٍ من قَوْمِ عَكَمٍ
أَمْ لا خلود لبازل متكرم
« وزهير » : ترخيم زهيرة ، وهي بنت
أبي كبير الهذلي ذكرها في مطالع جميع

قصائده التي رويت له : منها هذا
المطلع :

أزْهير هل عن شَيْبةٍ من معدل
أَمْ لا سبيل إلى الشباب الأول
وقوله :

أزْهير هل عن شَيْبةٍ من مقصر
أَمْ لا سبيل إلى الشباب المدبر
وقوله :

أزْهير هل عن شَيْبةٍ من مصرف
أَمْ لا خلود لبازل متكلف
بالإضافة إلى ذكرها في أثناء شعره
كقوله :

أزْهير إن يصبح أبوك مقصراً
طفلاً ينوء إذا مشى للكاكل
وفي اللسان : « وزهيرة ابنته »
فيصح ضبط الراء فيها بالضم والفتح
على اللغتين .

وكلمة « لبازل » خطأ ، صوابها
« لبازل » بالذال المعجمة ، كما في
المخطوطة وديوان الهذليين ٢ : ١١١
وشرح السكري ١٠٩٠ ومقاييس اللغة
(حكم) .

والبازل : الذى يبذل ماله ، يعطيه
للناس ويوجد به ، فكأنه يبتذله ولا
يصونه .

يقول : ليس للبازل خلود كما
ليس للبخیل خلود .

١٠٠٧ - (علم) ٣١٥ س ٢٠ وبیروت
٤٢١ قوله : « والعلام : الباشق »
وضبط « الباشق » بكسر الشين بضبط
عشوائى مساوقة للمألوف من الأوزان
وإنما هو « الباشق » بفتح الشين لاغير ،
كما فى اللسان والقاموس (بشق) .
قال صاحب اللسان : « اسم طائر ،
أعجمى معرب » . وقال صاحب القاموس :
« وكهاجر : طائر ، معرب باشه »
وكذلك فى معجم استنبجاس ١٤٧ .
مادة (باشا) وذكر أنه نوع من الصقور
كما يطلق على الصقر .

١٠٠٨ - (علم) ٣١٧ س ١٩ وبیروت
٤٢٣ والمخطوطة ، قول لبید :

بكرت بها جُرشيّة مقطورة
تُرَوى المحاجر بازلّ علكوم

والصواب « بكرت به » كما فى ديوان
لبید ١٢٢ واللسان نفسه (حجر ، قطر)

والضمير فى « به » عائد إلى « غرب »
فى بيت قبله ، وهو :

فصرفت قصراً ، والشئون كأنها
غربٌ تحثُّ به القلوُصُ هزيمٌ
قصراً ، أى عشياً . أى صرفت ناقتى
فى هذا الوقت وعدلتها . والشئون : مجارى
الدمع . والغرب : الدلو العظيم . تحثُّ
به : تسرع . هزيم : متشقق . يقول
بكرت بك القلوُصُ بذلك الغرب
تنتزعه من البئر لاستخراج الماء . وفى
اللسان (حجر ٢٤١) نقلًا عن ابن برى
« والهاء فى « به » تعود على غرب
تقدم ذكرها » .

١٠٠٩ - (عم) ٣٢٠ س ٤ وبیروت
٤٢٥ والمخطوطة كذلك ، قول العجاج :

* وفيهم إذ عُمّ المعمم *

وصوابه « المعتم » كما فى ديوان

العجاج ٤٢٤ والمقاييس ٤ : ١٧ .

والشطر من أرجوزة هى من مشطور
السريع لامن مشطور الرجز ، وأولها :
أبل لو شهدت الناس إذ تُكُموا
بقدرٍ حُمّ لهم وحموا
يذكر فيها قتل مسعود بن عمرو العنكى .

١٠١٠ - (غزم) ٣٣٠ س ١٦ وببيروت
٤٣٥٤ في تفسير قول شُقران مولى سلامان :
ثقال الجفان والحلوم رحاهم
رحى الماء يكتالون كيلا غذمذا

فسر كلمة « غذمذا » بقوله : « يعنى
جرافاً » . بالزاي . والجراف : بيعك
الشيء واشترأؤكه بلا وزن ولا كيل .
وهذا لا يستقيم مع ذكر كلمة « كيلا »
في البيت ، فكيف يتسق الكيل مع عدم
الكيل . فالصواب « جرافاً » بالراء المهملة
كما هو في المخطوطة ومقاييس اللغة ٤ :
٢٥٨ . وفي المقاييس في تفسير الغذمذم :
« قال الخليل : وهو الجراف » . والجراف
بالض والكسر : ضرب من الكيل .

١٠١١ - (غشم) ٣٣٤ س ٨ وببيروت
٤٣٨ قول الشاعر :

قتلنا ناجياً بقتيل عمرو
وجو الطالب الثرة الغشوم
وموضع البيت في المخطوطة مقطوع
لا يظهر منه شيء . وليس للبيت على
هذا الوجه معنى ظاهر . والذي في المحتسب
لابن جني ٢ : ٨٠ وشرح القصائد السبع
الطوال لابن الأنباري ص ٣٦ :
* وخير الطالب الثرة الغشوم *

أنى به شاهدا على حذف نون الجمع
في اسم الفاعل الناصب لما بعده . كما
في قوله تعالى : « والمقيم الصلاة » في
قراءة الحسن وابن أبي إسحاق ، كما
رويت هذه القراءة عن أبي عمرو .

١٠١٢ - (غم) ٣٣٩ س ٢٣ وببيروت
٤٤٣ والمخطوطة كذلك ، قول أوس
يذكر ابنه شريحاً :

على حين أن جدّ الذكاء . وأدركت
قريحة حسي من شريح مغم
يفخر بأن أحداً من الشعراء لن
يستطيع مجاراته في الشعر بعد ما انتهت
سنه واستحكم ، وبعد ما قال ابنه شريح
الشعر عزيزاً لا ينقطع . والحسي المغم
بكسر الميم المشددة : الغامر المغطى .
شبه شعر ابنه شريح بالماء الغامر
لا ينقطع . فالصواب ضبط « مغم »
بكسر الميم المشددة ، كما هو ضبط
اللسان . وفي القاموس : « وبحر مغم
كمحدث : كثير الماء » .

١٠١٣ - (فطم) ٣٥٢ س ٣ وببيروت
٤٥٤ والمخطوطة قول كعب بن زهير في
في صفة ذئب :

وإن أغار فلم يحلوا بطائله
 في ليلة من حمير لساور الفطما
 والصواب « فلم يحل » كما في ديوان
 كعب ٢٢٦ . يقال ما حلّ منه بشيء ،
 أي لم يصب ولم يظفر . وقد أنشده ابن
 منظور في (جمر) برواية « ولم يظفر » .
 وفي البيت خطأ آخر ، وهو « في ليلة
 من حمير » ، وما للحمير والليالي ؟ !

إنما هي : « في ليلة ابن جَمِير » . وابن
 جَمِير . هلال الليلة التي يستسرف فيها القمر
 ولا يظهر . وهما ليلتان يقال لهما ابنا
 جمير ، يختفي فيهما القمر . يقول :
 إذا لم يصب هذا الذئب في تلك الليلة شاة
 ضخمة واثب هذه الفطم من الشاء .

١٠١٤ - (نغم) ٣٥٤ س ١٧ وببيروت
 ٤٥٦ والمخطوطة كذلك ، قول هدبة بن
 خشرم :

والله لا يشقى الفؤاد الهائم
 تماحك اللبّات والمآ كما

ووردت « تماحك » في المخطوطة مهمة
 الصبغ . وكلاهما خطأ ، صوابه :
 « تماحك » كما في الأغاني ٢١ : ١٧١

والخزانة ٤ : ٨٥ والشعر والشعراء ٦٧٢ .
 والتّمساح ، بالفتح : تفعال من التمسح ،
 وهو إمرار اليد على الشيء . والرواية
 في نوادر المخطوطات ٢ : ٢٥٦ : « تماكك » ،
 ١٠١٥ - (فوم) ٣٥٨ س ٢ وببيروت
 ٤٦٠ والمخطوطة أيضاً : « وأزد السّراة
 يسمون السّنبل فوما » . والصواب :
 « أزد السّراة » بالسّين المهملة المفتوحة ،
 وهي جبال مطلة على تهامة

ويقال أزد شنوة ، وأزد عُمان ، وأزد
 السّراة ، تسمية بمواضعهم وببلادهم التي
 يحتلونها . وأزد شنوة أصح الأزد أصلاً
 وفرعاً . انظر اللسان (أزد ، شنأ) .
 وفي معجم البلدان : (شنوة : مخلاف
 باليمن تنسب إليه قبائل من الأزد ،
 وفيهم يقول النجاشي الشاعر :

وكنْتُ كذى رجلين رجل صبيحة
 ورجلٍ بها ريبٌ من الحدثان
 فأما التي صحت فأزد شنوة
 وأما التي شئت فأزد عُمان

١٠١٦ - (قتم) ٣٥٩ س ٨ وببيروت
 ٤٦١ وكذلك المخطوطة ، قوله :
 * كما انقضّ باز أقتم اللون كاسر *

والبيت معروف للفرزوق من قصيدة
موصولة الروى بالهاء كما يقول العروضيون
وهي في ديوانه ٢٥٥ مطلعها :
ألا من ليشوقٍ أنت بالليل ذا كره
وإنسان عيني ما يغمض عاثره

فصواب الرواية «كاسره» كما في
الديوان وتهذيب اللغة ٩ : ٦٦ . وصدره
في الديوان ٢٦١ :
* هما دلتاني من ثمانين قامة *

١٠١٧ - (قدم) ٣٦٧ س ١٧ وببيروت
٤٦٨ والمخطوطة أيضاً ، قول الراجز :

إن نطق القوم ففانت ضيَّاب
أو سكَّت القوم ففانت قبَّاب

والضيَّاب : الخيار والخالص من
كل شيء . وهو إنما يهجو الرجل ففانني
له المدح . وصواب الرواية : « ففانت
خيَّاب » ، كما في اللسان (خيب)
ومجالس ثعلب ٦٦٢ . ورواية المجالس
للشطر مقروناً بشطر آخر :

اسكت ولا تنطق ففانت خيَّاب
كلُّك ذو عيب وأنت عيَّاب

وفي اللسان (خيب) : « يجوز أن
يكون فعَّالاً من الخيبة ، ويجوز أن يعنى

به أنه مثل هذا القداح الذى لا يُورى .
وهو أحد تفسيري الخياب ، يقال للقداح
وهو حجر القدح ، إذا لم يُورِ أى لم
يخرج ناراً . ويقال لهذا الحجر أيضاً
قداحة بالتأنيث .

١٠١٨ - (قدم) ٣٦٨ س ٢ وببيروت
٤٦٩ : « وامتشطت المرأة المُقدمة بكسر
الدال لا غير ، وهو ضرب من الامتشاط .
فلو كان تشديد الدال مقصوداً لنص
عليه . والوجه «المقدمة» بسكون القاف
وكسر الدال فقط ، كما في المخطوطة
والتهذيب ٩ : ٤٧ .

١٠١٩ - (قسم) ٣٨٠ س ٢٣ وببيروت
٤٨٠ قوله :

تُقَسِّم مافيها فإن هي قسَّمت
فذلك وإن أكرت فعن أهلها تُكرى

وكذا وردت « تقسِّم » في التهذيب
١٠ : ٣٤٣ والأضداد لابن الأنباري ٨٢
وفي المخطوطة « يقسم » وتصحح إن قرئت
بالبناء للمفعول . ، وكذا وردت روايته
بالياء في اللسان (كرا ٨٦) . والذي في
شرح المرزوق للحماسة ١٦٥١ « نقسِّم »
بالنون ، كما في إصلاح المنطق ٢٤٣

والأضداد لابن السكيت ١٨٢ .

وأراه الوجه في الرواية . وفي ديوان
الأعشى ٢٩٩ نسبته إلى الأسود
ابن يعفر ، وهو أعشى نهشل .

والبيت في صفة قدر الطعام . قُسمت
عمت في القسم وأجزأت . وأكرت : نقصت
والضمير للمدر .

١٠٢٠-٣٨٧ س ١٩ بيروت ٤٨٦

والمخطوطة . قول الراجز :

ناتت تعشى الليل بالقصيم

لبابة من همق عيشوم

وصوابها « لبابة » كما في اللسان

نفسه (لي) . وقد سبق التنبيه على

ذلك في التحقيق رقم ٧٤٨

١٠٢١- (قطم) ٣٩٠ س ٢٣ وبيروت

٤٢٩ والمخطوطة أيضاً ، قول أبي وجزة :

وخائف لحم شاكا براشته

كأنه قاطم وقفين من عاج

وصواب « لحماً » بالنصب ، كما

في التهذيب ٩ : ١٤ والمعاني الكبير ٢٨٥ .

وفي أساس البلاغة بلفظ « أوخائف لحماً »

واللحم ؛ الشديد الشهوة للحم ، صفة

للصقور والبزاة ونحوها .

وأما « براشته » فصوابها « برائنه »

كما في التهذيب ، والمعاني الكبير ،
والأساس . وبذلك صححت في طبعة بيروت .

والبرائن : جمع برثن ، وهو المخلب .

والبيت في صفة البازي كما ذكر
ابن قتيبة . والوقف : السوار . شبه
حدبتي منقاره بالوقفين من العاج في
لونيهما وتقوسهما .

١٠٢٢- (قلم) ٣٩٢ س ١٧ وبيروت

٤٩١ والمخطوطة :

لما أتيتم فلم تنجوا بمظلمة

قيس القلامة مما جزه القلم

ويروى أيضاً « الجلم » كما في اللسان

والتهذيب (جلم) ، فليست القلم خطأً

كما يُظن ، قال الأزهري : « وكلُّ

يروي » ، أي بالقاف وبالجيم .

وضبطت « أتيتم » في التهذيب ١١ :

١٠١ « أتيتم » بالبناء للمفعول ،

وأراه الوجه .

١٠٢٣- (قلزم) ٣٩٣ س ٢٣ وبيروت

٤٩٢ والمخطوطة ، قول الشاعر :

ولا ذى قلازم عند الحياض أـ

إذا ما الشريب أراد الشريباً

وصوابه « أَرَابَ الشُّرَيْبَا » كما في
البيان للجاحظ ١ : ٥٧ ، أى حدث
بينهما ما يستوجب الريبة .

والقلازم . كما ذكر الجاحظ في البيان
هى كثرة الصياح . ولم يعرف صاحب
المحكم هذا التفسير .

١٠٢٤ - (قوم) ٤٠٠ س ١٩ وببيروت
٤٩٨ والمخطوطة كذلك ، في تفسير قوله
تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ
اسْتَقَامُوا » ، وهى الآية ٣٠ من سورة
فصلت و ١٣ من الأحقاف . جاء :
« وقال الأسود بن مالك : ثم استقاموا
ولم يشركوا به شيئاً . وقال قتادة استقاموا
على طاعة الله » .

وهذا النص مقتبس من التهذيب
٩ : ٣٥٨ وصوابه « الأسود بن هلال .
والأسود بن هلال هذا له إدراك . ذكره
ابن حجر في الإصابة ٤٥٦ . وكان الأسود
جاهلياً ، وأدرك النبي صلى الله عليه وسلم ،
وله ذكر في تاريخ البخارى . وقال
ابن سعد : مات زمن الحجاج . وذكره
ابن حجر أيضاً في تهذيب التهذيب
١ : ٣٤٢ وقال : روى عن معاذ بن جبل ،

وعُمَر ، وابن مسعود ، والمغيرة ،
وأبى هريرة . وروى عنه أشعث بن
أبى الشعثاء ، وأبو حصين ، وأبو إسحاق
السبيعي ، وإبراهيم النخعي وغيرهم .

١٠٢٥ - (قوم) ٤٠٠ س ٢١ وببيروت
٤٩٨ والمخطوطة أيضاً ، قول كعب
بن زهير :

فَهُمْ صَرَفُوكُم حِينَ جَرْتُم عَنِ الْهُدَى
بِأَسْيَافِهِمْ حَتَّى اسْتَقَمْتُمْ عَلَى الْقِيَمِ
أى الاستقامة . وصوابه « حين جرتم »
بالجيم ، أى عدلتم عنه ، كما في ديوان
كعب بن زهير ٦٧ وكما هو في تهذيب
اللغة ٩ : ٣٥٨

وورد على هذا الصواب في مادة (قوم)
من اللسان ص ٤٠٦

ولا يقال جاز عن الهدى ، وإنما يقال
جار الرجل عن الطريق . كما يقال عدل
عن القصد . وانظر اللسان وأساس البلاغة
(جور) .

١٠٢٦ - (قوم) ٤٠١ س ٢٤ وببيروت
٤٩٩ قول لبید :

أَفْتَلَكْ أُمَّ وَحْشِيَّةً مَسْبُوعَةً
خَذِلْتَ وَهَادِيَةَ الصُّوَارِ قِيَامُهَا

وفال التبريزي : تأخّرت عن القطيع
وأقامت على ولدها .

وفي اللسان : خذلت الظبية والبقرة
وغيرهما من الدواب ، وهي خاذل وخذول
تخلفت عن صواحبها وانفردت .
وفي التهذيب : الخاذل والخذول من الظباء
والبقر : التي تخذل صواحبها وتنفرد
مع ولدها .

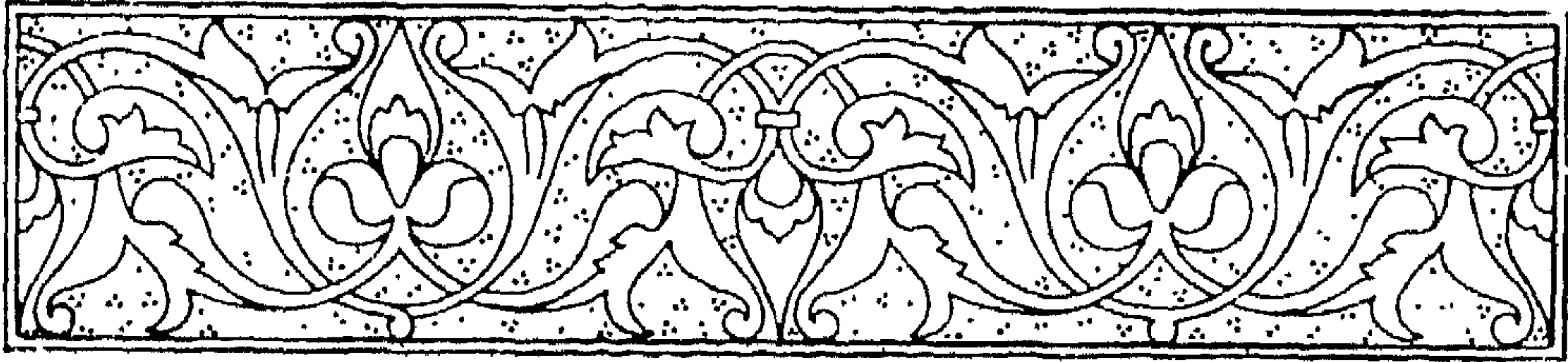
فضبط الكلمة بالبناء للمفعول من
صنيع ناشري اللسان لامن خطا ابن منظور .

عبد السلام محمد هارون
عفو الخيع

ولم تضبط كلمة « خذلت » في
المخطوطة ، ووجه ضبطها « خَذَلْتُ »
بالبناء للفاعل لا المفعول ، كما هو ضبط
الديوان ٣٠٧ والمعلقات بشروحها لابن
الأنباري وابن النحاس والزوزني والتبريزي .
قال ابن الأنباري : خذلت : تأخّرت
عن القطيع ، ومثله خذرت . يريد خذلت
أصحابها من الوحش وأقامت على ولدها
ترعى قرّبه .

وقال ابن النحاس : خَذَلْتُ : تخلّفت
عن صواحبها .

وقال الزوزني : خذلت ولدها وذهبت
ترعى مع صواحبها .



طَرْفٌ من الأدب واللغة للدكتور أحمد عمار

- ٤ -

لا تتسع لنا . فقال له الخليل : ما تضايق
سمُّ الخياط لمُحِبِّين . ولا اتَّسعت الدنيا
لمتباغِضِينَ .

وقال الشاعر في ذلك :

صَيَّرَ فؤادك للمحِبِّوبِ منزلة
سمُّ الخياط مجالَ المحبِّيبِينَ
ولا تسامِحْ بغِضًا في معاشره
فقلِّمًا تَسَعُ الدنيا بغِضِّينِ

* * *

حَرَّقَ سِوَى قَلْبِي ودَعَاهُ .. فَإِنِّي
أَنحَشِي عَلَيْكَ .. وَأَنْتَ فِي سُدَائِهِ
(التهامي)

- -

أَذَكَيْتَ فِي قَلْبِي بِنَأْيِكَ لَوْعَةً
حَتَّى نَخَشِيتُ عَلَى مَحَلِّكَ فِيهِ
(ابن حزم)

أَحَبُّ الْعَرَبِ لثَلَاثَ : لِأَنِّي عَرَبِي ،
وَالْقُرْآنَ عَرَبِي ، وَلِسَانَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِي
الْجَنَّةِ عَرَبِي .

(حديث شريف)

* * *

أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ ، وَبَشَرِي أَخِي
عِيسَى .

(حديث شريف)

* * *

تَعَلَّمُوا اللُّغَةَ فَإِنَّهَا مِنْ دِينِكُمْ .
(عمر بن الخطاب)

* * *

دَخَلَ عَلَى الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ بَعْضُ
إِخْوَانِهِ ، وَهُوَ عَلَى نُمْرُقَةٍ صَغِيرَةٍ ، فَرَحَّبَ
بِهِ ، وَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَيْهَا ، فَقَالَ : إِنَّهَا

(حلفتُ محلوفة ، أى أقسمت قسماً ،
وحلفتُ محلوفاً ، أى حلفاً) .

(اللسان)

* * *

ماله هارب ولا قارب :

أى ماله بغير يصدر عن الماء ، ولا بغير
يقرب الماء .

أو ليس له أحد يهرب منه . ولا أحد
يقرب منه ، أى ليس هو بشئ .

(اللسان)

* * *

مرَّ عمر بن الخطاب بقوم يرمون
السهم فلم يُصيبوا المرمى فقرَّعهم ،
فقالوا : نحن قوم متعلِّمين . فقال :
والله لخطوكم فى لسانكم أشدَّ علىَّ من
خطثكم فى رميكم !!

* * *

ذكر المغيرة بن شعبة عمرَ بن الخطاب
فقال : كان والله أفضل من أن يخذع ،
وأعقل من أن يُخذع .

* * *

إِنْ يَأْخُذَ اللَّهُ مِنْ عَيْنِي نَوْرَهُمَا
فَنِي لِسَانِي وَسَمْعِي مِنْهُمَا نَوْرُ

قَلْبُ ذِكِّي وَعَقْلٌ غَيْرُ ذِي خَطَلٍ
وَفِي فَمِي صَارِمٌ كَالسِّيفِ مَأْثُورُ
(أَبوالعيناء)

* * *

نَارُ الرَّوْيَةِ نَارٌ جِدٍ مَنْصُجَةٌ
وَاللَّسِيَّةُ نَارٌ ذَاتُ تَلْوِيحٍ
وَفَدٌ يُفَضِّلُهَا قَوْمٌ لِسَرْعَتِهَا
لَكِنَّهَا سُرْعَةٌ تَمْضِي مَعَ الرِّيحِ
(ابن الرومى)

* * *

وَكُنْ فِي الطَّرِيقِ عَفِيفَ الْخَطَا
شَرِيفَ السَّمَاعِ ، كَرِيمَ النَّظَرِ
وَكُن رَجُلًا إِنْ أَتَوْا بَعْدَهُ .
يقولون : مرَّ .. وهذا الأثرُ
(شوقي)

* * *

ما جاء من المصادر على وزن « مَفْعُول » :
المَيْسُور ، والمعْشُور ، والمعْقُول ،
والمَجْلُود ، والمَحْلُوف .

لر لم يقد حَقَقاً يوم الوغى لَعَدَا
من نفسِه وحدها في جَعْفَلٍ لِحِب
(أبو تمام يمدح المعتصم)

* * *

لكلُّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُفُصَادُ
فلا يُغَرُّ بطيب العيش إنسان
هي الأمورُ كما شاهدتها دُولُ
مَنْ سَرَّهَ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَزْمَانُ
وهذه الدارُ لا تُبْقَى على أَحَدٍ
ولا يَدُومُ على حالٍ لها شَانُ
(أبو الطيب الرندي صاحب المراثية
الأندلسية الشهيرة)

* * *

إِذَا بَدَلُ لَصْدِيقِكَ دَمَكُ وَمَالُكَ ، وَلِمَعْرِفَتِكَ
رَفَاكَ وَمَحْضَرِكَ ، وَلِلْعَامَةِ بِشْرِكَ وَتَحَنُّنِكَ
وَلَعَدْوِكَ عَدْلِكَ وَإِنْصَافِكَ ، وَاضْمِنْ بِدِينِكَ
وَعَرْضَكَ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ .

(عبد الله بن المقفع)

* * *

مَنْ أَثْنَى عَلَى نَفْسِهِ فَقَدْ أَظْهَرَ حُمَقَهُ .

* * *

التمسك بالغرور كالمقتبس من ضوء
البرق الخاطف .

* * *

إِذَا سُئِلَ غَيْرُكَ فَلَا تَجِبْ ، فَإِنْ ذَلِكَ
استحفاف بالسائل والمسؤول .

* * *

أَبَى لِي إِغْضَاءُ الْجَفُونِ عَلَى الْقَدَى
يَقِينِي إِلَّا عُسْرَ إِلَّا سِفْرَجٍ
إِلَّا رُبَّمَا ضَاقَ الْفَضَاءُ بِأَهْلِهِ
وَأَمَكُنْ مِنْ بَيْنِ الْأَسِنَّةِ مَخْرَجٍ
(محمد بن وهيب)

* * *

كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَمْرٍ يَقُولُ لِبَعْضِ
أَبْنَائِهِ حِينَ يُؤَلِّمُونَ الْأَغْنِيَاءَ
« تَدْعُونَ الشُّبَاعَ ، وَتَدْعُونَ الْجِياعَ » !!

* *

قال بعض الأدباء

كنتُ بمجلس بعض الأمراء في بغداد ،
وبين يديه طبق به لوز ، فدخل عليه أحد
الظرفاء ، فقال : أيها الأمير . ما هذا ؟
فرمى إليه بواحدة . فقال : ثاني اثنين ،
فرمى إليه بثانية ، فقال : فعزّزنا بثالث

مالك أن حذفه هو الأغلب . ويرى مجمع
اللغة العربية بالقاهرة إجازة ظهور الكون
العام دفعا للبس ، وإيضاحا للمعنى .
ومن أمثلة ظهور الكون العام قوله تعالى :
« فلما رآه مستقرا عنده » .

وقول الشاعر :

لك العزُّ إن مولاك عزٌّ ، وإن يهنُ
فأنت لدى بُحْبُوحَةِ الهونِ كائنُ

* * *

التفطير (والتفطير) والتعاشيب ،
والتعاجيب ، وتباشير الصبح . مجموع
لا واحد لها .

والتفطير : أول نبات الوسمي ، وهو
أول مطر الربيع .

وبشرٌ يخرج في وجه الغلام والفتاة .
يقال : تفطير النيات ، وتفطير
الشباب ، وتعاشيب الأرض ، وتعاجيب
الدهر ، وتباشير الصبح .

* * *

هو وهي :

همدان يُشَدُّون الواو والياء .

فأعطاه ثلاثة ، فقال : فخذ أربعة من
الطير ، فألقى إليه أربعة ، فقال : خمسة
سادسهم كآبهم . فدفع إليه خامسة .
فقال : في ستة أيام ، فجعلها ستة ،
فقال : سبع سماوات طباقا ، فصيرها
سبعاً . فقال : ثمانية أزواج ، فرمى إليه
الثامنة . فقال : وكان في المدينة تسعة
رهط ، فرمى إليه بالتاسعة ، فقال :
تلك عشرة كاملة ، فأكملها بعاشرة .
فقال : أحد عشر كوكبا ، فأعطاه
الحادية عشرة . فقال : إن عدة الشهور
اثنا عشر شهرا ، فأكمل له اثنتي عشرة .
فقال : إن يكن منكم عشرون صابرون ،
فدفع إليه العشرين . فقال : يغلبوا
مشتين ، فأمر برفع طبق إليه ، وقال :
كل ، قاتلك الله ولا أشبع بطنك !! .
فقال الرجل : والله لو لم نفعل ذلك
لقرأت لك : وأرسلناه إلى مئة ألف
أو يزيدون .

* * *

الكون العام :

يرى جمهرة النحاة أن حذف الكون
العام واجب ، ويرى ابن جنى وابن

قال الشاعر :
وإنَّ لسانِي شُهْدَةٌ يُشْتَفَى بِهَا
وَهُوَ عَلَى مَنْ صَبَّهَ اللَّهُ عِلْقَمُ

وقال آخر :
والنفسُ ما أُمِرَتْ بالعنفِ آبية
وهيَّ إن أُمِرَتْ باللففِ تأنمُ
وروى الكسائي عن بني أسد ونميم
وقيس :

« هُوَ فَعَلَ ذَلِكَ » بِإِسْكَانِ الْوَاوِ .

* * *

إِذَا عَنِيتُ لَشَاؤُ قُلْتُ إِنِّي قَسِدُ

أَدْرَكَهُ .. أَدْرَكْتَنِي حَرْفَةُ الْأَدَبِ
(أبو تمام)

* * *

أَغْرَبُ الْغُرَبَاءِ مَنْ صَارَ غَرِيبًا فِي -
وَطَنِهِ !!

(أبو حيان التوحيدى)

* * *

« أَنْتُمْ إِلَى أَمِيرٍ فَعَّالٍ أَحْوَجُ مِنْكُمْ إِلَى
أَمِيرٍ قَوَّالٍ » .

قالها عثمان بن عفان رضى الله عنه ،
وقد أُرْزِجَ عَلَيْهِ لما أَرَادَ الْخُطَابَةَ بِعَدَمِ بَيَاعَتِهِ
بِالْخِلَافَةِ .

أَمَّا ثَابِتُ بْنُ قُطْنَةَ فَقَدْ وَلَّاهُ الْمُهَلَّبُ بْنُ
أَبِي صُفْرَةَ (وَالى خُرَاسَانَ) بَعْضُ كُورِ
خُرَاسَانَ ، فَصَعِدَ الْمَنْبِرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ،
وَرَامَ الْكَلَامَ فَتَعَذَّرَ عَلَيْهِ وَحَصَرَ ، فَنَزَلَ
وَهُوَ يَقُولُ :

فَإِنْ لَمْ أَكُنْ فِيكُمْ خُطِيبًا فَإِنِّى
بَسِيفِى إِذَا حَجَّدَ الْوَعْدِى لَخَطِيبُ
فَقِيلَ لَهُ : لَوْ قُلْتَ هَذَا الْبَيْتَ عَلَى
الْمَنْبِرِ لَكُنْتَ أَخْطَبَ النَّاسِ !!

* * *

يَا رَبِّ عَفْوِكَ .. إِنِّى فِي مَعْشَرٍ
لَا أَبْتَغِى مِنْهُمْ سِوَاكَ مَلَاذًا
هَذَا يُنَافِقُ ذَا ، وَذَا يَغْتَابُ ذَا
وَيَسِبُ ذَا ، وَيَشْتُمُ ذَا ذَا
(محمد الفروخى)

* * *

« وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا
رَبِّى نَسْفًا » .

كُلُّ مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ -
« وَيَسْأَلُونَكَ » أَوْ « يَسْأَلُونَكَ » جَاءَ

بعده « قل » بغير فاء ، إلا في هذه الآية
لأنها كانت أسئلة تقدمت ، سألوا عنها
النبي - صلى الله عليه وسلم - فجاء الجواب
بغير فاء .

ولكن هذا السؤال عن الجبال لم يسأله
عنه بعد ، والمعنى هنا : إن سألك عن
الجبال فقل ، فتضمن الكلام معنى
الشرط

(تفسير القرطبي)

* * *

يقال : « مرّحي » لمن أصاب ،
و « برّحي » لمن أخطأ

* *

من ترك قول : « لا أدري » أصيبت
مقاتله .

(الإمام مالك)

* * *

استح من الله أن تسأل ما تحب
وأنت تأتي ما يكره .

* * *

كان لأبي الأسود الدؤلي دار بالبصرة ،
وكان له جار لا يكف عن أذاه ، فلم يجد
أبو الأسود علاجاً خيراً من أن يبيع داره
ويستبدل بها داراً أخرى ، فقبل له : أبعث
دارك يا أبا الأسود ؟ فقال : بل بعت
جارى !

فأرسلها مثلاً

* * *

« ما استغنى مستند برأيه ، وما هلك
أحد من مشورة » .

(حديث شريف)

« ما تشاور قوم قط إلا هُدوا لأرشد
أمرهم » .

(حديث شريف)

أحمد عمار

نائب رئيس المجمع



محرر النحر :

قول في خبر كان

للاستاذ محمد شوقي أمين

والنوع الثالث : ما هو صلة لما الوقتية وهو الفعل : دام .

ويذكر النحاة أن « كان » تجي ناقصة ، لا تدل على حدث ، بل تفيد الزمان مجرداً ، فتدخل على المبتدأ والخبر لإفادة زمان الخبر ، أى اتصاف الاسم بالخبر في الماضي . وأنها تجيء تامة أيضاً بمعنى وقع ، ووُجد .

وكذلك يذكرون أن « صار » معناها الانتقال والتحول ، وقد تكون بمعنى جاء ، وتتعدى بحرف الجر . فيقال : صار زيد إلى عمرو .

أما أصبح وأمسى وأضحى ، فلها معان ثلاثة : إفادة زمانها في الخبر ، وأن تكون تامة لا تحتاج إلى منصوب ، وأن تكون بمعنى صار .

وأما طل وبات فلهما معنيان : اقتران مضمون الجملة بالوقت ، وأن يكون كل منهما بمعنى صار .

١ - يعقد النحاة في تنظيمهم للأحكام باباً يسمونه « كان وأخواتها » ، أو « الأفعال الناقصة » ، أو « الأفعال الناسخة » ، ويعنون بالنسخ فيها أنها تحدث تغييراً في الجملة التي تدخل عليها ، فترفع الاسم وتنصب الخبر ، كما يعنون بنقصها أن كل فعل منها يدل على معنى ناقص لا يتم إلا بمنصوب - فليس شأنها كشأن الأفعال التامة التي يكمل معناها بالفاعل المرفوع بها . فالأمر كما يقول « الزمخشري » في « المفصل » : « ما لم يأخذ المنصوب مع المرفوع لم يكن كلاماً » .

٢ - ويسوق النحاة هذه الأفعال الناسخة أو الناقصة ، في باب « كان وأخواتها » فيملعون بها ثلاثة عشر ، ويجعلونها أنواعاً ثلاثة : النوع الأول : الأفعال المطلقة . وهي كان - أمسى - أصبح - أضحى - ظل - بات - صار - ليس . والنوع الثاني : الأفعال التالية لنفي أو شبهه ، وهي : زال - برح - فنى - انفك

وأما التي في أولها حرف النفي : مازال
وفى وبرح وانفك . فتفيد استمرار الفعل .
ومعناها الإثبات ، كما يتبين من قولك مثلاً :
مازال نائماً ، فعناه عدم زوال الشخص عن
اليوم .

وتفيد « مادام » ترقيت الفعل ، لأن
ما هنا مصدرية ، ومعنى : « مادمت عليه
قائماً » أى مدة قيامك عليه .

وتفيد « ليس » نفي مضمون الجملة
في الحال ، فلا تقول : ليس زيد مسافراً
غداً ، وإن أجاره بعضهم .

٣- ومع أن النحاة أكثرهم يعبرون
عن المرفوع بعد كان وأخواتها بأنه اسمها
فإنهم لا ينفوتهم معنى الفاعلية في هذا الاسم .
وقد عبر عن ذلك « ابن هشام » ، أوضح
تعبير في قوله في « شرح الشذور » : « إنهم
يدخلن على المبتدأ والخبر ، فرفعن المبتدأ
ويسمى اسمهن حقيقة ، وفاعلهن مجازاً ،
وينصبن الخبر ويسمى خبرهن حقيقة ومفعولهن
مجازاً » . ولم يكن « ابن هشام » بدعاً في هذا ،
فقد سبقه إلى الإشارة إلى معنى الفاعلية نحاة
أثبت ، نذكر منهم « سيبويه » وتناقل
بعده هذه المقولة من تناقلوها من
أصحاب الشروح والحواشي في المصنفات
النحوية . ولكن التعبير بالفاعلية وإن برز
في مفاهيم النحاة لم يبرز فيما استقرت عليه
القواعد ، وأصبح التعبير بالاسمية والخبرية
هو السائد .

٤- ولكن من النحاة من لاحظ أن هناك
أفعالا أخرى لها مثل المعنى الذي في « صار » ،
فلم تجدوا بداً من القول بإلحاقها بها . وبذلك
نمت أسرة « صار » ، حتى صار لها هي
الأخرى أخوات . وكأنما أصبح الباب
بابين : باب كان وأخواتها . وباب صار
وأخواتها !

يسرد « الأشموني » في شرح الخلاصة
أن هناك عشرة أفعال بمعنى صار ، وهي :
آض - رجع - عاد - استحال - قعد -
حار - ارتد - تحول - غدا - راح .
وفي حاشية « الخضرى » نظم هذه
الأفعال في بيتين ، هما :

بمعنى صار في الأفعال عشر
تحول آض عاد ارجع لتغم
وراح غدا استحال ارتد فاقعد
وحار ، فهاكها والله أعلم

ولم يقنع بعض النحاة بهذا العدد العشري ،
ورأوا أن أسرة « صار » أنمى عدداً مما
أحصاه « الخضرى » وغيره ، نقلاً عن
متقدمي النحاة ، فأضافوا ستة إلى العشرة ،
وقد نظمها « المختار بن بون » في قوله :

كصار آض راح قعدا

تحول استحال وارتد غدا

وعاد آل ثم حاء رجعا

وفى ورام مثل زال وقعا

بل إن من النحاة من ذكر استعمال « كان »
- وهي أم الباب - بمعنى « صار » وأثبتوا
مثالها في أفصح الكلام ،

ونحن نستطيع أن نلتقط أختنا جديدة
لصار ، وهي بمعنى غدا ، ورديفة لها .
تلك هي الفعل « بكر » ومنه قول الشاعر :

بكرت تخوفني الختوف كأنني

أصبحت عن غرض الختوف بمعزل

ولو أننا فرغنا للبحث لحننا بمرادفات
كثيرة من أفعال جاءت بمعنى « صار » ،
واستعملت استعمالها في دلالاتها دون
تفرقة ، وبهذا تصبح « صار » صاحبة
الغلبة والسلطان ، ويحق لها أن تكون في
هذا الباب صاحبة العنوان !

• - ولابد لنا من وقفة قصيرة عند مؤلف
معاصر هو الأستاذ الدكتور « محمد عويد » في كتابه
« النحو المصنف » ، إذ يقول : « وردت
أفعال أخرى غير الأفعال السابقة التي هي
أصل الباب بمعنى الفعل صار أيضاً ، عن
طريق التضمين ، وهي كما أوردناها الأثموني
عشرة أفعال . وهذه الأفعال الأخيرة ليست
موضوعة أصلاً لتكون من النواسخ ، وإنما
تصير ناسخة إذا ورد استعمالها بمعنى الفعل
صار ، أي أنها حين تتضمن معنى هذا الفعل
ينسخ فيها حكم المبتدأ والخبر ، فيرفع الأول
وينصب الثاني » . والمؤلف قبل ذلك يقرر
ما يأتي : « أن الأفعال الخمسة : (كان -

أمسى - أصبح - أضحى - ظل) تستعمل
في اللغة بمعنى صار ، أي أنها تفيد
التحول والانتقال - وهذا الاستعمال يطلق
عليه في اللغة اسم « التضمين » ، ومعناه أن

يتحول فعل له معنى خاص إلى معنى فعل
آخر ، وحينئذ يأخذ حكمه . ومن ذلك
قول القرآن : « وفتحت السماء فكانت
أبواباً ، وسيرت الجبال فكانت سراباً ... »

ومناد هذا وذاك أن تلك الأفعال كلها
تستعمل فيما وضعت له أصلاً ، وفي معنى
التحول والانتقال تضميناً ، وأنها في حال
تضمينها معنى « صار » تعتبر ناسخة ترفع
الاسم وتنصب الخبر ، مع أن « صار »
نفسها التي هي أم الباب في معنى التحول
والانتقال تستعمل غير ناسخة كذلك ،
فيما يقرره النحاة ، ويستشهدون له بقوله
تعالى : « إلى الله تصير الأمور » .

والحق أن التضمين يعطى دلالة جديدة
للفعل ، أو اتساعاً في الدلالة ، ولكن هذه
الدلالة الجديدة أو التوسع فيها لا تدعو إلى
توهم تركيب نحوي خاص متكلف كانت هذه
الدلالة وما إليها هي السبب في إنشائه أو توهم
وجوده ، مادام المعنى يستقيم بغير حاجة
إلى هذا التوهم المتكلف ، وما دامت الحركة الإعرابية
في مساق الجملة باقية على حالها في الاسمين ،
فالأول مرفوع على أنه مبتدأ أو على أنه فاعل ؛
والآخر منصوب على أنه خبر أو على أنه
حال !

٦ - هل غفل النحاة عن أن هناك
تكلفاً واضحاً في تصور أن مثل « أصبح
محمد عالماً » جملة أصلها « محمد عالم » دخلت

عابها « أصبح » لتفيد اتصاف الاسم بالخبر في زمن مضى . وأن مثل هذا التصور يصادق على جمل مكونة من فاعل وفاعل وحال ، أو على جمل كثيرة ليست أفعالها من النواسخ المعدودة ، فإذا قلنا : أكل محمد واقفاً وحضر محمد راكباً ، فالمعنى اتصاف محمد بالوقوف في زمن أكله ، واتصافه بالركوب في وقت حضوره ، ونحن في مثل هاتين الجملتين نجرى الإعراب على غير مانجريه في الجمل التي ترد فيها كان وأخواتها . لا

من النحاة من لم يغفلوا عن ذلك كله ، وقد سجلوا رأيهم ، ولكنه لم يأخذ من الشهرة والذيع القدر الكافي ، ولم ينل حظه من قبول جبهة النحاة ، وذلك لأسباب تحتاج إلى بحث ودرس واستخلاص .

يُعَلِّمُنَا « الأنباري » و « العكبري » وغيرهما بمسائل الخلاف بين نحاة البصرة والكوفة ، فيسوقون من المسائل هذه المسألة . إذ يقول البصريون إن المنصوب في باب كان خبرها ، ويقول الكوفيون إنه حال .

وقد نبه إلى هذا المذهب الكوفي بعض المؤلفين في النحو من المعاصرين ، وفي مقدمتهم « محمد الطنطاوي » صاحب كتاب « نشأة النحو » ، ومن الباحثين المعاصرين من ارتضاه ونادى بتطبيقه ، ونذكر من بينهم الدكتور « محمد كامل حسين » ، في رسالة « النحو المعقول » ، إذ يقول :

« عند وجود الفعل في الجملة يكون هو الخبر المتعلق بالمتحدث عنه ، وعلى ذلك لا يكون هناك ما يدعو إلى إفراد باب لكان وأخواتها - واسم كان يرفع لأنه متحدث عنه ، أما خبرها فنصوب لأنه تكملة ، ولا يكون هناك فرق إعرابي بين جاء محمد راكباً ، وكان محمد راكباً » .

٧ - وبين الباحثين المعاصرين من تصدى لذلك الرأي ، وهو الدكتور « عبد الرحمن أيوب » ، في محاضراته : « العربية وليجاتها » ، فهو يعترف بأن هناك تشابهاً بين « ضرب محمد علياً » - و « كان محمد قائماً » ، من حيث الشكل ولكنه يقرر أن هناك فروقاً . وهو يتساءل « عما إذا كان شمة مبرر لاعتبار المثال : كان محمد قائماً يختلف من وجهة النظر التركيبية عن المثال : ضرب محمد علياً ، فكل من المثالين مركب من كلمة لما كل المميزات الشكلية التي للفعل ، وبعدها كلمتان لهما كل مميزات الأسماء ، إحداهما مرفوعة والأخرى منصوبة . ولكن هناك فروقاً ، منها إمكان التجرد من الصيغة الفعلية (كان) في الأول مع بقاء كلام كامل ، دون إمكان ذلك بالنسبة للثاني . ومنها ضرورة التطابق في العدد والجنس بين الكلمتين التاليتين لكان ، ولا يتحتم ذلك بين الكلمتين التاليتين لضرب ... »

وليس بالمتعذر أن نناقش الدكتور « عبد الرحمن أيوب » في جملة ما أوضح من الفروق بين أفعال كان وأخواتها وغيرها من الأفعال الأخرى في الاستعمال ، فإن في أمثلته نوعاً من التحكم ، وقوله إن الكلمتين التاليتين لكان تمثلان كلاماً تامادون سائر الأفعال غير النواسخ ، مردود عليه بأنك تقول مثلاً : سافر محمد معتمراً ، وخرج محمد راكباً ، فهنا أيضاً يمكن التجرد من الصيغة الفعلية مع بقاء كلام كامل . وأما قوله بضرورة التطابق في العدد والجنس بين الكلمتين التاليتين لكان وأخواتها دون الكلمتين التاليتين لغيرهن من الأفعال ، فردود عليه بأن التطابق غير محتوم ، فأنت تقول : أصبح الرجال يداً واحدة ، كما تقول : خرج الرجال يداً واحدة !

٨ - على أن « كان » نفسها ليس معناها إلا « وُجد » و « وقع » ، أي حدث ، واستعمال هذه الأفعال التي هي في معنى « كان » لا يتطلب ما يطلق عليه النحاة الاسم والخبر ، وإنما يعرب ما يلي تلك الأفعال بحسب ما يذكر . تقول : وُجد محمد ، ووقع الأمر ، وحدث القتال ، كما تقول وُجد محمد نائماً ، ووقع الأمر شديداً ، وحدث القتال عنيفاً . فيعرب محمد والأمر والقتال فواعل ، ويعرب نائماً وشديداً وعنيفاً أحوالا .

فلم لا يكون الإعراب كذلك في قولنا : كان محمد نائماً . وكان الأمر شديداً . وكان القتال عنيفاً ؟

٩ - يضاف إلى ذلك أن النحاة لا ينكرون مجيء هذه الأفعال الناسخة تامة . ومعنى تمامها أن يكون ما بعدها فاعلاً ، فإن جاء في الجملة تكملة فهي حال ، فمثلاً : أصبح محمد ، وأصبح محمد مريضاً ، لافرق في الحملتين من حيث الوظيفة النحوية ، ولكن الفرق في دلالة « أصبح » اللغوية ، أو دلالتها البلاغية ، على الأصح ، لأن « أصبح » في الجملة الأولى تدل على أن محمداً دخل في الصباح ، وأما « أصبح » في الجملة الأخرى فتحتل الدخول في الصباح فعلاً ، وتحتل معنى الصيرورة مجازاً . و « محمد » في كلتا الحملتين فاعل ، و « مريضاً » حال له ، سواء أكان المراد من « أصبح » معنى التحول والصيرورة ، أم كان المراد منه معنى الإصباح .

١٠ - هناك - بعد هذا كله - سؤال يجب أن نطرحه عن نفسه :

ماذا يترتب على إثارة المذهب الكوفي من ناحية الإعراب ، أو من ناحية الدلالة ؟

هل تختلف النتيجة عن النتيجة التي ينتهي إليها الاستمساك بالمذهب البصري ؟

لا خير ولا اختلاف :

فالجملة هي الجملة العربية الماثورة ، لم
تعرض لتغيير أو تبديل في التركيب ، ولم
تفقد قليلاً أو كثيراً من دلالتها المعنوية .

هذا إلى أن الحركة الإعرابية على كلا
المذهبين ، هي الحركة الإعرابية عينها في
مأثور الكلام ؟

بقي سؤال واضح الجواب أيضاً :

ماذا نفيد من إيثار المذهب الكوفي ؟
الجواب أننا نختصر باباً طويلاً عريضاً من
أبواب النحو ، يعاني المتعلمون في دراسته
جهداً ، وينفقون في استيعابه وقتاً .

وقصارى رأى أن « كان وأخواتها »
باب في النحو ، يقال بإغلاقه ، ولا مانع
من ذلك—على الأقل—في كتب التعليم العام
لغير المتخصصين ، وأما أهل الاختصاص
فلهم أن يخوضوا فيه ، وأن يفقهوا فلسفته ،
ويتبينوا ما تكشف عنه من دقائق الفروق ،
فيتوقف فيها من يتوقف ، ويرضى عنها
من يرضى .

محمد شوقي أمين

عضو مجمع اللغة العربية — القاهرة



قبيلنا : طسم وجديس

للأستاذ عبد الله بن خميس

قبيلنا

من العرب البائدة ،
أكثر مصادر التاريخ
العربي من ذكرهما ،

وأفاضت في الحديث عنهما . . ولكنها كلها لا تجمع
على قول فصل ، ولا على حقيقة ثابتة لا يرقى
إليها الشك ، فيما أوردته عن هاتين القبيلتين
من أخبار وآثار . . سوى أنهما إذا ذكرتا
في العرب البائدة ، وذكرت (الإمامة)
موطناً لهما ، وذكر الصراع الدامي والتفاني
بينهما ، وذكرت أخبار (زرقاء الإمامة)
مع ذكرهما . . لكننا لا نجد أثارة من علم
عن الكيفية التي سكنتا فيها (الإمامة) ،
ولا تفصيلاً عن سرد حكاهما ومسار تاريخهما
حتى وصلتا إلى ما وصلنا إليه من حضارة ،
وفن ، ورق . . بل إن المصادر لتختلف في

نسبهما ، وتختلف في العصر الذي عاشتا فيه ،
وتختلف في الكيفية التي انتهى فيها دورهما
في هذه المنطقة . بل لقد ورد في بعض هذه
المصادر أنهما من نسج الخيال ، وأنه لاحقيقة
لها أصلاً (١) .

وقالوا عن نسبهما . طسم بن لاوذ بن إرم
أو طسم بن لاوذ بن سام ، أو طسم بن
كاثر (٢)

ومن جد يس فالوا : إنهم حتى من عاد ،
وإنهم إخوة طسم ، أو إنهم من العرب ،
كانوا يصاهرون عاداً الأولى . . وقالوا :
إنهم أبناء جد يس بن لاوذ بن إرم بن سام بن
نوح ، أو أبناء جد يس شقيق ثمود بن غائر
ابن إرم بن سام بن نوح (٣) .

(١) الأغاني (١/٣١) ، اللسان (١٥/٢٥٦) ، الأغاني (١٠/٤٥) ، الطبري (١/٢٠٦) دار المعارف .

(٢) الطبري (١/٧٧١) طبعة أوردة ، ابن حلاون (٢/٢٤) والأغاني (١٠/٤٨) ، ابن الأثير (١٣٩/١) ،
الطبري (١/٢٠٣) وما بعدها ، دار المعارف .

(٣) اللسان (٦/٣٥) ، الطبري (١/٧٧١) ، ابن حلاون (٢/٢٤) ، الأغاني (١٠/٤٨) ، ابن الأثير
(١/٤٨) ، البريزي على الحماسة (١/١٦٧) ، اللسان (٧/٣٣٣) .

وقالوا : إن للقبيلتين صلة بشمود ، ويرون
أن جد هذه القبائل الثلاث واحد ، فيقولون :
(ثمود) و (طسم) و (جديس) أبناء
(لرم) بن (سام)^(٤) .

وأورد الهمداني قولاً آخر ، نقله عن
(زبور قديم) ، أن قبيلتي (طسم) و (جديس)
من أبناء قحطان بن عابر^(٥) :

ولا يستطيع الباحث أن يعول على قول من
هذه الأقوال ، أو يرجحه على سواه . .
فكلها ظنية ، وكلها يسقط به الاستدلال ،
وسيظل البحث واقفاً أمام هذا الواقع إلى
ما ربما أن يؤدي البحث الحاد في مواطن
هاتين القبيلتين إلى كتابات أو نقوش تفصح
لنا عن حقائق أو مرجحات . . وهذا غير
بعيد ، فلقد عثر على نص يوناني في (صلخد)
يرجع إلى سنة (٣٢٢) ميلادية ، مؤداه (أنعم
طسم)^(٦) . . فغير بعيد أن يدلنا التبع -
والاستقراء والتنقيب ومواصلة البحث على
حقائق ظلت مجهولة قروناً خلف قرون .

أما مساكن (طسم) و (جديس) فأكثر
ما اتفقت عليه المصادر عن تاريخ هاتين
القبيلتين أنها (اليمامة) بمفهومها القديم ، أي

(جبل العارض) الممتد من (الربع الخالي)
جنوباً ، إلى رمال (الثويرات) شمالاً بما يقدر
طوله بألفي ميل ، وما اتصل بهذا الجبل غرباً
وشرقاً من أقاليم وبلدان ، بما يقدر بخمسمائة
ميل من الغرب إلى الشرق .

وقاعدة (طسم) من اليمامة (حجر) -
الرياض الآن - ويسمى الهمداني : (حضور
طسم) ، ويضيف إليها (الخضراء) ،
فيقول : (خضراء حجر) قاعدة طسم ،
و (الخضرمة) قاعدة جديس (الخرج
الآن)^(٧) .

ويبدو أن تكاثر هاتين القبيلتين ونموهما
وقوة نفوذهما شمل أجزاء كثيرة من اليمامة إن لم
يكن كلها ، كما تجاوزها إلى مناطق أخرى
ك (الأحساء) وما حولها ، وبها لهم حصن
(المشقر) ، ومن مساكنهم (القرية) التي
أضيفت بعد إلى (بنى سدوس) ، ثم سميت
أخيراً (سدوسا) . . وامتد نفوذهم جنوباً إلى
(الأفلاج) قريباً من (الربع الخالي) ولهم :
بها حصون عظيمة وبُشُل وأثار حضارة وعمران
سوف نتحدث عنها عند ذكر حضارة هاتين
القبيلتين وعمرانهما . . وقد شمل ذلك كثيراً
من مناطق (الأفلاج) ك (الهدار) و (ريمان)^(٨)

(٤) الرياض عبر أطوار التاريخ (ص ٢٥) ، دار اليمامة .

(٥) الإكليل (١/١١٩) .

(٦) تاريخ العرب قبل الإسلام المفضل (١-٣٣٥) .

(٧) صفة جزيرة العرب (١٤٠) .

(٨) صفة جزيرة العرب (ص ١٤١) ، البلدان (٧/٦٥) ، اللسان (٦/٩١) ، البلدان (٨/١٠٠) .

كما أنه قد نزع من (جدیس) طائفة بقيادة (الأسود بن غفار) إلى (جبلى طيى) .
بعد أن أباد خضراءهم (حسان بن تبع) ،
فكثروا بالجليلين إلى أن نزلت بهم (قبيلة طيى)
فأجلتهم من الجليلين ، ومن ثم أصبحت بلاداً
لطيى^(٩) .

وقد ذكر (الهمداني) أن من سكان (حجر)
اليمامة (التدامى : (الأقيون بن الحارث) من
(قحطان) يسكنون (طسما) و (جديسا)
بها^(١٠) ، وإلى ذلك أشار (امروء القيس بن حجر)
يصف الدهر ، قال :

وألحق (آل أقيان) بـ (حجر)

ولم ينعمهم بعدد ومال

وكما اختلف المؤرخون في نسب هاتين
القبيلتين ، وفي كثير من جوانب حياتهما . .
فكذلك اختلفوا في العصر الذي عاشت فيه
هاتان القبيلتان . . والمرجح أن قوتهما
وازدهارهما كانا في القرنين الثاني والثالث
الميلاديين^(١١) .

وعلى الرغم مما يكتنف تاريخ (طسم)
و (جدیس) من غموض ، وما في نصوصه

من اضطراب ؛ إلا أن جانباً مضيئاً منه يدل
دلالة واضحة على ما لاحتين الأمتين من حضارة
وما عاشته من رقي ومدنية . . ذلكم هو
آثارها العمرانية التي بقى كثير منها إلى قريب
من زمننا هذا ، والتي ما شهد قلب جزيرة
العرب من عظمة في البناء ومخلفات في الأثر
مثلاً شهد من قوة وعظمة هاتين الأمتين .

فن مدنيهما الرئيسية (حجر) وخضراؤهما -
مدينة الرياض الآن - كانت قاعدة (طسم)
وكان بها قصور عالية ، وحصون فارهة . .
يعول الهمداني : وهي حضور طسم ، وفيها
آثارهم وحصونهم وبتلهم - الواحد بتيل -
وهو هن مربع مثل الصومعة ، مستطيل في
السماء ، من طين . . قال أبو مالك - وهو
من مشايخ الهمداني - : لحقت منها بناء طوله
مثلاً ذراع . . قال : وقيل : كان منها ما طوله
خمسمائة ذراع ، من أحدها نظرت زرقاء اليمامة
إلى من نزل من (جئو جان) من رأس (الدام)
مسيرة يومين وليلتين^(١٢) .

و (ابن الفقيه) في كتابه (مختصر كتاب
البلدان) ، و (البلاذري) في (فتوح
البلدان) . . يصفان بعض آثار طسم في

(٩) العبر (ح ٤٥/٢) .

(١٠) الإكليل (ج ٨٥/٨) .

(١١) تاريخ العرب قبل الإسلام (١-٣٣٧) ، الرياض عبر أطوار التاريخ (ص ٣٢) .

(١٢) صفة جزيرة العرب (ص ١٤٠) ، الرياض عبر أطوار التاريخ (ص ١٨/١٩) .

(حجر) ، منها بتيل (حجر) ؛ وهو قصر عجيب من بناء طسم ، ومعنى أو (معنى) .. القصر الذى تحصن فيه عبيد بن ثعلبة الحنفى لما استولى على (حجر) ؛ وهو من أشهر قصور اليمامة ، وكان على أكمة مرتفعة ، مطل على الواديين ، ويقع فى (الشط) إحدى قرى حجر .

ويقول (البلا ذرى) : إن هذا الحصن سمي (معنى) لخصانته ، يعنى أن من لجأ إليه عتق من عدوه . . أما (ياقوت) فىرى أن اسمه (معنى) بالنون ، ويستدل بقول الشاعر :

أبت شرفات من (شموس) و (معنى)
لدى القصر منا أن تضسام وتضهدا
ومن حصونهم أيضاً فى (حجر) . .
(الشموس) و (الشمولية) (١٣) .

أما قاعدة جديس فهى (الغضيرة) فى (جو) - الخرج الآن - ، وما بها أيضاً من حصون وقصور وبتل . . وهى منافسة لـ (حجر) ، وبها الحصن الشهير (الجون) الذى يقول فيه المتلمس :

ألم تر أن الجون أصبح راسياً
تطيف به الأيام ما يتأيس

عصى تبعاً أيام أهلكت القرى

يطان عليه بالصفيح ويكلس (١٤)

ومن آثارهم حصن (القرية) - سدوس الآن - ، بها مسلة مشهورة إلى زمن قريب ، وبها حصن يقال : إنه من حجر واحد ، وينسب إلى (سليمان بن داود) - عليه السلام - ، كما درجوا أن ينسبوا كل شيء معجز إليه لما سخر له من قوى الشياطين ، يقول المعرى :

وقد كان أرباب الفصاحة كلما

رأوا حسنا عدوه من صنعة الجن (١٥)

وحينما جعل الرحالة من أنحاء العالم يرتادون (القرية) ويصورونها ويكتبون عنها ، أوجس أهلها من ذلك خيفة ، فأبادوها وأخفوا معالمها ، ولم يبق بها الآن من ذلك عين ولا أثر .

ومن آثارهم فى (الأفلاج) (القصر العادى) ، ظل باقياً إلى أيام الحمداني ، فقد وصفه وقال : إن هذا الحصن كان عظيماً وكان يحيط بالقرية ، وأساسه من اللبن ، وحوله منازل الحاشية للرئيس الذى كان فيه ، وفيه الأثل والنخيل ، ويحيط بالقرية خندق ، وفيه آبار - مئتان وستون بئراً - ماؤها عذب فرات (١٦) .

(١٣) مختصر البلدان (ص ٩٨) ، الرياض عبر أطوار التاريخ (ص ٢٤) .

(١٤) معجم اليمامة (١/٧٣-٣٧٤) .

(١٥) تاريخ العرب قبل الإسلام (١/٣٣٩) ، الرياض عبر أطوار التاريخ (ص ١١) .

(١٦) صفة جزيرة العرب (ص ١٤) ، معجم اليمامة (١/٣٢٩) .

ومن آثارهم في (البحرين) (الأحساء
الآن) . (المشقر) حصن عظيم ، حوله
(الصفا) و (الشَّعْبان) ، وإلى جانبه نهر
يقال له (العين) (١٧) .

فأنت ترى أن طسما وجاديسا قد حلتا من
جزيرة العرب أخصبها ، وأطيبها مناخاً .
وأغزرها مياهاً ، وأكثرها إنتاجاً ، وأن
حضارتها قامت على بلاد ذات قرار ومعين .
إفلقد كانت اليمامة في ماضي عهدها من جنان
الدنيا خضرة ونضرة ، وأنهاراً جارية ،
وعيوناً ثرّة ، وكانت تفيض خيراتها على
ما حولها من أقاليم جزيرة العرب وغيرها . .
يقول ابن الفقيه : وعيون اليمامة كثيرة .
ففيها عين يقال لها : (الخضراء) ، وعين
يقال لها : (الهيث) ، وعين يقال لها :
(الحجر) ، وبها نهر (المجازة) ، ونهر
يقال له : (سيح الغمر) ، ونهر (نعام) . .
ويقول أهل اليمامة : غلبنا أهل الأرض شرقها
وغربها بخمس خصال : ليس في الدنيا أحسن
ألواناً من نسائنا ، ولا أطيب طعاماً من
حنطتنا ، ولا أشد حلاوة من تمرنا ، ولا أطيب
مضغّة من لحمنا ، ولا أعذب من مائنا . .

(ومضى ابن الفقيه يقول) : فأما نساؤهم
فلأنهن دريّات الألوان . . كما قال ذو الرمة :
كحلاء في دعيج صفراء في نعيج
كأنها فضة قد مسها ذهب

وكما قال امرؤ القيس :
كبكر المقناة البياض بصنمرة
سقاها نمير الماء غير المحلل

إلى آخر ما أورده ابن الفقيه عن وصف
حنطة اليمامة وتمرها ونخيلها ، وما بها من
مميزات لا توجد إلا بها (١٨) .

وأنت ترى أن طسما وجاديسا قد حلا
من اليمامة أخصبها وأطيبها (حجر)
و (القرية) و (الخضرة) و (الأفلاج) ، ومن
شرقي الجزيرة مركز خيراتها ومصدر
إنتاجها (الأحساء) . . فلا غرابة أن
تكون لهما حضارة ، ويكون لهما تاريخ
حافل شهير .

وموقعها يؤهلها لتجارة خارجية واسعة
بين (اليمن) و (حضر موت) من الناحية
الجنوبية الغربية ، وبين (العراق) و
(كاظمة) وأطراف الشام من الناحية
الشمالية ، وبين الخليج العربي وصلاته

(١٧) مختصر كتاب البلدان (ص ٣٠) .

(١٨) مختصر كتاب البلدان (ص ٢٨-٢٩) .

مع (الهند) و (جنوبى آسيا) من الناحية الشرقية ، وبين (الحجاز) و (السروات) من الناحية الغربية . فبلادها ملتي قوافل وقاعدة تجارية مهمة من (جزيرة العرب) .

ولطسم وجديس صنم من أشهر الأصنام . يقال له : (كشم) ، بقى إلى ظهور الإسلام وكسره (نهشل بن الربيع) (١٩) .

وشأن كل أمة ذات أثر وخطر ، فإنه يحال حول تاريخها كثير من الأخبار والنقول ، بعضها أشبه ما يكون بالأساطير وأحاديث الخيال ، وبعضها لا يخلو من حقيقة مبالغ فيها وموشاة بالانتحال والخلط فكذلك قبيلتا طسم وجديس حفل تاريخهما بأشياء كثيرة من هذا القبيل ، لاسيما وقد صحب تاريخهما عدااء عنيف استمر بين القبيلتين زمنا طويلا ، وتداموا فيه وتغاثوا ، مما هبأ جواً للتحويل والمبالغة والانتحال من الرضاعين والقصاص وأصحاب الأساطير .

وكما قلنا : إن طسما تعيش في (وادى حنيضة) وماحولها من اليمامة ، وقاعدتها (حجر) ، وأن جديسا تعيش في (جو اليمامة) — الخرج الآن — وقاعدتها (الحضرمة) ، وبين القاعدتين موالى ثمانين كيلومترا ، والعداء بينهما قائم حتى كان الغلب أخيرا لطسم ، فبسطوا نفوذهم

على جديس واستأثروا بحكمهم . . وفى عهد (عمليق بن هباش) الملك الطسمى بلغ العداء أوجه ، وبلغت إهانة الطسميين للجديسين حدا لا مزيد عليه . . فلقد كان (عمليق) هذا غشوما ظلوما جبارا بلغ من أمره أن جاءه رجل وامرأة من جديس تنازعا في ولديهما ، أراد الأب أن ينتزعه من أمه ، وأبت الأم عليه ذلك ... فتحاكما إلى عمليق ، قالت المرأة : « هذا ابني حملته تسعا ، ووضعتة رفعا ، وأرضعته شعبا ، ولم أنل منه نفعا ، حتى إذا تمت أوصاله واستوفى فصاله أراد بعلى أن يأخذه كرها ، ويتركنى ولهى » .

فقال الرجل : « أيها الملك أعطينا المهر كاملا ، ولم أصب منها طائلا ، إلا ولدا حاملا ، فافعل ما كنت فاعلا ، على أنى حملته قبل أن تحمله ، وكفلت أمه قبل أن تكفله . . » فقالت المرأة : « حملته نخفا وحملته ثقلا ، ووضعتة شهوة ووضعتة كرها » .

فلما رأى (عمليق) متانة حجتهما تحير ، فلم يدر بم يحكم ، ولكن جورده ونفسه الخبيثة أبت عليه إلا التزوع إلى الشر ، فأخذ

(١٩) القاموس (مادة كثر) ، تاريخ العرب قبل الإسلام (٢٥٢/١ - ٢٥٥) .

الغلام منهما وألحقه بغلمانه ، وقال للمرأة :
أبغيه ولدا ، وأجزيه صفدا ، ولاتنكحى بعد
أحدنا . . فتأملت المرأة :

أتينا أخطائكم ليحكم بيننا
فأظهر حكما في هزيمة ظالما
لعمري لقد حكمت لامتورغا

ولا كنت فيما يلزم الحكم بما كما
ندمت ولم أندم ولإى بعترى
وأصبح بعلى فى الحكومة نادما

فأمر بهما أن يباعا ، ويرد على زوجها
خمسة ثمنها ، ويرد عليها عشر ثمن زوجها
فذهبا رقيقين .

وتنادى (عمليق) فى جوره ، وأمر أن
أن لاتزوج بكر من جدیس حتى تدخل
عليه فيفترعها قبل زوجها ، وكان هذا
نهاية الذل والمهانة ، حتى تزوجت فتاة
اسمها (عفيرة بنت غفار) أخت سيد جدیس
فلما زفت إلى (عمليق) جعل الفتيات
يهزجن حولها ويقلن :

ابدى بعملیق وقوى فارکى
وبادری الصبح بأمر معجب
فسوف تلقين الذى لم تطلى
فما لبكر دونه من مهرب

فأدخلت عليه وكانت آيتة ، فقل إنه
لما عجز عنها ، وجأها فى فرجها بخات
فأدماها ، فخرجت وقد هانت لديها نفسها ،

فزقت ثيابها وجعلت تمشى بين قومها
غارية ودماءها تسيل ، وترف غفيرة قائلة :
لا أحد أذل من جدیس

أهكذا يفعل بالعروس
كيف بهذا الفعل يرضى الحر
وقد مضى القول ومضى المهر

لأخذة الموت كذا لنفسه
أهون من أن يفعل ذا بعرضه
وذهبت إلى نادى قومها ، وصرخت بهم :

أجمل أن يوثى إلى فتياتكم
وأنتم رجال فيكم عدد الرمل
فإن أنتم لم تغضبوا بعد هذه

فكونوا نساء لاتغب من الكحل
ودونكم ثوب العروس فإنما
خلقتم لأتواب العروس وللغسل

فلو أننا كنا رجالا وكنتم
نساء لكننا لا نقر على الذل
فموتوا كراما أو أميتوا عدوكم

وكونوا كنار شب بالخطب الجزل
فللموت خير من مقام على أذى
وللهزل خير من مقام على ثكل

بعدها بيئت جدیس خطة تناخص كالأقوى :
ألم يكن ولى أمر الفتاة التى ترف إلى (عمليق)
ملوما بإقامة مأذبة ضبايح اقتراعها ، تقام

على شرف (عمليق) وقومه ، إيماننا في
الإهانة وإيغالنا في الاستئلال ؟ . . وإذن
فسوف يقيم وليُّ أمر (عفيرة) التي زفت
إليه البارحة ، وخرجت عارية ملطخة بالدماء
تصرخ في قومها . . سوف يقيم ولئها مأدبة
هذا اليوم لعمليق وقومه ، وسوف يقف
الوليُّ هو وقومه فوق رؤوسهم حتى ينتهوا
من طعامهم . . ولكن سوف تدفن السيوف
إلى جانب الموائد ، وإذا أخذ (عمليق)
هو وقومه يطعمون ، فسوف يتلقى قوم
الوليُّ إشارة منه لتنشئ السيوف دفعة واحدة
وتعمل في رقاب قوم (عمليق) وهاماتهم
فيفنوا جميعا . . هذه هي الخطة ، وهكذا
يفعلون ليصبح (عمليق) ورؤوس قومه
ووجهاؤهم جثثا هامدة إلى جانب الموائد ،
ويعمن الحديدسيون في استئصال الطسميين ،
ويقول شاعر جديس يومئذ :

ذوقى ببغيك يا طسم مجللة
فقد أتيت لعمرى أعجب العجب

إنا أنفنا فلم ننفك نفلتهم
والبغى هيج منا سورة الغضب

فلن تعودوا لبغى بعدها أبدا
لكن تكونوا بلا أنف ولا ذنب

فلو رعيتم لنا قربى مؤكدة
كنا الأقارب في الأرحام والنسب

وقال شاعر آخر من جديس :

لقد نهيت أنا طسم وقلت له :

لا يذهبن بك الأهواء والمرح

واحترس العواقب إن الظلم مهلكه
وكل فرحة ظلم عندها ترح
فما أطاع لنا أمراً فنعذره
وذو النصيحة عند الأمر ينتصح

فباد آخريهم من عند أولهم
ولم يكن لهم رشد ولا فلاح

وقد هرب رجل من كبار طسم ،
ولاذ بحسان بن تبع الحميري بنجران ،
فاستعداه على جديس ، ولم يزل به يستغيث
ويستصرخ ويهزه بالشعر ، فمما قال يومئذ :

أجبنى إلى قوم دعونا لغدرهم
إلى قتلهم فيها عليهم لك العذر

فلما انتهينا للمجالس كللوا
كما كالت أسد مجموعة خزر

أتيناهم في أزرننا ونعالنا
علينا الملاء الخضر والحلل الأحمر

فصرنا لحوما بالعراء وطعمة
تنازعنا ذئب (الرثيمة) والنمر

فدونك قوما ليس لله منهم
ولا لهم منه حجاب ولا ستر

فاستخفقه بكثرة إلحاحه ، فأجابه إلى
طلبه . . ولما تباطأ في التنفيذ هزه هذا الشاعر
بقصيدة أخرى ، منها :

إني طابت لأوتارى ومظلمتى

يا آل حسان ياللعز والكرم

المنعسين إذا مانعة ذكرت

والواصلين بلا قربى ولا رحم

وعند حسان بصر إن طفرت به
منه يمين ورأى غير مقتسم
فارحم أياي وأيتاما بمهاكة
ياخير ماش على ساق وذى قدم
إني رأيت جديسا ليس يمنعها
من المحارم ما يخشى من النقم
فسر بخيلك تظفر إن قتلهم
تشفى الصدور من الأضرار والسقم
لاتزهدن فإن القوم عندهم
مثل النعاج تراعى زاهر السام
ومقربات خنازير مسومة
تعشى العيون وأصناف من النعم
فجهز (حسان بن تبع) جيشا كشفها
جرارا ، وسار به نحو (اليمامة) .
فلما كان منها على ليال ، قال له
(رباح الطسمى) هذا الذى جاء يستصرخه :
أيها الملك إن فى القوم امرأة مبصرة جدا
زرقاء العينين ، بصرها نافذ ، وأنهم
ليضعونها فى قمة بتيل لنكشف لهم الأرض ،
ولن يأتيهم أحد على غرة ، فأرى أن تتخذ
وسيلة توهمها ، فإذا كنا منها على منتهى
بصرها أخذ كل راكب من القوم شجرة
وأدرا حلفها ليختلط عليها الأمر ،
ويتهمها قومها بضعف أصاب بصرها
ومن تم نبادوهم على غرة . . فأخذ
بمشورته ، ورأت القوم على هذا الحال

فأنذرت قومها بما رأيت . فلم يصدفوها
فداخمتهم جموع (حدير) . فأبادوا خضراءهم
واستأصاوا شأفتهم . ونهبوا أهوالهم .
وخربوا ديارهم . . وإلى ذلك أشار
(الأعشى) فى قصيدة ، قال منها :
مانظرت ذات أسفار كنظرتها
حقا كما صدق الذئبي إذ سجعها
إذ قلبت مقلة ليست بكاذبة
إذ يرفع الآل (رأس الكلب) فارتفعها
قالت أرى رجلا فى كفه كتف
أو يخفض النعل ، لهفى أية صنعها ؟
فكذبوها بما قالت فصبحهم
(ذوالحسان) يزجى الموت والشرعا
فاستنزلوا أهل (جو) من منازلهم
وهدموا شامخ البنيان فانهضوا (٢٠)
وإلى هذه الحادثة أشار (الحارث بن حنيفة
الشكري) ، فقال :
أم علينا جر (إياد) كما قيل
لطسم أخوكم الأبراء
ومما قالت الررقاء فى ذلك :
خذوا خذوا حذركم يا قوم ينفعكم
فليس ما قد أرى م الأمر يحتقر
إني أرى شجرا من خلفها بشر
لأمر اجتمع الأقوام والشجر

(٢٠) معجم البلدان (٤٤٦/٥) ، شرح المعلقات لابن الأثير .

فأخذ (حسان) (الزرقاء) وقاع عينها
فوجدتها محشوة بالإنمد . وقال في ذلك :
وسميت جواءً باليامة بعد ما
تركت عيوننا باليامة هملاً
نزعت بها عيني فتاة بصيرة
رغاما ولم أحفل بذلك محفلاً
تركت جديساً كالخصيد مطرحاً
وسقت نساء القوم سوقاً معجلاً
أدنت : جديساً دين طسم بفعلها
ولم ألك لولا فعلها ذاك أفعلاً
وقلت خديها ياجديس بأختها
وأنت لعمري كنت للظلم أولاً
فلا تدع جواً ما بقيت باسمها
ولكنها تدعى اليامة مقبلاً^(٢١)
وأشار النابغة (الذبياني) إلى بعض
فصوص (الزرقاء) ، فقال :
واحكم كنخكم فتاة الخى إذ لظرت
إلى حمام شراع وارد الشمد
فعددوه فألفوه كما زعمت
تسعاً وتسعين لم ينقص ولم يزد
وكذلك أشار إليهما (المتنبي) حيث يقول :
وأبصر من زرقاء جَوَّ لأنني
إذا نظرت عيناى شاءهما علمي^(٢٢)
وأشرت إلى ذلك في إحدى قصائدي ، فقلت :
غن طسم خدثنا وعن جبروتها
لما امتباححت من جديس عقائلا

وجديس إذ دهب لتثار منهم
تخفى لهم تحت الرغام مناصلاً
واذكر عن الررقاء ما فاهت به
عن نظرة تطوى الحزون مراحلها
وعن الحمام إذ مررن نحو أطفا
هل كان ذاك الحكم منها باطلا^(٢٣)
هذه إلمامات موجزة عن تاريخ طسم
وجديس ، وأخبارهما ، وآثارهما . .
ولم تكن المصادر التي بين أيدينا لتمدنا بأكثر
من ذلك ، وسيظل لهذا قصارى ما ينتهي
إليه جهد الباحث حول هاتين ، الأمتين
هالم يظهر البحث والتنقيب مزيداً من علم
أو تمدنا الخزائن المطمورة بشيء
مما دُوِّن عنهما . فلقد روى صاحب
(الفهرست) بأنه قد ألف عن طسم وجديس
علمان جليلان من علماء القرن الثاني والثالث
الهجريين ، هما : (ابن الكلبي)
و(أبو البختري) وهب بن وهب القرشي^(٢٤)
ولكننا لم نعثر على هذين المؤلفين ،
ولم نعثر عليهما أصحاب المصادر قبلنا .
وصدق الله العظيم : « وتلك مساكنهم
لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً وكنا نحن
الوارثين » :

عبد الله بن محمد بن خديس
عضو الجمع المراسل من السعودية بالرياض

(٢٢) الحجار بن النماة والحجاز (ص ٢٠).

(٢١) معجم البلدان (٤٤٧/٥) .

(٢٣) على ربي اليامة (ص ١٢٨-١٢٩) .

(٢٤) الرياض عبر أطوار التاريخ .

مصادر البحث

- ١ - الأغاني .
- ٢ - اللسان .
- ٣ - الطبري .
- ٤ - ابن خلدون .
- ٥ - ابن الأثير .
- ٦ - التبريزي على الحماسة .
- ٧ - الرياض عبر أطوار التاريخ .
- ٨ - الإكليل .
- ٩ - تاريخ العرب قبل الإسلام .
- ١٠ - المفصل .
- ١١ - صفة جزيرة العرب .
- ١٢ - العبر .
- ١٣ - معجم البلدان .
- ١٤ - مختصر البلدان .
- ١٥ - معجم اليمامة .
- ١٦ - القاموس .
- ١٧ - شرح المعلقات لابن الأنباري .
- ١٨ - الحجاز بين اليمامة والحجاز .
- ١٩ - على ربي اليمامة .

بين العربية والفارسية والتركية

الدكتور حسين مجيب المصري

العلم بالعربية لأنها وسيلتهم إلى فهم الكتاب المبين وسنة سيد المرسلين ، وأحكام الدين التي يصلح بالأخذ بها حالهم في المعاش والمعاد .

كان هذا شأن الكثرة الكثيرة . وإلى جانبها قلة جد ضئيلة فرت بعقيدتها المحوسية ولغتها الفهلوية إلى بعيد من أطراف البلاد حيث لا يوقف لها على أثر أو ارتحلت عن ديارها طلبا للعافية ، وحسنت لها أرض الهند مستقرا ومقاما . وهنا تحين منا وقفة نتبين فيها ما كان من صلة بين الدين واللغة عند الفرس .

ويدعم هذه الدعوى بحجتها قول الثعالبي: إن العربية نزل بها أفضل الكتب على أفضل العرب والعجم ، ومن هداه الله للإسلام اعتقد أن العربية خير اللغات . والإقبال على تعلمها من الديانة ، اذ هي مفتاح التفقه في الدين . ولو لم يكن العلم بها

الفتح العربي لفارس حدثا عظيم الخطر بكل مايتسع له التصور ويستقيم في العقل. **كان** فقد أفضى إلى أوضاع تبدلت وآيات تطورت . وأعقب حضارة تنوعت مقوماتها وتشكلت سماتها. ومن حيث كانت اللغة من أهم مظاهر الحضارة ، لأنها الناطقة عنها بكل ما يميز الخاص من نوعيتها ، كان النظر في لغة الضاد بعد الفتح وما آل إليه وضعها وجد من تأثير فيها وتأثر بها حقيقة من الحقائق التي لا غنية لدارس بالمعنى الحق عن تذكرها أو تدبرها .

فلما هلك السلطان عن آل ساسان وانطوت كل مظاهر دولتهم — والدين واللغة من أخصها — ثم رقت قلوب الفرس للإسلام ، كان من الحتم شيوع العربية في أرجاء أرضهم ، وإذا ما قطعنا النظر عن فرض الغالب لغته على المغلوب ، رأينا أن الفرس وجدوا مس الحاجة إلى

إلا قوة اليقين في معرفة إعجاز القرآن
وإثبات النبوة لكفى بها فضلاً^(١) .

وجرى الفرس من أهل العلم على التصالح
من العربية والتحرير بها . مباهاة منهم بأنهم
يملكون ناصية لغة صعبة . وهذا ما يرفع
من شأنهم ويجعل لهم درجة على غيرهم .
وبعض دليلاً على أنهم يفقهون القرآن الكريم
فهم المؤمنون الموقنون الذين يشهد لهم بتقواهم
ومثل هذا كله من صفاتهم ، لا شك يزلفهم
إلى أدخل الحل والعقد ، ويمهد سبيلهم إلى مناصب
ما كانوا بالغيا لإلباتساع باعهم في العربية^(٢) .

ومثل ذلك كل الدليل على قوة الباعث
الذي حرك همّة الفرس إلى تعلم لغة العرب
التي أصبحت لغة المسلمين ، لاسيما أن
الإسلام جعل الناس سراسية وزجر عن العصبية
والقومية فلم يعد لفارسي ولا غير فارسي نسب
خاص به يصله بقومه لتنبت صلته ، وعاش
العرب غيرهم ممن دخلوا في دين الله أفواجا .
فكانوا جميعاً مربوبين لرب واحد قارئين
لكتاب واحد لغته لغة الدين والدنيا . ومر من
الزمان نحو قرن ونصف . ونحن لا نعرف
ولا نكاد لغة للفرس لها الظهور البين إلى جانب
لغة العرب .

أما إذا تخلفنا بعض التحفظ من خشية
أن يكون حكمنا الاطلاق والاستغراق .
لذكرنا أنه كان يوجد بالبصرة والكوفة
ديوانان أحدهما بالعربية والآخر بالفارسية .
ولما ولي الحجاج العراق كان من يدعى
زاذان بن فروخ على ديوان الفارسية
وقال إن الحجاج لا يستغنى عنه لأنه لا يجد
من يكفيه الحساب مثله . إلا أن الحجاج أمر
في سنة ثمان وسبعين بنقل الديوان إلى
العربية . وكان أكثر كتاب خراسان آنئذ
من المحوس والحسابات بالفارسية . فكتب
يوسف بن عمر وكان على العراق سنة
أربع وعشرين إلى نصر بن سيار بأمره
بعدم الاستعانة بأحد من أهل الشرك
في الأعمال والكتابة . وكان أول من نقل
الكتابة من الفارسية إلى العربية بخراسان
اسحق بن طلق^(٣) .

وهذا ما يستبين منه أن العربية أصبحت
لغة البلاد الأصلية التي فرضت عليها دينياً
ورسمياً فكان العلم بها ضرورة لا محيص
عنها ولا يغير هذه الحقيقة في شيء أن تظهر
الفارسية معها ظهوراً ضعيفاً نلمحه من قلة
من المحوس احتفظوا بلغتهم احتفاظهم بعقيدتهم
ومست الحاجة إلى الإفادة من علمهم بحساب
الدواوين في أول الأمر ، ولكن سرعان

(١) النعالي : فقه اللغة . ص ٢ (القاهرة ١٣١٧)

(٢) Ross : Note on Persian Poetry, Persian Anthology. P 48 (London 1927)

(٣) الجهشيارى . كتاب الوزراء والكتاب . ص ٣٨ و ٦٧ (القاهرة ١٩٣٨)

«انبتوا بشركهم» . ولم تعد للدولة رغبة في
علمهم ولا لغتهم .

وحقيق بالذكر أن هذا من حال العربية
دام طربلا من غير ما تغير طراً عليه حتى
بعد نشأة الإمارات أو الدويلات الفارسية
التي قامت في عهد الدولة العباسية . وكان
الباعث على قيامها نزعة قومية تسعى إلى
بعث دولة الأكامرة بما ازدهر من حضارتها
فكان إحياء الفارسية أهم مظهر لهذه الحضارة
وأول ما يتوقع من مثل هذا المسعى . وليس
بخاف أن اللغة هي العنصر الجوهر في الكيان
الحضارى للدولة من الدول . بيد أن الفارسية
التي استوت على ساقها في زمان تلك الدويلات
لم تكن لتقوى على الوقوف موقف النذ المراحم
للعربية . وظلت العربية أسرار كينا للثقافة
الإسلامية . يقام عليه ما يقام . ولكنه ليس
من سبيل إلى إعمال معول للهدم فيه . وكان
العلم بالعربية أداة لكل من أدركته حرفة الأدب
وشرطاً لازماً لكل من تلحق بخدمة السلطان .
كما راجحت الفارسية فرجحتها ، لأن
المعبرين بها من الفرس كانوا أكثر من عبروا
بلغتهم القومية التي شاءوا إحياء قوميتهم بإحيائها
وجرت الوتيرة على ذلك نحو الزمان فكانت
جمهرة التأليف العربية للفرس ، والجانب
الأكبر من التراث الأدبي العربى لأهل البلاعة
واللسن من الفرس .

وها هو ذا ابن خلدون يفسر لنا تلك
الظاهرة فيقول إن أكثر حملة العلم في الملة
الإسلامية من العجم . والسبب أن الملة لم يكن
فيها علم ولا صناعة لمقتضى حال السداحة
والبدانة . وكان الرجال ينقلون أوامر الله
ونواهيته في صدورهم وقد عرفوا مأخذها من
الكتاب والسنة . والعرب لم يعرفوا التعليم
والتدوين ، وجرى أمرهم على ذلك زمن
الصحابة والتابعين . ومن يوم الرشيد فما بعد
مست الحاجة إلى وضع التفسير القرآنية
وتقييد الحديث وقد فسد اللسان فاحتيج إلى وضع
أصول النحو . وأصبحت علوم الشرع
ملكات في الاستنباط والقياس ومست
الضرورة إلى علوم هي وسائل لها . وبذلك
أصبحت العلوم حضرية وبعد العرب عنها
والحضر هم العجم . لأن الحضارة راسخة
فيهم منذ دولة الفرس . ولهذا كان صاحب
صناعة النحو سيبويه والفارسي من بعده
والزجاج من بعدهما . وكل هؤلاء من الفرس
وإنما ربوا في اللسان العربى فاكثسبوه بمزاجهم
ومخالطتهم للعرب ، وأكثر حملة الحديث من
العجم . وكان علماء أصول الفقه جميعاً عجماء
وكذلك أصحاب علم الكلام ومعظم المفسرين
وما حفظ العلم ودونه إلا الأعاجم .

وهو يد تلك الحقيقة قوله صلوات الله
(لو تعلق العلم باكناف الثريا لناله قوم من أهلى
فارس^(١)) ويستخلص من هذا أن العربية

(١) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ص ٤٨ و ٤٩ (القاهرة : ١٩٣٠)

كان لها الرجحان والإيثار على الفارسية
عند الفرس الذين شاركوا بالنصيب الأوفى
في التأليف والتصنيف بها وتزويدها بكل
سبب من أسباب انتشارها وازدهارها
فأثبتوا مالها من جدارة وصدارة وقبل أن
نسوق الكلام إلى غاياته نلتفت إلى الفارسية
التي انبعثت في الوجود إلى جانب العربية
وهي المعروفة بالفارسية الحديثة تمييزاً لها من
الفارسية الوسطى أو الفهلوية لغة الفرس في
عهد الساسانيين وفارسية كتاب الفرس
المقدس المسمى بالأبستاق وفارسية عصر
الإسماعيليين وهي الفارسية القديمة .

فهذه الفارسية الحديثة من الفصيلة الآرية
المعروفة عند علماء اللغة بالفصيلة الهندية الأوروبية
وهي فصيلة آرية تختلف عن الفصيلة السامية
التي منها العربية . واللغات الهندية الأوروبية
منسوبة إلى الآريين الذين سكنوا إيران
في الزمان الحالى وأصل اسمها أريانا بمعنى
بلاد الآريين . ويقال إن شبه القارة الهندية
كان مهداً للآريين الأقدمين وكانت لغتهم
واحدة في أول أمرهم . ثم نزح منهم من
نزحوا شمالاً وسكنوا إيران وأرمينية وروسيا
وانعطفوا غرباً فاستقروا في أوروبا ، وانشعبوا
إلى شعوب كما انقسمت لغتهم الآرية إلى لغات
تطورت على مر الدهر إلى لغات هي اللغات
الهندية الأوروبية ولذلك نجد بين لغات الشعوب
الآرية كثيراً من وجوه الشبه في النحوي وهي اللغة
والحروف والأصوات . وبينها من الشبه
ما يكون بين الأخوات في الأسرة الواحدة .

وعليه فالفارسية الحديثة لغة آرية تباين
العربية التي تنسب إلى الفصيلة السامية .

ولكن كان لبقاء العرب بالفرس حكمه وعظيم
أثره في ظاهرة التأثير والتأثر بين اللغتين .

وأول ما يذكر في هذا الصدد أن الفرس
اقتبأوا لفارسياتهم الحديثة الحروف العربية
ولما كانت اللغتان في نوعية أصواتهما
وحروفهما مختلفتين . اضطرب الفرس
ضرورة إلى تطويع بعض الحروف العربية
لأداء الأصوات المنطوقة في الفارسية فأضافوا
إلى لغتهم الحروف التالية پ ، چ ، ژ . گ ،
وكتبوا فارسياتهم بأبجدية عربية أضافوا إليها
هذه الحروف التي كان حتماً عليهم أن
يضمونها لتبديهم .

كما انشرب في الفارسية مالا يحصى
كثرة من الألفاظ والتراكيب والعبارات
العربية ومما يستوقف النظر أنهم نطقوا بالألفاظ
العربية بلهجة أعجمية كأن ينطقوا الحاء هاء
ويعجزوا عن نطق الهمزة ، مثال ذلك
ما رأيته في بعض كتبهم من كتابة كلمة
(حذاء) على نحو يومهم القاريء العربي أنها
كلمة أخرى لأنها في الرسم (هدى) ؛
وهم ينطقون القاف غيناً في الأغلب وقد يكتبون
(قدیر) قاصدين بها (غدیر) أما حرف
العين . فهو على ألسنتهم ألف . والأمثلة لذلك
متوفرة .

وما كان هذا منهم بدعاً والعربية دخیلة
على لغتهم ، وشأنهم شأن أوربي ينطق العربية ؛
فهو مثاهم آرى الجنس واللغة . كما ألحقوا تاء

مفتوحة بكل كلمة عربية منتهية بقاء مربوطة
مثل نعمت وعصمت وبهجت وقدرت وعزت.

وآدخلوا السوابق واللواحق على ألفاظ
عربية مثل بي شك بمعنى بلا شك وإخلاص
بمعنى مخلص وديندار بمعنى تقي . وزاوجوا
بين ألفاظ عربية وأخرى فارسية فيما يعرف
بالصفات المركبة كما في وطنپرست بمعنى
محب الوطن .

وفي الفارسية ألفاظ عربية انصرفت عن
معناها مثل نشاطفهي في الفارسية بمعنى سرور ،
وسياست وتأتي بمعنى عقاب وحصار بمعنى
حصن ، وصلح بمعنى سلم وتشنج بمعنى
توتر . واختلاف دلالة اللفظ الواحد في عدة
لغات ظاهرة لغوية مألوفة لدى من يلتقي
بالألى تتبعها وتبينها .

وبذكر تضمن الفارسية كثرة من الألفاظ
العربية ، يذكر الشاعر الفارسي أبو القاسم
الفردوسي من أهل القرن الرابع الهجري
الذي رغب إليه السلطان محمود الغزنوي
أن ينظم كتاباً يؤرخ فيه للملك الفرس
وصناديدهم وأنبياءهم منذ أول العهد بهم إلى
الفتح العربي . وكان مأرب السلطان أن يحيي
القومية الفارسية بعد أن قضى عليها العرب
أو كادوا . وامتل الشاعر أمر مولاه وتوفر
على نظم كتابه المعروف بشاهنامه أى كتاب
الملوك . حتى تأتى له أن ينظم ستين ألف بيت
في قريب من خمسة وثلاثين عاماً ، وتوخي
أن يتغنى بمحامد ملوك الفرس وقد غلا في

مدحهم وجاوز الحد في ذكر مآثرهم ليكون
في مرضاة السلطان ، كما أظهر شديد التعصب
للفرس على العرب . بيد أن غرضه يتجلى
مع هذا كله في ميله الظاهر إلى إقامة الدليل
على أن الفارسية لغة تقف على قدم المساواة
مع العربية من حيث قدرتها على أداء كل
ما يمكن أن تؤديه لغة من معنى في كل غرض .
وذلك دون أن تسعين بالعربية وتستمد ما
تستعين به على التعبير ، أو على التحديد
دون أن يستعير من العربية الفاظاً يدرجها
في كلامه . ولذلك بذل الطوق في تجريد
كلامه من الألفاظ والتراكيب العربية
ومع كل ما بذل من جهد في تنقية الغريب
من ألفاظ الفارسية ، لم يوفق إلا بعض
التوفيق ، لأن كتابه المنظوم لم يخل تمام
الخلو من العربية على طول ما حاول ذلك
وعقد الأمل بتحقيقه .

وإن دل ذلك على شيء فهو قاطع الدلالة
على أن العربية تشكل قدراً كبيراً من متن
الفارسية ، وتخليص لغة الفرس من لغة
العرب أمر يتعسر بل يكاد يتعذر .

ومما أكثر من أربعين عاماً كنت أداوم
مطالعة مجلة إيرانية أدبية كتب تحت عنوانها
أنها بالفارسية الخالصة ، فكأن بعض أدباء
الفارسية المعاصرين أرادوا استدامة محاولة
شاعر الفرس القديم الفردوسي ذهاباً منهم
إلى إرضاء نزعة قومية . غير أن تلك المحاولة
لم تصادف هوى في النفوس والظن الأغلب
أن أصداً لها لم تعد تتردد .

وظل كذلك على عهد التتووين وبقى
إلى زمان الصنووين (١)

ومن الألفاظ التي دخلت الفارسية الفاظ
يتعذر وجود فارسية أكثرها كالمسلم والمؤمن
والكافر والمنافق والفاسق والزكاة والحج
والتيهم والقبلة والطلاق ، لأنها ألفاظ
إسلامية غريبة عن الفهلوية التي كانت من
لغاتهم قبل أن يهتدوا لدين الله .
وعقد الثعالبي في كتابه فقه اللغة فصلا عنوانه
(فصل في سياقة أسماء فارسيها منسية
وعربيها محكية مستعملة) ونورد منها
بعضها للنظر فيها ومنها الخليفة والأمير
والوزير والقاضي والساق والحلال والحرام
والعاشق واللطيف . فهذه ألفاظ دخلت
الفارسية ولم يكدها الفرس يستخدمون ألفاظا
عوضا منها فبعد استثناء كلمة خليفة بمعناها
الاصطلاحية الإسلامية ، نجد أن حكم
الثعالبي مجرد حسان يعوزه الدليل من
العقل والنقل . كما يتسع المجال للقول
في كلمة وزير . والباحثون فيها على رأيين
فعند دى خويه أنها عربية من وزر بمعنى
حمل . أى أن الوزير يحمل عن الملك
أعباء الحكم وحجته على عربية الكلمة
والمنصب مذكوره الطبرى في الجزء الثاني
من تاريخه قائلا إن زيادا كان يسمى وزير
معاوية (٢) .

ويستدل على ذلك بأن فارسية الكتاب
والشعراء والدارسين والصحفيين اليوم يتشكل
القدر الأكبر منها من العربية حتى إن
العربي إذا قرأها اقتدر على معرفة موضوع
الكلام وإن أعجزه أن يفهم دقيق الفهم .
وأذكر أن أديبا إيرانيا قرأ ديوانا من
الشعر الفارسي لى فقال : كأني بك نتحاشي
إيراد الألفاظ العربية في شعرك الفارسي
لتفرغ عليه رونق الفصاحة . وهذا
حسن عند بعضهم . ولكن أحسن منه أن
تمزج الفارسية بالعربية فأيقنت أن امتزاج
اللغتين في النص الأدبي أوقع في النفس
وآخذ بالقلب .

أما لغة العلم كالطب على سبيل المثال
فمصطلحاتها عربية كالأسماء فيها ، فالقلب
والكبد لا يذكران إلا بلفظهما العربي . وهذا
قريب الشبه بتلك المصطلحات التي ترد
باللاتينية واليونانية في اللغات الأوروبية .

ويمكن القول بعامة إن شخول العربية
على الفارسية كان بطيئا ولكن في اتصال
ودوام . مما أفضى إلى امتزاج اللغتين .
وعلى الخصوص في لغة صفوف القوم ولغة
البلغاء ، غير أن الألفاظ العربية أقل عددا
في اللهجات الشعبية . وقد زاء تأثر
الفارسية بالعربية في نهاية عصر المغول

Rypka : Iranische Literaturgeschichte. S 73 (Leipzig 1939)

(١)

Nicholson : A Litrary History of the Arabs. P256 (Cambridge 1930)

(٢)

ويرى دارميتر في كتابه دراسات إيرانية فارسية الكلمة وأن الوزير وزير الملوك النوبي ويؤيد دعواه بأن الوزير ليس من الوزير بمعنى الثقل في العربية ، بل هي Vichir من المصدر Vichira في الفهلوية بمعنى البت في الأمر^(١).

ونحن لانرى حججة في الرأي الأول . ونميل إلى الأخذ بالرأى الثاني :

ولا يستقيم في الفهم ألا يقتضى قاض بين المتنازعين ولا يدير الكأس ساق على الشاربين عند الفرس ، وفي الديانة الزرادشتية حل وحرمه . فالكذب ودفن الميت في الأرض حرام . ولا بد أن يكون للحرام نقيض هو الحلال .

وإن كان هذا من رأينا خلاصا بالفرس قبل الإسلام ، وكان رأي الثعالبي متعلما بالفارسية الحديثة فإن الحفيظة لا تكاد تتغير . ففي الفارسية الحديثة الفاظ مرادفة لمعظم الألفاظ العربية وإن كان الفرس أميل إلى العربية

وأخذ العرب عن الفرس ما لا يقع تحت حصر من ألفاظ معظمها أسماء للمطعم والمشررب والنباتات والأدوات التي لا إلف للعرب بها . وقد عربوا أكثرها ومنهم من تصدى للإشارة إلى أصلها الفارسي فأصاب . وغيره لم يصب فهذا ياقوت

الحموى يقول إن المهرجان كلمة تتألف من مهر بمعنى محبة وجان بمعنى روح في الفارسية فيكون المعنى محبة الروح . والمعنى اللغوي صحيح إن حمل على هذا . ولكن الصواب أن الكلمة الفارسية هي مهر كان نسبة إلى شهر مهر وهو السابع من شهور السنة الإيرانية وكانت إقامة هذا العيد فيه .

كما قيل إن البرامكة نسبة إلى برمكم في الفارسية بمعنى أمتص ومعنى الكلمة صحيح على تعليل أن البرمكى كان يتخذ خاتما له مص سام . أعاده ليمنحه ويموت اذا أتر الموت على الحياة . والحق أن البرامكة نسبة إلى معبد بودى .

ومن المستطرف أن نورد هنا ما حاوله أبو العلاء المعرى لتفسير كلمة جلنار . وهي تتألف في الفارسية من كلمتين كل بمعنى زهر وانار أو نار بمعنى رمان فالعنى زهر الرمان . قال أبو العلاء في كتابه عجب الوليد الذي شرح فيه ديوان البحترى ما نصه :

والخاود الحسان يهوى عليها
جلنار الربيع طلقا وورده

جلنار أطرف كلام العامة وليس اسما موجودا في الكلام القديم . ويجب أن المراد به جل نار أى ما عظم من الخمر ، ثم كثر في كلام العامة حتى جعلوه كالاسم الواحد وأجروه مجرى الأسماء العربية غير المركبة

Browne : A Literary History of Persia. p255.V.1 (Cambridge 1929) (١)

والشعراء المولدون يعربون الراء فيقولون كأنه جلنار ورأيت جلنارا ولو أضافوه قالوا جل نار لكان أقيس ولو أنهم جعلوه بمنزلة حضرموت لوجب أن يقولوا هذا جلنار ورأيت جلنار ومررت بجلنار فلا يصرفون . ولم يأخذوا به في هذا المنهاج . بل أدخلوا عليه الألف واللام فقالوا الجلنار واجترأوا على توحيدته فقالوا جلنارة فأجروه مجرى تمر وتمرة : ولا أعلم هذا الاسم جاء في شعر فصيح وإنما هو لفظ محدث وكأنه جاء في الأصل على معنى التشبيه ، شبهوا حمرة بهجرة جمر وهو جل النار . ثم تصرفوا في نقله وتغييره وقالوا في تسمية الطعام الفارسي نير باج وزعموا أن نير بالفارسية ومان وفارس تنطق بالياء كأنها ألف والألف كأنها بالياء . فيجوز أن يكون نار في جل نار من هذا النحو وكأنهم أرادوا جل الرمان ويجوز أن يكون بلسانهم في غير هذا المعنى ، على أن لغتهم اختلطت بالعربية وصارت فيها حروف كثيرة من كلام العرب . وهم يسمون الفارسية الخالصة الفهلوية . والذين يتكلمون بها اليوم قليل ، تفتقر إليهم الملوك في تفسير سير المتقدمين^(١) وهذا من صنيع أبي العلاء قاطع الدلالة على أن عدم العلم بالفارسية يبعث على الخيرة

والتظنن ويسوق إلى تخريجات وتأويلات لمن حام وما ورد وغنى وما أطرب ، وإن اتسع العذر له في عدم إصابة شاكلة الصواب ،

ومما ساورهم الشك في أصله الورد : فقال القائل أظنه غير عربي . والحق أن الورد كلمة فارسية قديمة هي Wroden وفي الأرمنية Vart وعد العرب هذه الكلمة جمعا مفردة وردة : والشأن في الورد كالشأن في الفردوس وهي في الفارسية القديمة Faradis بمعنى حديقة : وفي الأرمنية Pardez بنفس المعنى وظنها العرب جمعا فجعلوا له مفردا هو فردوس .

وقد عاب صاحب الجاسوس على القاموس على الفيروز ابادي قوله في الصرد بمعنى البرد إنه فارسي معرب وقال إن ذلك تمام الغرابة لأن صرد بمعنى وجد البرد سريعا ورجل مصراد قوى على البرد وضعيف عليه والصريفة نعجة أضربها البرد ، فما الداعي إلى كون الصرد فارسيا مع وجود فعل منه . وهذا وهم سبقه إليه الجوهري غير أن المحشى صرح بأنه عربي صحيح وأن الفرس أخذوه من كلام العرب^(٢)

وبالرجوع إلى أصل الكلمة يتبين بما لا يحتمل من شك ولا تأويل أنها فارسية ، فهي في فارسية الأبتساق Sareta وفي الفهلوية Sart^(٣)

(١) أبو العلاء المعري : عبث الوليد ص ٨٣ و ٨٤ (دمشق ١٩٣٦)

(٢) أحمد فارس : الجاسوس على القاموس ص ٢٣٥ و ٢٣٦ (قسطنطينية ١٢٩٩)

(٣) Horm : Grundriss der neupersischen Etymologie. S161 (Heidelberg 1893)

كما أنها في الفارسية الحديثة سردي وفي الأرمنية Tsurd والثلج في الأرمنية Sar .
فهذا مثال آخر لما خاض فيه بعضهم على غير علم وحاولوا الاجتهاد فيه بالرأى ، فما أعقبت جهودهم إلا وحما . وماذا إلا لأن حقائق اللغة حقائق ثوابت ، يتوجب في المقايسة بينها الاتكاء إلى أس من المعرفة ركين

بالقولين جميعاً أى قال بوجود الأعجمي وعدمه في وقت معا . فهذه الحروف وأصولها أعجمية كما يقول الفقهاء إلا أنها سقطت إلى العرب فاعربتها بألسنتها وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية ثم نزل القرآن فاختلطت هذه الحروف بكلام العرب . فمن قال إنها عربية فهو صادق ومن قال إنها أعجمية فهو صادق (٢)

ونأنس في هذا الصدد بقول من قال إن العرب تكلمت بشيء من الأعجمي ، وانصحيح منه ما وقع في القرآن والحديث أو الشعر القديم أو كلام من يوثق بعربيته ولا يصح الاشتقاق فيه . لأنه لا يدعى أخذه من مادة الكلام العربي . وهو كادعاء أن الطير ولدت الحوت . فما ورد في بعض التفاسير من أن إبليس مأخوذ من الإبلان ونحوه خطأ . والتعريب نقل اللفظ من الأعجمية إلى العربية والمشهور فيه التقريب وسماه سيبويه وغيره إعراباً فيقال حينئذ معرب وتقرب (١)

ويؤيد هذا قول سيبويه إنهم يغيرون من حروف الأعجمية ما ليس من حروفهم فربما ألحقوه ببناء كلامهم وربما لم يلحقوه (٣)
وخاتمة القول في ذلك أننا نجد الصلة الوثقى بين العربية والفارسية صنوين متكاملين متلازمين ، فلنذهب نلتبس ما بين العربية والتركية .

وذلك يفضى بنا إلى فتح البصر على ما قيل من أن القرآن يخلو خلوا تاماً من كلام العجم . وهو برمته بلسان عربي مبين . والقائلون بهذا على حجة من قوله تعالى (إنا جعلناه قرآناً عربياً) وقوله (بلسان عربي مبين) ويحسم الخلاف في هذا من أخذ

فالتركية من سلالة لغوية غير السلالتين اللغويتين اللتين تنتسب إليهما العربية والفارسية وتعرف بسلالة أورال التاي . نسبة إلى المنطقة المنحصرة بين هذه الجبال في آسيا وهي لغة التصاقية أى ان التصاق الحروف بالكلمات فيها يحدد دلالتها . وهذا ما يجعلها تختلف الاختلاف كله عن لغة الفرس والعرب . على نقيض ما يلوح من كثرة الألفاظ العربية فيها : وتأثرها

(١) الجواليقي : شفاء الغليل . ص ٢ و ٣ (القاهرة ١٣٢٥)

(٢) ابن فارس : الصحاح . ص ٢٩ و ٣٠ (القاهرة ١٩١٠)

(٣) سيبويه : الكتاب . ص ٣٤٢ و ٢ (القاهرة ١٣١٩)

بالعربية من سبيل آخر غير ما عرفنا في
تأثير الفارسية .

أمرها ثلاث طبقات للغة واحدة هي لغة
الأدب الإسلامي^(١)

فالسلاحقة الذين عاش العثمانيون في كنفهم
كانوا تركا في جنسهم فرسا في لغتهم وأدبهم
بل إن الفارسية ظلت لغة العثمانيين الرسمية
إلى عهد السلطان مراد الأول المتوفى عام
١٣٥٩م. فتأثرت التركية بالفارسية في أعماقها
وأبعادها . ولما كانت الفارسية تتضمن
كثيرا من الألفاظ والتراكيب العربية -
دخلت العربية على التركية بالواسطة . وهنا
نجد الفرق بينا بين تاتر اللغتين بالعربية
فقد اختلطت الفرس بالعرب وأخذوا عنهم
لغة دينهم . وكان هذا الأخذ مستقيما مباشرا
أما العثمانيون فورنوا السلاجقة في ملسكهم
وثقافتهم . وكانت الفارسية قواما للثقافة
عندهم . فأخذوا عنهم الفارسية والعربية
ضمنا . ومست حاجتهم إلى النفقة في دينهم
فكان علمهم بالعربية حتما لازما . وكان
علمهم وأدبهم على علم بثلاث لغات هي
التركية والفارسية والعربية . واصبحت لغة
العلم والأدب عند الأتراك العثمانيين مزيجا
من تلك اللغات وإن كان العنصر العربي
هو الأرجح .

وقد عبر بعض الباحثين عن هذه الظاهرة
بقوله إن العربية والفارسية والتركية في واقع

كما قبل إن بلغاء الترك أقبلوا إقبالا شديدا
على التباهي بثقافتهم الفارسية العالية ،
فأفعدوا لغتهم بكثير من الألفاظ الفارسية
وكان من أثر ذلك أن تبرقشت لغتهم
وأشرقت ديباجتها ، إلا أن هذا الرواء جعل
التركية نسبتهم إلى فهم السواد فما استطاع أن
يفقه شيئا من نصوصها إلا قلة من الخواص^(٢)
وهذا برهان قاطع على التقاء العربية
بالفارسية في التركية واندماج تلك اللغات
الثلاث في لغة واحدة .

وما كان بين العثمانيين والعرب في أول أمرهم
خلطة كما كان شأن العرب مع الفرس . ولا
وجود للتركي المعرب كالفارسي المعرب
ولا كانت العربية راجحة على التركية عند
العثمانيين في التعبير والتأليف . وإن ألف
علماء وأدباء التركية بالعربية ، في الأحايين
إلا أنهم لم يبلغوا في ذلك مبلغ الفرس . كما
نظم بعضهم بالعربية . ولكن فرق بين
ما نظموه وما نظمته الفرس في كثرة وجودته .
واختلفت دلالة بعض الألفاظ العربية
بعد دخولها التركية مثال ذلك كلمة ناموس .
فإنها في التركية بمعنى الشرف . وورم بمعنى
دات الرثة . وكان الخط العربي هو الخط
الذي كتب به العثمانيون وأدخلوا عليه حروفا

(١) Hachtmann : Europäische Einflüsse in der Türkei. S. 9 (Berlin 1918).

(٢) Menzel: Die türkische Literatur S 2289, Die Orientalischen Literaturen. (Berlin 1925)

ينأتى بها نطق حروف فى لغتهم ونطقوا
الألفاظ العربية بلكنة الأعاجم شأنهم فى ذلك
شأن الفرس :

واتسع الأتراك العثمانيون فى الفتح :
وأصبح لهم السلطان فى بلاد عربية . وعاشوا
العرب فى ديارهم . وكان أن أثرت التركية
فى اللغة العربية الدارجة بخاصة : ومازال
للتurكية كيان فى العامية المصرية والعراقية
وعامية أهل الشام . وحقيق بالذكر أن
التركية دخلت على العربية العامية بكثير
من الألفاظ والعبارات الفارسية التى تضمنتها
وبذلك عقدت الصلة بين الفارسية والعربية
العامية . وبقيت فى المصرية الدارجة بألفاظ
فارسية نسيت فى لغة الترك مثل بس بمعنى
كافٍ وطربوش وأصلها سربوش بمعنى
غطاء رأس وكان مما تلبسه التركيات منذ
مائتى عام . كما احتفظت لغة الحديث فى
مصر بألفاظ تركية لا علم للترك اليوم بها
مثل جزمه بمعنى حذاء وجردل بمعنى دلو
ومزين بمعنى حلاق وزاحمت التركية بما
حوته من فارسية لغة الشعب فى أسماء الأطعمة
والأشربة والألبسة ومعظم ما يجرى على الألسنة
دائرا بين الناس فى معاملاتهم : وللتurكية
الفاظ مازالت فى لغة الدواوين والمدارس

والمصانع : وهى أظهر فى الجيش واصطلاحاته
العسكرية :

وللمصريات ولوع باختيار أسماء مستطرفة
لبنائهن خصوصا . وهن يحترننها تركية
أو فارسية مأخوذة عن التركية :

ومنذ خمسين عاما ظهر فى الترك اتجاه
فكرى قومى لإحياء الحضارة التركية التورانية
وذلك بقتلها بحثا ودرسا والاستعانة بها فى
خلق روح جديدة وحماسة عارمة .
وإعجاب بما كان للترك قبل الإسلام من
سابقة فى المجد : وقد زعم على هذه النزعة
ضيا لوك الب : فحضر على أن يكون
التعبير بتركية سلسة خلقت من العربية والفارسية
وكان ذلك ذهابا منه إلى إدخال الطابع القومى
الأصيل والقضاء على الطابع الدخيل . ودعا
إلى أن تكون التركية من عنصر واحد تركى
لا يطمسه عنصران عربى وفارسى^(١)

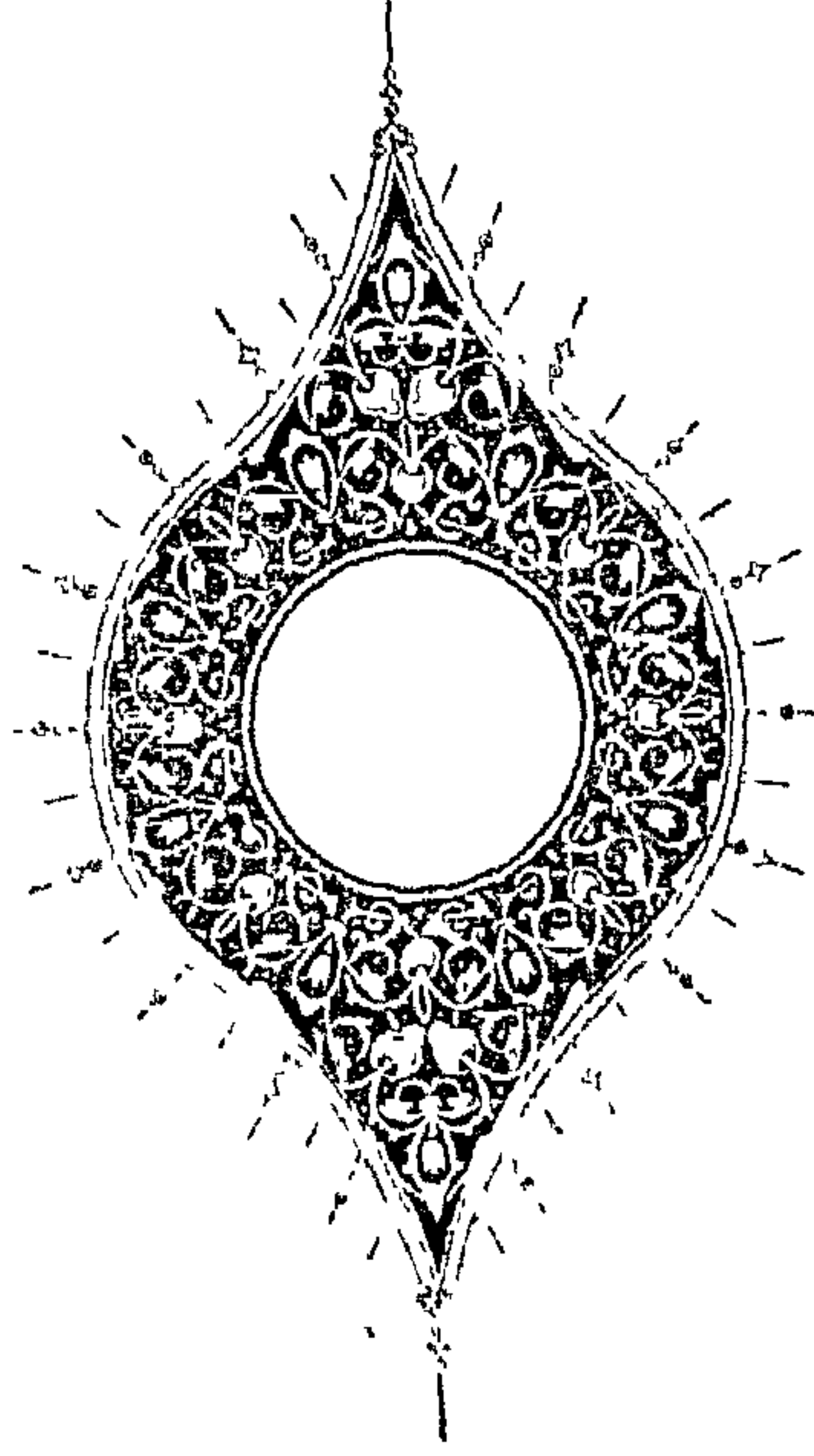
وجعل ضيا كوك الب يحرر المقالات
وينظم الشعر ويؤلف الكتب فى مسعى لتأييد
دعوته إلى أن مات عام ١٩٣٤ وصادفت
فكرته هوى فى النفوس . فظهر الميل إلى
تخليص التركية من العربية والفارسية
وكان ذلك ضمن نزعة تجديدية عمت

(١) د . حسين مجيب المصرى . تاريخ الأدب التركى . ص ٥٠٤ (القاهرة ١٩٥٠)

مظاهر الحياة التركية وفي عام ١٩٢٦ أقر مؤتمر منعقد في باكو أن تحل الحروف اللاتينية محل الحروف العربية . غير أن هذا التغير كان في المظهر أوضح منه في الجوهر وماذاك إلا أن الألفاظ العربية والفارسية وإن قات عما كانت عليه في سالف الأيام ظلت في نخط يستغلق وأشكلت قراءة الألفاظ العربية فيه بعض الشيء وكثيرا ما يقع القارئ في اللبس امام كلمة عربية كتبت بحروف

لاتينية : والترك من أنشد إلى يومنا هذا يبدلون الوسع في البحث عن ألفاظ تركية قديمة يستغنون بها عن الألفاظ العربية . ولكن مع كل هذا من جهدهم لم يستطيعوا القضاء المبرم على العربية في لغتهم وجملة القول أننا في العربية عند الفرس والترك . نلاحظ كثرة من وجوه لتشابه وتخالف واتفاق :

دكتور حسن مجيب المصري



حركة المعنى في شعر المتنبي

بين السلب والإيجاب

للدكتور عز الدين إسماعيل

« ما كلُّ قولِي مشروحاً لكم فخذوا
ما تعرفون ، وما لم تعرفوا فادعوا
حتى يصيرَ إلى القوم الذين غُدُّوا
سما غذيت به ، والقولُ يجتمع »
عمار الكلابي

— ١ —

أسعد قراءه طوال هذه الحقبة جيلاً بعد
جيل حتى يومنا هذا .

الحقيقة أن الشعر العربي لم يظفر بشاعر
يملاً الديننا ويشغل الناس على مدى هذا
الزمن الطويل مثل أبي الطيب ، والغريب
في أمره أن الناس لا يقرأونه مرة ويفرغون
بذلك منه ؛ فما أكثر ما يعادون قراءته
المرّة بعد المرّة ، وإذا هم ابتعدوا عنه بعض
الوقت عادوا - بحنين غريب وجاذبية
قاهرة - إلى قراءته مرة أخرى .

فكرتُ في أن أبدأ حديثي هذا
بتقرير أن المتنبي من

أسعد شعراء العربية حظاً - إن لم يكن
أسعدهم - من حيث سيورة شعره بين
الناس على مدى يقرب من عشرة قرون
ونصف قرن ، ولكنني ما ابشت أن
أحجمت عن هذا التقرير حين أيقنت أن
سعادته لم تتحقق في يوم من الأيام ، وأن
مأساته ، أو بالأحرى شعره ، هو الذي

هل مرجع هذا إلى شخصه ؟ أم إلى
مأساة حياته ؟ أم إلى شيء غريب ومتفرد
في شعره ؟

ومع أن هذه العناصر الثلاثة لا يقوم
كل منها مستقلاً عن غيره ، بل تتداخل
جميعاً في نظام موحد ، فإن شخص المتنبي
في ذاته ، أو مأساة حياته في ذاتها ، أو هما
معاً ، لا يكفيان لصنع تلك الجاذبية ،
أو إثارة ذلك الحنين ؛ فليس شخصه
نمطاً لا نظير له بين الناس ، وليست
مأساة حياته مأساة متفردة في تاريخ البشرية ،
لكن الشيء الذي يبدو متفرداً بحق هو شعره .
فقارئ الشعر العربي لا يخطئ في تمييز
صوت المتنبي من بين كل الأصوات
الشعرية التي سبقته أو عاصرتة أو لحقت
به .

وكل المهتمين بالشعر العربي قد قرأوا
المتنبي - في اعتقادي - أكثر من مرة .
وفي اعتقادي أيضاً أنهم أدركوا في كل
مرة أنهم يقرأون شعراً له تفرد ، بل ربما
كان هذا التفرد ، أو كانت معرفتهم به ،
أحد الدوافع التي دفعتهم إلى معاودة قراءته .

(١) التبيان في شرح الديوان ١ - ٦١

هذا التفرد الشعري إذن لدى المتنبي
حقيقة ملموسة إجمالاً لدى المهتمين بالشعر
العربي ، لا يمارى فيها أحد . على أن
الإحساس بهذه الحقيقة - في إجمالها - ليس
شيئاً جديداً يختص به أبناء عصرنا هذا ،
فقد خامر نفوس الناس منذ البداية : منذ
أن كان المتنبي نفسه مازال يضرب في
الحياة وينشد الأشعار . فقد أدرك معاصروه
ومن جاءوا من بعده تفرد شعره وسط خضم
الشعر العربي ، سواء من أحبه منهم ومن
أبغضه .

ويمكننا أن نستشف هذا من قول العكبري :
« أجمع الحُذَّاقُ بِمَعْرِفَةِ الشعر والنقاد أن
لأبي الطيب نوادر لم تأت في شعر غيره ،
وهي مما تخرق العقول »^(١) . ومن
تعليق ابن جني على بيت المتنبي الذي
يقول فيه :

أَرَانِبُ غَيْرَ أَنَّهُمْ مَلُوكُ
مُفْتَحَةُ عِيُونِهِمْ نِيَامُ

حيث يقول : « المعهود في مثل هذا
أن يقال : هم ملوك إلا أنهم في صورة
الآرانب ، فتزايد وعكس الكلام مبالغة ،

فجعل الأرناب حقيقة لهم والملوك مستعاراً فيهم . وهذا عادة له يختص بها^(١) .

ومدلول كلمة « نواذر » في عبارة العكبرى واسع ، ولكن يكفيننا على كل حال تقرير النقاد والحدّاق بمعرفة الشعر القدائي: أن شعر المتنبي ينفرد بها . أما وصفهم لهذه النواذر بأنّها «تخرق العقول»^(٢) فوصف لا أظنه أطلق على غير أشعار المتنبي . وهو وصف عظيم الدلالة بالنسبة لما نتحرك نحوه في هذه الدراسة .

أما تعليق ابن جني - بغض النظر عن تحليله البلاغي للبيت - فإنه يحس - جزئياً - ظاهرة عامة في شعر المتنبي ، هي أنه شعره له خصوصياته ، وأن تكرار هذه الخصوصية إنما يمثل « عادة » شعرية لدى المتنبي ، ينفرد بها بين الشعراء . ولا شك أن ابن جني وغيره من الحدّاق بمعرفة الشعر قد سجلوا - في مواطن متفرقة - كثيراً من هذه « العادات الشعرية الخصوصية » لدى المتنبي .

ويكفي أن أذكر الآن - على سبيل المثال - تلك الواقعة التي يحكيها ابن جني نفسه فيقول : « قلت لأبي الطيب في بعض ما كان يجري بيني وبينه : إنك تستعمل لفظ « ذا » و « ذى » في شعرك كثيراً . فأمسك عن ذلك ولم يجب »^(٣) .

وهذه الواقعة تروى في سياق الحديث عن نقد ابن جني لصديقه المتنبي . على أن قليلاً من التأمل فيها يدلنا على أن ابن جني لم يكن في موقف نقد بقدر ما كان ملاحظاً لخصوصية من خصوصيات شعر المتنبي ، أو عادة من عادات المتنبي الشعرية .

ومن هذه الواقعة ، ومن الشاهدين السابقين ، نستطيع أن ندرك أن القدائي قد أحسوا بتفرد شعر المتنبي ، وأنهم حاولوا - بطرقهم الخاصة - رصد مظاهر هذا التفرد . ومن استقراء شواهدهم يتضح لنا أنهم اتجهوا في هذه المحاولة (وفقاً لمنهجهم في التحليل) مرة نحو نواذر معانيه ومرة نحو خصائصه الأسلوبية . لكن هذه المحاولة كانت محكومة منذ

(١) المصدر نفسه ٤ - ٧٠

(٢) عبد الرحمن بن عبد الله الحصري : تنبيه الأديب ، على مافي شعر أبي الطيب من الحسن والمعيب ، ص ٦٤

البداية وحتى العصور المتأخرة بمنهج بلاغي يقوم على مجموعة من القواعد الشكلية الثابتة ، التي يتخذ منها الناقد أساسا عاما للنظر والوصف والتقدير . ومن ثم تصبح ظاهرة تفرد شعر المتنبي ، التي أحس بها نقاد الشعر قديما كما نحس بها اليوم ، تصبح على أيديهم بالضرورة موضوعا لهذا المنهج الشكلي ، الذي يقدم التفسير لها وفقا لمعطياته الثابتة . وعلى نحو آخر نقول : إنهم حاولوا فحص ظاهرة تفرد شعر المتنبي في ضوء مجموعة من الاعتبارات البلاغية المقررة الثابتة ، أي أرادوا فهم « التفرد » في إطار « المؤلف » . وهم بذلك قد أحالوا المتفرد إلى المعروف ؛ بدلا من أن يحاولوا فهم المتفرد من داخله ، أي بدلا من الكشف عن قوانينه الخاصة .

وعلى سبيل المثال نشير إلى ما علق به الثعالبي صاحب « يتيمة الدهر » على البيت الذي يقول فيه المتنبي :

أزورهم وسواد الليل يشفع لي
وأنثنى وبياض الصبح يُغري بي
حيث يقول : « هذا البيت أمير

شعره ، وفيه تطبيق بديع ، ولفظ حسن ، ومعنى بديع جيد . وهذا البيت قد جمع بين الزيارة والانشاء والانصراف ، وبين السواد والبياض . والليل والصبح . والشفاعة والإغراء ، وبين « لي » و « بي » . ومعنى المطابقة أن تجمع بين متضادين كهذا » .

وفي وصف الثعالبي هذا البيت في مستهل كلامه بأنه أمير شعر المتنبي ما يدل على أن الرجل قد أحس أنه بإزاء كلام غير مألوف . وأنه يتفرد حتى بالنسبة لسائر شعر الشاعر . وهو إحساس صادق من غير شك ، لا نملك إلا أن نقره عليه ، ولكنه عندما راح يفحص وجه التفرد في هذا البيت لم يجد من الوسائل ما يسعفه سوى المعطى البلاغي المسمى بالمطابقة ، فوجد تقابلا ، أو تضادا - كما يقول - بين كل لفظ في الشطر الأول وموازيه في الشطر الثاني . وبتحقيق هذا التطابق التام بين شطري البيت تحققت جودته ، وكأنه هو سر تفرده . والواقع أن هذه المطابقة لا تصنع لبيت المتنبي أي تفرد ، بل تجعله واحدا من أبيات

لا حصر لها من شعر الشاعر نفسه وأشعار غيره ، يتحقق فيها هذا التطابق الشكلي على هذا النحو . ومع أن التطابق يلاحظ ما بين معنى الكلمة ومعنى مقابلتها من تضاد فإن علاقة التضاد هنا كما رصدها الشعالي علاقة شكلية ، مثلما يستدعي النقيض نقيضه في أى تداع حر .

وهكذا استحال البيت ، الذى هو « أمير شعر » الشاعر ، إلى مجموعتين من الألفاظ المتضادة المعاني . ولكن هل كان كل هم المتنبي هو أن يحشد بيته هذه الألفاظ المتضادة فى المعنى ؟ وهل هذا - لو صح - يكون مصدر براعة منه ، فضلا عن أن يكون علامة تميز وتفرد ؟

الواقع أننا لو تعاملنا مع هذا البيت على هذا المستوى لما استحق أن يكون شعرا أصلا ؛ لأنه لا يمثل عندئذ إلا ضربا من المهارة اللغوية ، ومعرفة واسعة بتفردات اللغة . ولم يكن المتنبي تنقصه المهارة اللغوية ، والخبرة الواسعة باللغة ، ولكن الدلالة عليهما أو الإدلال بهما لم يكن منتهى خايته من الشعر . فقد كان الشعر بالنسبة إليه - أو هكذا هو كما يبدو لنا - أداة للكشف عن الأبنية الجوهرية للحياة من

خلال ما يتراكم من تفصيلاتها وجزئياتها . وعلى هذا الأساس يصبح التقابل الحقيقى الذى أقام عليه بناء ذلك البيت هو التقابل بين عنصري القوة والضعف حين يتمثلان فى حياة الإنسان . فسواد الليل عنده تجسيم مألوف لمرحلة الشباب فى حياة الإنسان وبياض الصبح تجسيم مألوف لديه كذلك لمرحلة الشيخوخة . فالسواد والبياض هنا هما سواد الشعر وبياضه . وهذه الدلالة مألوفة بلاشك فى تراث اللغة الشعرى ، ولكن المتنبي جاوزها هنا مرتين : مرة حين انتقل من سواد الشعر وبياضه إلى الشباب والشيخوخة ، ثم مرة أخرى - وهى الأهم - عندما انتقل من الشباب والشيخوخة إلى القوة والضعف . ومع القوة الشجاعة التى قد تصل أحيانا إلى المغامرة التى لا تؤمن عقبائها ، ومع الضعف التخاذل والانطواء وقبول المهانة .

ولا نريد أن نمضى الآن إلى أبعد من هذا فى الحديث عن البناء المعنوى لهذا البيت ونحن لم نشرح بعد وجهة نظرنا فى منهج المتنبي فى بناء المعنى . وكل ما قصدنا إليه هنا هو الدلالة على أن المنهج الذى عالج به القدامى ما أحسموه من تفرد

شعر المتنبي كان بطبيعته قاصداً ، فلم يتجاوز ملاحظة الظواهر الشكلية التي لا تمثل بحال من الأحوال الهدف النهائي لشعر الشاعر .

ثم نعود الآن فنتساءل : هل كان المتنبي نفسه مدركاً لتفرده في الشعر؟ وعلى أى نحو ؟ وبعبارة أخرى نقول : هل كان يعرف موطن تفرده في هذا الضرب من النشاط الإنساني ؟

ولا أحسبنا في حاجة إلى التوقف عند الشواهد الكثيرة من شعره ، التي يعلن فيها في صراحة مشوبة بكثير من الاعتزاز بالنفس ، تفرده في عالم الشعر . ونكتفي الآن بالوقوف عند شاهدين له : الأول قوله :

أَبَيْتُ مَلءَ جُفُونِي عَنْ شَوَارِدِهَا
وَيَسْهَرُ الْخَلْقُ جَرَّاهَا وَيَخْتَصِمُ

فهذا القول صريح في دلالة على إدراكه لكون ما يقول من شعر غير مألوف لدى الناس صدوره عن غيره من الشعراء؛ فلو أنه كان من المألوف لما احتاج الناس إلى سهر الليالي وكد الأذهان في سهر أغواره واستخراج مراميه ، دون

أن ينتهوا بعد كل هذا العناء إلى الإدراك السليم لهذه المرامي ، أو الاتفاق على فهم موحد لأهدافه . أما اعتزازه بنفسه فتدل عليه كذلك لا مبالاته بمآزقهم التي وضعهم فيها ، وتنعمة بالنوم العميق في حين هم ساهرون مرقون. والشاهد الثاني قوله :

أَرَأَيْتُمْ مَعْصَاتِ الشَّعْرِ قَسْرًا
فَأَقْتُلُهَا ، وَغَيْرِي فِي الطَّرَادِ

والعنصر المشترك بين هذين الشاهدين ، والمائل في سائر الشواهد ، هو أن المتنبي لا ينظر إلى نفسه وقدراته بمعزل عن الآخرين ، بل هم دائماً حاضرون في إطار الصورة ، يكونون شرطاً كاملاً منها . وهو لا يصنع هذا دائماً (فقد صار هذا « عادة » من عاداته الشعرية - كما سيتضح فيما بعد) إلا لكي يبرز تميزه وتفرده بالقياس إلى الآخرين .

وفي هذا الشاهد الثاني يحدد المتنبي موطن تفرده فإذا هو في مجال العويص من معاني الشعر . فهو يظل بهذه المعاني العويصة النافرة حتى يخضعها ويمسك بأزمته ، في حين يلهث وراءها الآخرون دون جدوى . وهو لا يبذل في تحقيق هذا

هذا كبيراً : لأنه ألف هذا العمل .
أما قوله : قسرا ، فيدل على اقتداره :
وعلى إدراكه لهذا الاقتدار .

المتنبى إذن يعنى جيدا مجال تفرد
بين غيره من الشعراء ، وهو المعانى -
الرسالات ، التى لا يقدر على الغوص إليها
واستخراجها وتجليتها أحد من الشعراء
بتل قدرته . وبقدر ما يسهل عليه القيام
بهذه المهمة ، حيث صارت معتادة له .
تقف هذه المعانى أمام الآخرين « خارقة
لعقولهم » ، لا لشيء إلا لأنها خارقة
لعاداتهم فى التفكير ، محملة بروى لم
تخطر لهم ، لأنها تتجاوز قدراتهم . ومن
أجل هذا أحسوا إحساسا عاما بتميزه
وتفرد ، ولكنهم لم يستطيعوا الوقوف
على أسرار هذا التميز أو التفرد .

وقد قيل قديما إن الشاعر أعرف بالشاعر .
وسواء صح هذا القول على إطلاقه أم لم
يصح فإن أحدا ممن تحدثوا قديما عن
موطن تميز الشعر لدى المتنبى لم يقرر
الحقيقة بالوضوح أو الحسم الذى قررها
به المظفر الطبرى حين عرف بمقتل المتنبى
فرثاه بأبيات جاء فيها :

ما رأى الناس ثائق المتنبى
أتى ثاقب يرى ليكر الزمان
كان من نفسه الكبيرة فى جيش -

وفى كبرياء ذى سلطان
هو فى شعره نبى ولكن
ظهرت معجزاته فى المعانى

فالطبرى هنا إذ يقرر تفرد المتنبى
يعلن أنه شاعر النبوة ، ويحدد تحديدا
قاطعا أن مجال المعانى هو موطن إعجازه
وتفرد . ونبوة الشعر التزام ورسالة
بقدر ما هى مجاوزة للمألوف ، وكشف
للحقائق الجوهرية ، وصياغتها فى نسق
أو نظام متكامل .

- ٢ -

هكذا تقودنا كل الشواهد إلى القول
بأن حقيقة ما يجذبنا فى شعر المتنبى
ويأسرنا إليه هو عالم المعنى عنده أولا
وقبل كل شيء . وكما أكدنا من قبل
أننا لا ننفى الترابط الوثيق بين شعر
المتنبى وشخصه ومأساة حياته ، وأننا -
على العكس - نرى فى هذه العناصر الثلاثة
تلازما وترابطا وثيقا فى نظام أو بنية
موحدة ، فإننا نؤكد هنا كذلك أن عالم

المعنى الذى دلتنا الشواهد على أنه موطن التميز والتفرد فى شعر المتنبي لا ينفصل بحال عن طريقة أداء هذا الشعر ، وعن الوسائل المختلفة التى استخدمت فى هذا الأداء . فعالم المعنى ، وطريقة الأداء ، ووسائل هذا الأداء ، ترابط كذلك ترابطا وثيقا فى نظام أو بنية موحدة هى الشعر .

فإذا نحن قصرنا النظر هنا على عالم المعنى عند المتنبي فلأنه موضع التميز والتفرد أولا ، ولأننا نريد أن نستكشف أسرار هذا العالم ثانيا . وليس أشق من أن يتعامل المرء مع المعانى ، حيث تتراجع وظائف الحواس وتصبح مجرد وسائل تقريبية . ولكن ييسر علينا هذه المشقة ما نهدف إلى تحقيقه ونراه قد صار ضرورة ملحة ، وهو فهم المنطق الذى يتحرك به عقل المتنبي فى عالم المعنى ، والقوانين الأساسية التى رآها تحكم تركيب الحياة والوجود الإنسانى على السواء .

ولنبداً الآن فى تحديد السمة العامة التى تميز عالم المعنى عند المتنبي عنه عند غيره من الشعراء .

والحق أن النقاد منذ القدم قد عرفوا أن من الشعراء طرازا يتميز بالاهتمام فى الشعر بالمعانى فى المحل الأول ، ومن ثم أطلقوا عليهم صفة « شعراء المعانى » وربما كان أبو تمام والمتنبي أبرز شاعرين من هذا الطراز . وقد كان لهؤلاء الشعراء الفضل فى أنهم أثبتوا فساد نظرية المعنى التى روجها الجاحظ فى أن المعانى ملقاة فى الطريق ، يعرفها العربى والعجمى ، وأن المعول فى الشعر على حسن السبك وإتقان اللفظ . لقد دلل هؤلاء الشعراء على أن عالم المعنى لا نهائى ، وأن الكشف عنه لا ينتهى .

والذى يعيننا هنا أن نتبين ما يخالف به المتنبي غيره من الشعراء فى منهج بنائه للمعنى وفقا لمنهج رؤيته للحياة والأشياء .

وقد اجتهد نقاد المتنبي وشرح ديوانه فى تسجيل المعانى التى وقع عليها وكان قد سبقه إليها بعض الشعراء . وفى تقديرنا أن هذه المواطن هى أصلح النماذج التى يمكن أن تكون موضوع الموازنة المطلوبة . على أن هذا الباب لا ينتهى ، وإنما يغنى قليلا عن كثيره .

لقد لاحظ شراح المتنبي - على سبيل
المثال - أن بيت المتنبي الذي يقول فيه :
وَأَسْرَعُ مَفْعُولٍ فَعَلْتُ تَغْيِيرًا
تَكَلَّفْتُ شَيْءٌ فِي طَبَاعِكَ ضِدَّهُ

هو كقول الأعور :

ومن يقترب خُلُقًا سوى خلق نفسه
يَدْعُهُ وَتَغْلِبُهُ عَلَيْهِ الطَّبَائِعُ

وقد يكون بين البيتين - في النظرة
العامة - تشابه ، ولكن الحقيقة أن الفرق
بينهما يتضح في أكثر من موطن . فالأعور
يحدد العلاقة بين الطبعين الأصلي
والتكلف بالمغايرة ، في حين يحددها
المتنبي بالتضاد . فمجرد مغايرة الطبع
المكتسب للطبع الأصلي لا تحتم ترك الطبع
المكتسب ؛ إذ يمكن أن يتعايش المتغايران
ويتكيفوا مع الوقت في وحدة منسجمة
آخر الأمر . ولكن علاقة التضاد بين
الطبعين تفترض بينهما اصطداما عنيفا .
وهو اصطدام لا يحسم منذ اللحظة الأولى ،
بل يستمر الضدان في تنازع بعض الوقت ،
يتسلط فيه الطبع الأصلي شيئا فشيئا حتى
يتم العدول عن الطبع المتكلف .

وترتيبنا على هذا يبدو وجه آخر
للاختلاف بين المعنيين هو أن الطبع
المكتسب - عند المتنبي - يتغير من مغالبة
الطبع الأصلي له . وهو تغير يتم بطريقة
سرية في نفس الشخص ، دالا بهذا على
الصراع الخفي الذي يدور بين الطبعين ،
في حين يبدو أمامنا الشخص الذي اقترب
خلقا غير خلقه عند الشاعر الآخر وقد
عدل عن هذا الخلق (يدعه) بوعى
منه .

والخلاصة أن المتنبي يقفنا على طبيعة
العملية التي تتم في داخل نفس الشخص
حين يصطنع طبعًا مضادا لطبعه ، في حين
يصور لنا زميله الأمر كما لو كان تصورا
أو فرضا ذهنيا صرفا . وبعبارة أخرى
نقول إن المتنبي يقتنص المعنى بوصفه
نتيجة لعدد من الفعاليات المتعارضة
والمتصارعة ، ويبصر به متغلغلا في نسيج
الحياة وممثلا لبعض قوانينها ، في حين
يراه زميله مجرد تركيبة تصورية ،
أو بالأحرى « صورية » ، لها إقناع
المنطق وليس لها بالضرورة صدق الواقع .

وأيضاً فقد قال أبو تمام :

هو الصُّنْعُ إِنْ يَعْجَلُ فَخَيْرٌ وَإِنْ يَرْتُ
فَللرَّيْثُ . بعض المواضع أنفعُ
أخذه أبو الطيب^(١) - كما يقال -

فقال :

وَمِنْ الْخَيْرِ بَطْءٌ سَيْبُكَ عَنِ
أَسْرَعِ السَّحْبِ فِي الْمَسِيرِ الْجَهَامُ
فأبو تمام يرى أن الصنع خير إن تحقق
له وشيكاً ، وأنه خير كذلك إن تأخر ؛
لأن التريث . بعض الحالات يكون
أجدي من الإسراع .

والمتنبى لم يتحدث إلا عن قضية
التريث ، فرأى أن إبطاء الممدوح في
تقديم عطايه إليه من الخير . وإلى هنا
يبدو متفقاً كل الاتفاق مع أبي تمام .
وفي حين يتقرر هذا المعنى في ذهن أبي تمام
على نحو تجريدي ، تقف الظاهرة الطبيعية
مائلة لعين المتنبى أو لنفسه لكي تؤكد
القضية عن طريق معكوسها . فإذا كان
القانون الطبيعي يقول إن أسرع السحب
في المسير هو قليل المطر أو الذي لامطر

فيه ، فإن البطء منها هو الكثير العطاء .
فإذا نقلنا هذا القانون لكي نطبقه في حالة
الممدوح أصبح الإبطاء قرين العطاء الوفير ،
وهو بذلك في صالح الشاعر .

أبو تمام يصوغ الحقيقة مجردة بمزج
عن الوجود الحي المعين ، والمتنبى
يستنبطها من ملاحظة الظاهرة الطبيعية
بطريقة معكوسة . فإذا كانت الظاهرة
تقول إنه لا خير في السرعة فإن معكوسها
يقول إن الخير في البطء ، وهو المراد .
والمتنبى لم يقرر صراحة أن الخير في البطء
بل قرر أن لا خير في السرعة . وهو
ما تنطق به الظاهرة الطبيعية التي سجلها
في الشطر الثاني من البيت . على أنه لم
يقرر أنه لا خير في السرعة لأن هذه هي
على التحديد القضية المطروحة ، وإلا فإن
القضية المعلنة ابتداءً في صدر البيت هي
أنه من الخير البطء والتريث . فكيف
إذن تلتقي القضيتان في رأس المتنبى ؟
إنهما تلتقيان على مستوى درامي من الطراز
الأول ، وكأن هناك حواراً خفياً بين

(١) قنیه الأدب - ٣١٠

الشاعر وممدوحه ، أو - في الحقيقة - بين الشاعر ونفسه . فنحن نستمع في البيت إلى صوتين : صوت يقول للشاعر : ماذا لو تأخر عنك الممدوح في العطاء ؟ فيجيبه الثاني مهونا من هذا الخاطر المزعج : من يدري ، ربما كان تأخره أفضل ! فيعود الصوت الأول ليسأل : ألم يكن الأفضل لو أنه بادر بعطائه ؟ فيجيبه الصوت الثاني قائلا : في هذا الطر ، فإنه لو بادر لما أعطى شيئا يستحق الذكر ، فلم التعجل إذن إذا كان التريث أفضل ؟^{١٢} وهكذا تصبح القضيتان وجهين لعملة واحدة ، يختلفان ظاهراً ولكنهما يتكاملان فلا يقوم أحدهما إلا مرتبطاً بالآخر .

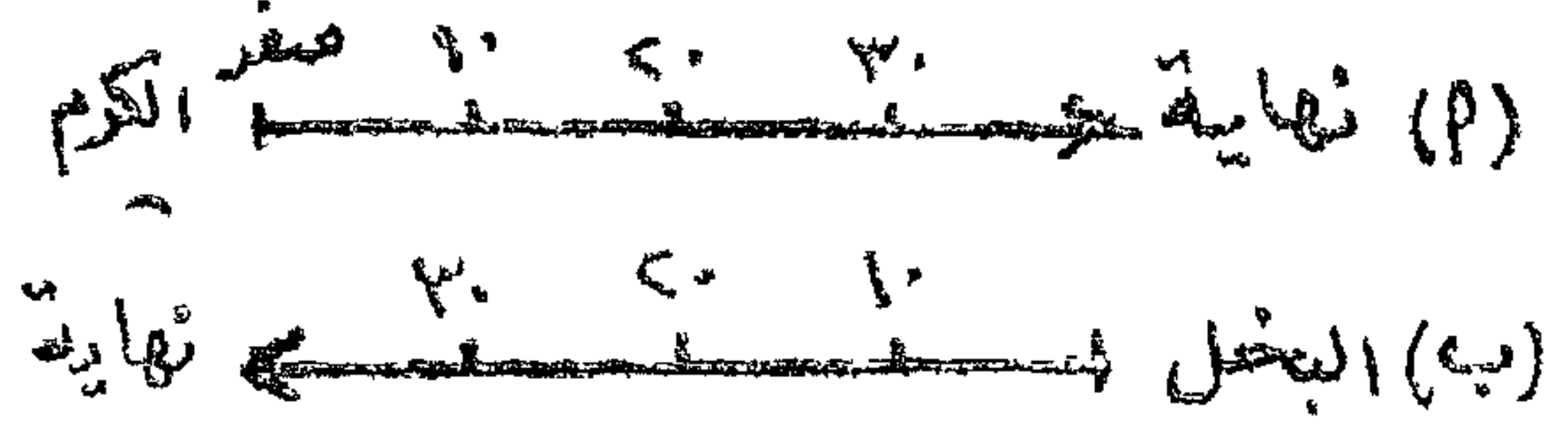
والخلاصة أن المتنبي إنما يدرك المعنى مرتبطاً بالفعاليات المختلفة في تلاقئها أو في اصطدام بعضها مع بعض أو في تنافرها وانسلاخ بعضها من بعض . وهذا الأسلوب في الإدراك قد يتمثل أحيانا لدى شعراء آخرين من شعراء المعاني كأي تمام وابن الرومي وغيرهما ، ولكنه نادر ، في حين أنه يمثل الطراز الفكري المألوف للمتنبي .

ويترتب على هذه الحقيقة أمران يزيدانها وضوحاً بقدر ما يؤكدانها :

الأمر الأول هو أنه ليست هناك معان مجردة أو مطلقة عند المتنبي . ومن ثم فليس هناك - من منظوره - معنى واحد ثابت للشيء ، بل يخضع هذا المعنى للتغير مع تغير العلاقات بين الأبنية الظاهرية للأشياء .

والأمر الثاني أنه لا يمكن إدراك معنى لشيء مفرد قائم بذاته ، بل يتحدد المعنى دائماً في حضور المعنى الآخر . فالجميل - مثلاً - لا يتحدد فيه معنى الجمال إلا من خلال رؤية القبيح .^{١٣} ومن ثم يمكن أن تنسلخ^{١٤} الأشياء من معانيها المألوفة لها إذا هي وضعت في مقابل أشياء أخرى يكتمل فيها تحقق هذه المعاني . فإنسان ما كريم يصبح بخيلاً بالقياس إلى آخر يتحقق فيه النمط الأعلى من الكرم . فالكرم والبخل إذن ليسا معنيين متقابلين ومنفصلين تقوم بينهما هوة من الفراغ

بل هما خطان متوازيان في اتجاه متعاكس ،
يتصاعد فيهما كل منهما في اتجاهه
الخاص . والشكل التالي يوضح المقصود :



فأى خط يقطع هذين المتوازيين يمر
بنقطتين متقابلتين من الكرم والبخل ،
تناسب فيهما كمية الكرم والبخل
عكسيا ، فكلما زاد الكرم قل البخل ،
إلى أن تصبح نهاية الكرم لا شيء من
البخل (صفرا) ، أو تصبح نهاية البخل
لا شيء من الكرم (صفرا) . فإذا كان
التقاطع عند خط ١٠ أ مع خط ٣٠ ب
كان من الواضح أن نسبة $\frac{10}{30}$
هى المعكوس الكمى لنسبة $\frac{10}{30}$
ومن ثم يبدو الكرم والبخل نسبیین .
وكذلك الأمر فى سائر المعانى أو القيم .

- ٣ -

وإذا كانت المغايرة بين وضعیة المعنى
لدى المتنبي ووضعيته لدى غيره من
الشعراء قد أصبحت شيئا محققا فإن
هذا يدعونا إلى تمثل السمات المميزة

لعقليته ولنهجه فى التفكير : قبل أن
نرى الأشكال المختلفة التى يتحرك بها
المعنى فى رأسه أو فى شعره .

وبعد كثير من التأمل والمراجعة تحقق
لدينا أن عقلية المتنبي عقلية جدلية
بأدق المعنى ، فضلا عن كونها قلقه
إلى حد التمزق ، متوترة على الدوام .

وفى وسعنا أن نوحز المظاهر السائرية
لهذه السمات العقلية عنده فيما يلى :
أول شيء أن المتنبي لا يفكر - بعامة -
فى معزل عن الأشياء . ومن ثم فإن المعانى
التي ينتهى إليها هى وليده جدل مباشر
بينه وبين هذه الأشياء ، أو نتيجة
إدراك منه لهذا الجدل بين بعضها وبعض .
وحرصه الشديد على حضوره الشخصى
فى قلب المعنى يؤكد هذه الحقيقة بقدر
ما يفسرها ، ولذلك يندر لديه الفكر
التجريدى الصرف .

والشئ الثانى أنه لا يفكر فى الأشياء
فى اتجاه واحد ، لأنه لا يعترف بأن
للشئ وجهاً واحداً . وأيضاً فإن
قابلية الأشياء فى منظوره للتغير المستمر ،
وإدراكه الواعى لما يكون هنالك من جدل

حاد بين ظاهرهما وباطنهما ، يجعله حريصا على تقليب النظر ومراجعة النفس بين آونة وأخرى .

والشيء الثالث ، وهو متصل بسابقه ، أن البنية الجدلية للحياة وللوجود قد انعكست على عقليته ؛ فإن منهجه في التعامل مع الأشياء لم يتبدل إلا من خلال اصطدامه العنيف بالهيام ، وكما كثيفته له التجربة العريضة الدائرية . وإذا كانت الأشياء - كما دلتها التجربة - قد اختلت وفقدت توازنها ، ذار أهل من أن يحاول إعادة التوازن إليها في ذلك .

وينتهي بنا هذا إلى المذموم التفسير وهو أن ارتباطه بالذعر كان أمرا دافعا بل ضروريا له ، لأنه عن طريقته يستطيع أن يعيد ترتيب الأشياء في بنية متوازنة ، حيث يستمتع الشعر - أكثر من أي نوع آخر من أنواع الأدب - بالحرية الكامنة في التعامل مع الأشياء ، وفي تفنيت علاقاتها الشكائية المصودة ، وسلكها في علاقات جديدة .

- ٤ -

ولننظر الآن - ونحن نقترّب من التشخيص النهائي لحركة المعنى عند

المتنبى - في بعض مواقفه من الحياة ، لننظر ماذا رسبته التجربة في ذهنه من القوانين التي تحكمها .

ففي قصيدته له يعزى بها سيف الدولة في عهد تركي له يقول :

سُبقنا إلى الدنيا ، فلو عاش أدلها
مُنعمنا بها من جبهة وذهب
تأكلها الآتي تملكه الب

وفارها الماضي فراق راب

فهو يرى في الآتي إلى الحياة سالبها من خيرها ، والفارق لها إنما يفارها لأنها سلبت منه . هناك إذن صراع خفي بين فوتين نذكر أن الوجود الإنساني في الدنيا ، إحداهما إيجابية والأخرى سلبية ، الأولى تمثل القوة والغلب والتملك ، والأخرى تمثل الدخيل والعجز والانسحاب . ومع أن حياة الإنسان التي تبدأ بالقوة والاندفاع والسلب تنتهي بالدخيل والانسحاب والانسحاب أمام القوة الفتية الجديدة ، فإن مبدأ السلب والانسحاب يظل هو الثابت القائم على الدوام ، الذي يحكم هذا النظام .

العنفوان والتملك إيجاب ، والتخلخل والانسحاب سلب . وحياة الإنسان هي حركة من الإيجاب إلى السلب ، ولكن هذه الحركة تجمع في مراحل الطريق المختلفة بالنسبة للإنسان بين نسب متعاكسة كمياً من الإيجاب والسلب ، يبدأ الصراع بينها منذ البداية ، ويستمر حتى النهاية .

وفي قصيدة أخرى يقول أبو الطيب :
أبدأً تستردُّ ما تهبُّ الدنيا -

فياليت جودها كان بخلاً

وهنا يختلف المنظور . ففي الشاهد السابق هناك عملية أخذ وعملية تخلُّ تمثلان الإيجاب والسلب ، وهنا تتمثل عملية إعطاء وعملية استرداد تمثلان كذلك الإيجاب والسلب .

لقد نظر المتنبي في هذين الشاهدين المتباعدين في شعره إلى الحقيقة من وجهيها : مرة من جهة الإنسان فرآه آخذاً وتاركاً ، ومرة من جهة الحياة نفسها فرآها مانحة للإنسان ومستردة منه مامنحت . والدورة في الحالين مستمرة . الحياة مرة هي صاحبة الفعل ، والإنسان مرة هو صاحب الفعل ، في

الإيجاب والسلب على السواء . والإنسان والحياة معا وجهان متقابلان لحقيقة واحدة ، هي التنازع المستمر بين الإيجاب والسلب .

ويقول المتنبي من قصيدة يمدح بها سيف الدولة :

ومن صَحِبَ الدنيا طويلاً تَقَلَّبَتْ

عَلَى عَيْنِهِ حَتَّى يَرَى صِدْقَهَا كَذِباً

وهو هنا يعني أن طول التمرس بالحياة

يقف الإنسان منها على وجوهها المختلفة

التي تبدو فيها بين الحين والحين .

وهناك يدرك أن ما كان يخيل إليه

أنه فضيلة فيها يمكن أن يكون رذيلة ،

وأن حقيقة ظاهرها تخالف حقيقة جواهرها .

والمهم أن تكون عينه مفتحة ونفسه

يقظة لإدراك ذلك منها ، وإلا فإن

أكاذيبها قادرة على خداعه . وليس له

أن يطمئن إلى نفسه قبل أن يكشف هذه

الأكاذيب . وهنا لك يدرك - كما أدرك

المتنبي - أن ما هو إيجاب فيها يمكن -

من منظور آخر - أن يكون سلباً ، وأن

ظاهر أمرها لا يمكن أن يمثل حقيقة

جوهرية ثابتة .

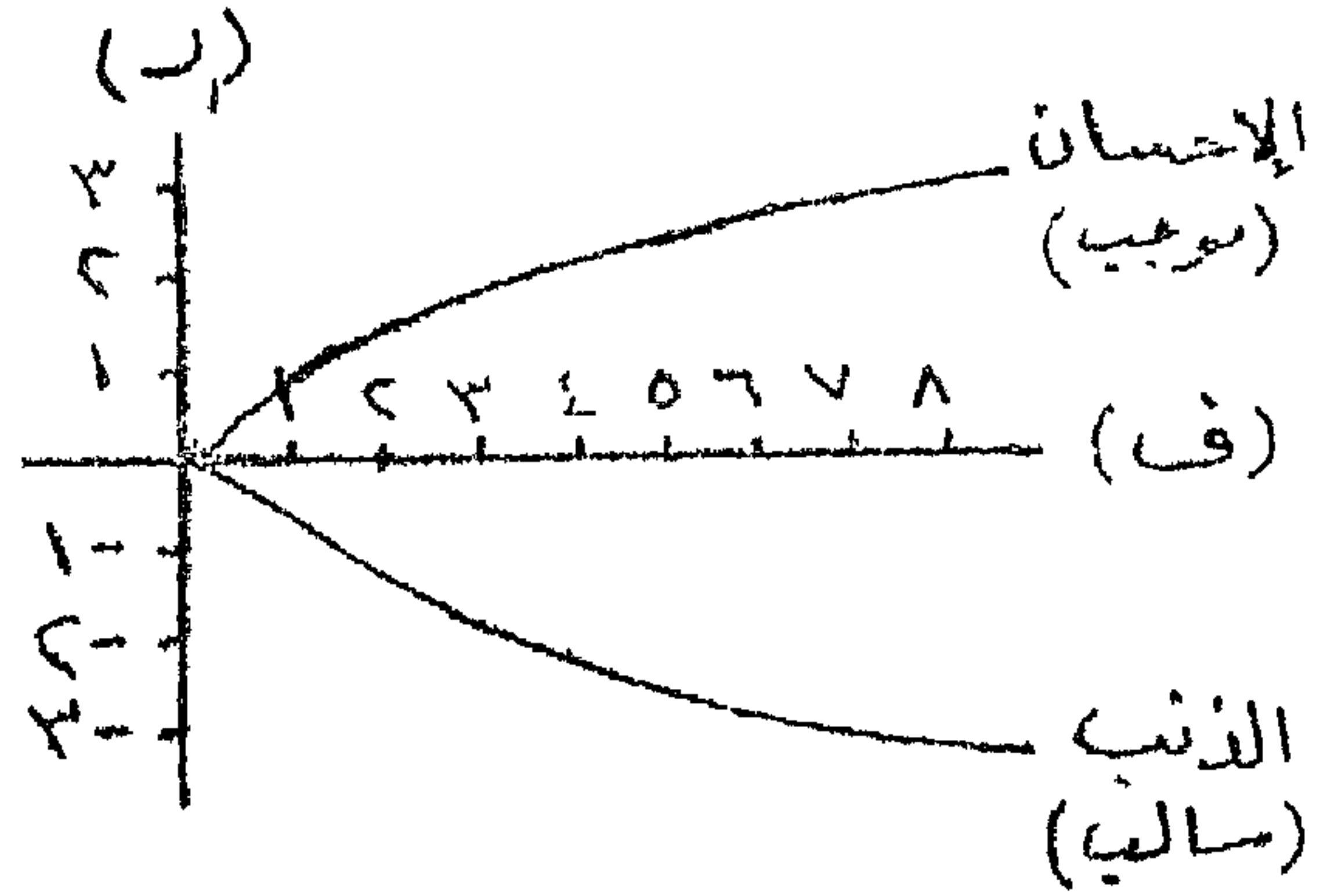
ويقول المتنبي من قصيدة له في سيف الدولة :

ويختلف الرِّزْقَانِ والفِعْلُ واحدٌ
إلى أن يُرى إحسانُ هذا لِنَدَا ذَنْبًا

وهو في هذا البيت يقرر حقيقة رياضية من الطراز الأول . ويمكن التعبير عن معنى البيت بمعادلة تمثل :

علاقة بين الفعل والرزق . وإذا رمزنا إلى الفعل بالرمز « ف » والرزق بالرمز « ر » فإن العلاقة تكون : $ر = ٢ ف$ (حيث « ف » تمثل الفعل و « ر » تمثل الرزق) .

ذلك أن لكل قيمة من قيم ف حلين ، أحدهما موجب والآخر سالب ، كما يبدو من الشكل التالي :



ف	١	٤	٩
ر	١-	٢-	٣-

فإذا أخذنا قيما مختلفة من ف وحسبنا القيم التي تحقق المعادلة من ر

وجدنا أن لكل قيمة من « ف » قيمتين تقابلانها من « ر » وتحققان المعادلة ، تكون إحداها موجبة والأخرى سالبة . فمثلا لو كانت $ف = ٤$ تكون هناك قيمتان لـ « ر » تحققان المعادلة وهما ٢ ، و $(٢ -)$ ، لأن مربع كليهما يساوي ٤ . $((٢ \times ٢) = ٤)$ ، $(٢ - \times ٢ - = ٤)$

فإذا كان « فعل » ما قيمته ٤ كانت له من حيث « الرزق » قيمتان إحداها موجبة وهي ٢ (الإحسان) ، والأخرى سالبة $(٢ -)$ (الذنب) .

وهكذا يكون الشيء واحدا وتختلف نتيجته . وأيضا فهناك الحالة الأخرى التي يكون فيها الشيئان متباعدين وإن اتفقا في الصفة - كما نرى فيما بعد . ولننظر الآن كيف تتحول المعاني - القيم إلى ما بعاكسها عندما تسلك في علاقات جديدة غير التي ارتبطت بها من قبل .

قال المتنبي يمدح علي بن منصور :

شَادُوا مناقِبَهُمْ وشَدَّتْ مناقِبَا
وُجِدَتْ مناقِبُهُم بهنَّ مثَالِيَا

فلهؤلاء مناقبهم التي يحق لهم أن يعتزوا بها ويفخروا . وتظل هذه المناقب محتفظة بقيمتها ما دامت تنسب إليهم . ولكنها لو أُدخلت في علاقة جديدة مع مناقب الممدوح تغير الأمر . وكذلك الحال إذا هي نظر إليها من خلال مناقب هذا الممدوح ؛ فسواء دخلت هذه القيم في علاقات جديدة أو أُدخلت فيها فإن النتيجة واحدة ، هي أنها تتغير إلى حد أنها تنقلب إلى ضدها ، فما كان يعد من قبل منقبة يصبح نقیصة ، وما كان مزية يصبح عيبا .

وفي هذا الاتجاه يمكننا أن نفهم قول المتنبي في قصيدته التي يمدح بها أبا أحمد عبيد الله البحتري المنبجي .

أَرَاهُ صَغِيرًا قَدْرُهَا عَظُمُ نَفْسِ

فما لعظيم قدره عنده قدرٌ
فالأشياء العظيمة إذا قيست بعظمته
بدت صغيرة ؛ أي أنها تنقلب من خلال هذه العلاقة الجديدة إلى ضدها .

وكذلك قوله يمدح علي بن أحمد بن عامر الأنطاكي :

وَأَسْتَكْبِرُ الْأَخْبَارَ قَبْلَ لِقَائِهِ

فلما التقينا صغر الخبر الخبرُ

فالأخبار كانت قد رسمت لذلك الرجل في نفس المتنبي صورة يعدها عظيمة بل مبالغا في تهويلها (أستكبر - أراه أكبر من المؤلف) ، ولكنه عندما التقى به ، وأصبح في مقدوره أن يعاين صورة ذلك الرجل بنفسه ، رأى تلك الصورة القديمة تتراجع وتضؤل أمام صورة العيانية .

وخلاصة هذا أن الشيء في ذاته قد تكون له قيمة إيجابية إذا نظر إليه مستقلا عن غيره من الأشياء ، لكن المتنبي لا يقنع حتى يدخله في علاقة مع غيره ، ويتمثله في ظرف غير الظرف الذي كان فيه ، وعند ذلك يتراءى له أن تلك القيمة الإيجابية فيه لم تكن إلا شيئا نسبيا ، حتى إنها يمكن أن تعد عند مرحلة من مراحل التدرج النسبي لسلم القيم قيمة سلبية . وهذا منطق خاص بالمتنبي ؛ إذ يرى دائما أن أي قيمة (موجبة) تتراجع أمام قيمة أخرى فإنها تدخل في منطقة (السلبي) .

- ٥ -

والآن نستطيع أن نقول إن الأشياء تتحرك دائما أمام عيني المتنبي بين

السلب والإيجاب ، فتتحدد قيمتها من خلال هذه الحركة . وهذه الحركة التي تتم في الواقع المعايين تنعكس على عقله ، فتصبح أساس منهجه في التفكير وفي بناء المعنى على السواء . وإذا كانت الأشياء لاتكف عن الحركة بين السلب والإيجاب فإن عقل المتنبي يبدو لنا دائم الحركة بينهما ، ومن ثم معانيه .

وقد رأينا وشيكاً كيف يتحول (الموجب) أمام عينيه وفي عقله إلى (سالب) ، بما يدل على عدم استقرار القيم في منظوره . والآن نقول إن هذا الذي رأيناه ليس إلا شكلاً واحداً من أشكال حركة المتنبي بين السلب والإيجاب؛ وإلا فإنه قد استوعب كل الأشكال الممكنة للعلاقة بين السلب والإيجاب كما يدلنا على هذا شعره .

ولندحاول الآن أن نقف على ما هيأته له هذه الأشكال من قدرة على استنبات المعاني التي وصفت ذات يوم بأنها «تخرق العقول» .

لننظر أولاً كيف ينقلب السالب إلى موجب في عقل المتنبي أو في رؤيته .

يقول في رثاء جدته :
منافعها - ماضراً - في نفع غيرها
تغذى وتروى أن تجوع وأن تظما
إن ما هو ضار بجدته كان نافعا
لغيرها ، فقد كانت تحرم نفسها وتؤثر بما لديها غيرها . هناك إذن ضرر واضح يلحق بها نتيجة هذا الحرمان ، ولكنه يصبح نفعاً يفيد منه الآخرون . فضرر الجدة (السالب) يؤدي إلى نفع غيرها (الموجب) .

ومرة أخرى يعود السلب فينقلب إيجاباً حين نرى أن جوع الجدة وظمأها قد انقلبا غذاء ورياً لها . ذلك أن جوعها وظمأها ، اللذين يضران بها في الواقع الحسى ، يتحولان - من خلال ما تحقق عن طريقهما من نفع للآخرين - إلى غذاء وري ينعشان روحها . وهكذا كان انتفاع الجدة بما هو في ظاهر الأمر ضار ، أو هكذا انقلب السالب إلى موجب .

وفي هذا الاتجاه يمكننا فهم بيته الذي يقول :

بذا قضت الأيام ما بين أهلها
مصائب قوم عند قوم فوائد

فالمصائب - وهى تمثل السالب فى هذا
السياق - تنقلب إلى فوائد ، أى إلى
عنصر موجب .

هذا شكل من أشكال تطاحن السالب
والموجب فى عقل المتنبي وفى رؤيته .
والشكل الثانى يتمثل لديه فى حركة
الموجب نحو السالب ، حتى لينقلب
الإيجاب سلبا . ومن هذا قول المتنبي من
قصيدته فى رثاء أخت سيف الدولة :

وإن سررن سَمْحُوبٍ فجعن به

وقد آتيتك فى الحالن بالعجب
والكلام عن الأيام وطبيعتها ، وعن
القانون المائل فيها أو الذى يحكمها .
فهى قد تسر الإنسان أحيانا بشئ ،
ولكنها تعود فتجعل هذا الشئ نفسه
سبباً للفجيعة والأسى . وهكذا ينقلب
الفرح إلى حزن ، فيتحول الإيجاب
(الذى هو السرور فى هذا السياق) إلى
سلب ، وهو الفجيعة .

ويلاحظ هنا الشكل أن يصطدم السالب
بالإيجاب فينشأ عن ذلك سلب بالضرورة .
وتتمثل لنا هذه الحقيقة فى مثل قوله :

إذا قلّ عزى عن مدى خوفٍ بغيره

فأبعد شئ ممكن لم يجد عزمًا

فالإمكان إيجاب ، وقلة العزم سلب ،
فإذا التقى الممكن بقلة العزم أصبح غير
ممكن ، ودمار أبعد شئ عن التحقيق .
والمتنبي فى هذا يلتقى التقاء عجيبا مع
القاعدة الرياضية المعروفة ، التى
لا يجادل أحد فى صحتها ، والتى تكتب
صيغتها على هذا النحو :

$$(+ \times - = -)$$

على أن عملية انقلاب الإيجاب إلى
السلب فى منظور المتنبي لا تتم نتيجة
لعملية تجريد ، ولا تتحقق كذلك
بصورة آلية ، فقد كان على وعى كامل
بالعمليات الدينامية التى تصحب هذا
الانقلاب . وقد عبرنا عن هذه
الظاهرة فى منطق تفكيره من قبل بكلمة
(التحول) . فالأشياء تتحول نتيجة
للفعاليات أو المؤثرات الحيوية المختلفة
فيتحول المعنى . فإذا قلنا إن الإيجاب
عنده ينقلب سلبا فإننا نأخذ فى الاعتبار
هذه العمليات الحيوية . وقد كان المتنبي
نفسه على وعى بهذه الحقيقة ، ودلنا
عليها عندما قال من قصيدة له فى سيف
الدولة :

وكم ذنب مؤلده دلال

وكم بُعد مؤلده اقتراب

فإذا كان الدلال إيجاباً والذنب سلباً ،
وكان الاقتراب إيجاباً والبعد سلباً .

فإن الإيجاب في كلتا الحالتين لا يصبح
سلباً بطريقة آلية أو مفاجئة . بل يتولد
السلب من الإيجاب شيئاً فشيئاً ، حتى
إذا صار سلباً كاملاً اختفى الإيجاب
نهائياً . فالاقتراب - مثلاً - لا يولد
البعد في لحظة ، بل على مدى من الزمن ،
تتم خلاله عمليات تشكل الوليد (البعد)
حتى يكتمل ، وعند ذلك يحل البعد
محل القرب ، أى يتحقق السلب نهائياً
لتلاشي الإيجاب نهائياً .

أما الشكل الثالث من حركة المتنبي
بين السلب والإيجاب فهو الذى يجمع
فيه بين الشكلين السابقين ، أى أنه
يستخرج الإيجاب من السلب ، والسلب
من الإيجاب معاً . وليس غريباً وقد تكرر
المتنبي بكل من هذين الشكلين على
حدة ، أن يجمع بينهما في مركب واحد .

لقد كان هذا الضرب من التفكير في
الأشياء قد صار عادة لديه فلا يجد في

استنبائه أدنى صعوبة ، في حين يتعب
الآخرون في فهمه .

ولنضرب لهذا الشكل مثلاً من مدح
المتنبي لأبي على الأوارجى الكاتب^١ ، حيث
يقول :

مَنْ نَفْعُهُ فِي أَنْ يَهَاجَ ، وَضَرُّهُ
فِي تَرْكِهِ . لَوْ تَفْطِنُ الْأَعْدَاءُ

فأهأهنا في هذا البيت حالتان للرجل^٢ ،
حالة نفع (إيجاب) وحالة ضرر (سلب) .
فإذا نظرنا في الحالة الأولى كيف يتم
له النفع وجدنا هذا رهناً بأن يهيجه
أعداؤه إلى الحرب . والحرب بطبيعتها
غير مأمونة العواقب ، ولكنها بالنسبة
إلى رجل تمرس بها مثله تصبح مثار لذته
واستمتاعه . إنه في خلالها وعن طريقها
يجد نفسه . فإذا كان وجدانه لنفسه
ولذته واستمتاعه تمثل مجتمعة قيمة
إيجابية فإن هذا الإيجاب لا يتحقق -
كما رأينا - إلا من خلال الحرب
(السلب) .

أما في الحالة الثانية فإن الضرر (وهو
قيمة سلبية) يتحقق له إذا ما تركه
أعداؤه في راحة ودعة . فحالة المسألة

أو السلام^١ إذن (وهى تمثل القيمة الإيجابية^٢) وهى التى تقتل^٣ نفسه^٤ أو تلحق بها الأذى^٥ .

وهكذا يتولد الإيجاب فى الحالة الأولى من السلب^٦ ، ويتولد السلب فى الحالة الثانية من الإيجاب^٧ . والحالتان معا ترتبطان بشخص واحد .

وسوف نجد المتأمل فى شعر المتنبى أنه يتقن استخدام هذا الشكل المركب من موجبين^٨ وسالبيين^٩ وينوع^{١٠} عليه تنويعات^{١١} مثيرة . ومثال هذا قوله من قصيدة يمدح^{١٢} بها^{١٣} أبا^{١٤} العشائر^{١٥} الحمدانى^{١٦} :

فَأَكْبَرُوا فِعْلَهُ وَأَصْغَرَهُ

﴿ أَكْبَرُ مِنْ فِعْلِهِ الَّذِى فِعْلُهُ ﴾

فهناك فعل^{١٧} لأبى العشائر^{١٨} ، يراه الآخرون كبيرا^{١٩} (قيمة إيجابية) ويراه هو نفسه صغيرا^{٢٠} (قيمة سلبية) . ثم هناك فعله الذى رآه الناس كبيرا^{٢١} واستصغاره إياه وتهوينه من شأنه . هذا الفعل الكبير ينقلب صغيرا بالقياس إلى فعل

الاستصغار نفسه ، الذى صدر عنه . ومن ثم يصبح الفعل الكبير قيمة سلبية بعد أن كان قيمة إيجابية ، وذلك بالقياس إلى فعل الاستصغار الذى يحمل قيمة إيجابية أعلى ، تأسيسا على نظرة المتنبى العامة التى سبق شرحها ، وهى أنه إذا تفوق إيجاب على إيجاب فإن الإيجاب المتراجع يصبح فى منطقة السلب بالنسبة للإيجاب المتفوق . (على سبيل المثال ، يصبح سيف الدولة ولو إلى حين - فى منطقة السلب بعد أن كان إيجابا ، وذلك عندما يرى المتنبى فى^{٢٢} كافور - إلى حين أيضا - إيجابا يفوقه) .

ومن هذا الباب أيضا أن المتنبى قد ألف أن يستخدم صيغ اللغة المثبتة (أى الموجبة) ليدل بها على معنى سلبي ، والصيغ المنفية (السالبة) ليدل بها على معنى إيجابى ، ومن هذا قوله :
حُسْنُ الْحَضَارَةِ مَجْلُوبٌ بِتَطَرُّفَةٍ
وفى البداوة حُسْنٌ غَيْرُ مَجْلُوبٍ

(١) ربما كان هذا المعنى نفسه قد صيغ بصورة أوضح فى قول المتنبى فى سيف الدولة :

وَأَتَى الْمَرْءَ قَمَرُضُ الْخَشَايَا لَهْمَتَهُ ، وَتَشْفِيهِ الْحُرُوبِ

فالراحة (الإيجاب) تجلب المرض (السلب) ، والحرب (السلب) تجلب الشفاء (الإيجاب) .

فصيغة مجلوب بتأريفة إيجابية ، وصيغة غير مجلوب سلبية ، وهى سالب للإيجاب الأول نفسه . لكن المعنى المقصود من هذا الإيجاب معنى سلبى ، لأن المتنبي يرى فى الحسن المصنوع نقصا وعيبا . والمقصود من هذا السلب معنى إيجابى ؛ لأن الحسن غير المجلوب هو الحسن الذى انتفى منه النقص والعيب ، فهو الحسن الحقيقى (الإيجابى) .

ومن هذا الباب أيضا أن يستخرج المتنبي 'من الموجب سلبا' ، ثم يعود فيستخرج من هذا السالب نفسه موجبا . ولنمثل لهذا بقوله فى سيف الدولة :
فَوْتُ الْعَدُوِّ الَّذِي يَمُمُّهُ ظَفَرُ

أَفِي طِيٍّ أَسْفُ ، فَي طِيٍّ نَعَم

فهروب الأعداء دون حرب أمام جيش سيف الدولة هو فى دلالة الأخيرة انتصار له عليهم . وهذا الانتصار قيمة إيجابية بلا شك . ولكن هذا الانتصار الذى تحقق بلا حرب كان سببا فى أن ولد الحزن والأسى فى نفس سيف الدولة ، لأنه لم ينتصر عن حرب حقيقية . والحزن أو الأسى هنا قيمة

سلبية . وعلى الرغم من هذا فقد كانت نتيجته نعمة على المحاربين من جيش سيف الدولة ، لأنهم غنموا أنفسهم ولم يتكبدوا أهوال الحرب . وهذا الغنم قيمة إيجابية .

ونحسب الآن أن هذا الشكل من أشكال حركة المتنبي بين السلب والإيجاب وما يرد عليه من تنويعات قد صار على قدر كاف من الوضوح .

وننتقل الآن إلى الشكل الرابع من أشكال الحركة بين السلب والإيجاب فى عقل المتنبي ، وهو شكل أسرف فى استخدامه ولكنه أثقنه على نحو يجعله متفردا فيه .

ويتمثل هذا الشكل فى أن المتنبي يستخرج القيمة الموجبة عن طريق ضرب السلب بالسلب .

ولنوضح هذا من خلال بعض الأمثلة . ولنبدأ بالأوضح المشهور .

يقول المتنبي :

وَإِذَا أَتَاكَ مَدْمَتِي مِنْ نَاقِصٍ
فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلٌ

فالمَعْدَمَةُ سلب ، تصدر عن الناقص
(وهو أيضا في موقع السلب) ، ونتيجة
التقاء هذين السلبين هو الدلالة على
الكمال (وهو القيمة الموجبة) . وهذه
الصيغة هي التي تعبر عنها رياضيا
على هذا النحو $(+ = - \times -)$

وقس على هذا قول المتنبي في بدر
ابن عمار :

أَمِيرٌ أَمِيرٌ عَلَيْهِ النَّدَى
جَوَادٌ بَخِيلٌ بَالًا يَجُودَا
فقوله : بَخِيلٌ ، سلب ، وقوله بَالًا
يجودا ، سلب آخر ، أدخل أحدهما
على الآخر فانتفيا معا لكي يبرز الجود ،
وهو القيمة المقابلة الإيجابية .

وقس عليه كذلك قوله في صباه :

عَهْدِي بِمَعْرَكَةِ الْأَمِيرِ وَخَيْلِهِ
فِي النَّقْعِ مُحْجَجَةٌ عَنِ الْإِحْجَامِ
فالمعادلة هنا يمكن أن تكتب هكذا :
الإحجام عن الإحجام $(- \times -) = +$
الإقدام

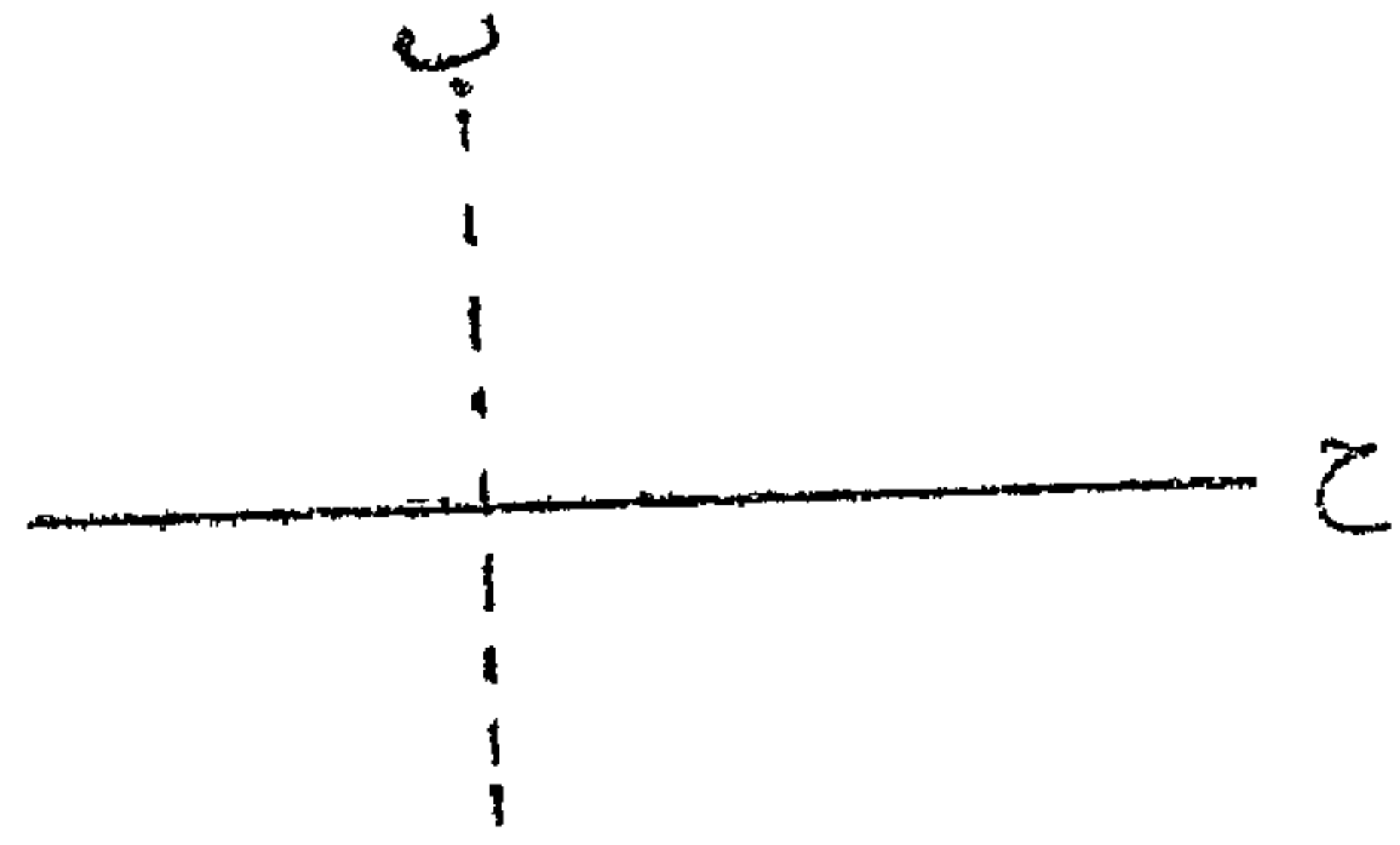
وقس عليه كذلك قوله في بدر بن عمار :

لَا يَسْتَكِينُ الرَّعْبُ بَيْنَ ضُلُوعِهِ
يَوْمًا وَلَا الْإِحْسَانُ إِلَّا يُحْسِنَا
فهو كما يقول الواحدى في شرحه :
لا يحسن ألا يحسن . ومعادلتها هي
أنفس المعادلة : سالبان يتساطا أحدهما
على الآخر فينتج عنهما موجب (لا
إحسان $\times$ إحسان $= - \times - = +$)
إحسان) .

وهذا هو الشكل في صورته البسيطة .
ولكن المتنبي - وقد أتقنه - يستطيع
في بعض الأحيان أن يصنع منه بناءً
أكثر تركيبا .
ومثال هذا قوله :

قَدْ كَانَ يَمْنَعُنِي الْحَيَاءُ مِنَ الْبُكَاءِ
فَالْيَوْمَ يَمْنَعُهُ الْبُكَاءُ أَنْ يَمْنَعَا
فهنا يرتبط الحياء بالبكاء بعلاقيتين
جزئيتين في زمنين مختلفين هما الأمس
واليوم . وتجتمع هاتان العلاقتان
الجزئيتان في علاقة واحدة يمكن التعبير
عنها رياضيا على النحو التالي : $ح \times ب =$
صفرًا ، حيث ح هو الحياء و ب هو
البكاء . وهذه العلاقة هي علاقة خطيين

متعامدين ، وجود أحدهما يلغى الآخر .



فأى نقطة على الخط ح يقابلها في الخط ب صفر ، وأي نقطة على الخط ب يقابلها في الخط ح صفر . أى أنه إذا وجدت أى قيمة ل ح فإن المعادلة لاتصح إلا بأن تكون قيمة ب صفرًا وإذا وجدت أى قيمة ل ب فإن المعادلة لاتصح إلا بأن تكون قيمة ح صفرًا .

يؤكد هذا في البيت أن ح (الحياة) في الماضي كان ينفى ب (البكاء) نفياً كلياً ، وأن ظهور ب (البكاء) في الحاضر قد نفى ح (الحياة) ، الذى كان في الماضي نفيًا ل ب ، أى نفى النفى . وظهور ب (البكاء) في الحاضر على هذا النحو جعل ح (الحياة) صفرًا .

- ٦ -

وقد نتساءل الآن بعد أن سجلنا

الظاهرة المميزة لعقلية المتنبي وحركة

المعاني عنده فنقول : وماذا بعد ؟

والواقع أن الظاهرة العقلية لا يمكن أن تنفصل في هذه الحالة عن منهج السلوك العملى . فهذه القيم التى تتراءى للشاعر غير مستقرة ، حيث يتحول الموجب إلى سالب والسالب إلى موجب ، وحيث يتولد من اصطدامها نتائج مختلفة - هذه القيم تشكل سلوك المرء وتؤثر في موقفه من الناس والأشياء والحياة بعامة . ونزعم الآن أنه في ضوء الظاهرة التى شرحناها يمكن تفسير سلوك المتنبي في حياته ومع الناس .

ومع أن هذا التفسير ليس أساساً من هدف هذه الدراسة ، إذ هدفها الأساسى هو تبين السر في تفرد شعر المتنبي في خضم الشعر العربى ، فإننا مع هذا نشير إلى حقبة مهمة من حياة المتنبي ، هى الحقبة التى ارتبط فيها بكافور . فقد توزع شعره في كافور بين المدح والهجاء ، وهذا في جملته لا يبدو غريباً من رجل عرف جيداً أن الإيجاب يمكن أن ينقلب إلى سلب ، وأن الشيء الواحد يمكن أن يقبل الوصفين في ظرفين مختلفين ، أو عند دخوله في علاقيتين مختلفتين . هذا : وقد يتقارب الوصفان جداً

وموصوفاهما متباعداً

كما يقول في مدح عضد الدولة .

لابأس إذن في أن يقول في مدح
كافور :

فجاءت به إنسان عيّن زمانه
وخلّت بياضاً خلفها وما قيات

فلا يكون هناك مدح للأسود أحسن من
هذا . كما يقرر ابن الشجري . وذلك أن
المتنبى رأى في السواد الذى يمثله كافور
أعلى قيمة تتحقق لإنسان . وعند ذلك
يتراجع البياض ويفقد قيمته .

لكنه من منظور آخر يعود فيدخل
السواد في علاقة جديدة مع البياض حين
يتذكر أن البياض (ولعل صورة سيفه
الدولة كانت ماثلة له عند ذلك) عجزوا
من قبل عن الصنيع فكيف له أن يتوقع
الخير من الخصية السوداء (الذين يملأهم
في تلك اللحظة كافور) .

وقد حاول نقاد المتنبى القدامى وشرح
شعره أن يتلقطوا المواطن التى كان فيها
مادحا ولكنه أخفى الهجاء في باطن المدح .
وما أحسبهم كانوا في حاجة إلى هذا
التفتيش والعناء والمتنبى نفسه يصرح بأنه
يصنع المدح الذى هو في حقيقته هجاء .

يقول عن مدحه لكافور :

فما كان ذلك مدحا له

ولكنه كان هجوا الورى
أى أنه إذا كان هناك من يعتقد أن
هذا كان مدحا لشخص كافور فهو مخطئ ؛
فقد كان هذا المدح في حقيقته هجاء
لكل الناس الذين سمحوا لإنسان في
حقارة كافور أن يكون سلطانا عليهم .

إنه إذن يستخدم في هذا المدح القيم
الإيجابية ليدل بها أو يستخرج منها
القيم السلبية .

وبعد ، فإن إنسانا هذا منطق تفكيره ،
وهذه نظراته إلى القيم الموزعة بين السلب
والإيجاب ، والمتحولة دائما من النقيض
إلى النقيض ، ما كان له أن يقر له
قرار ، أو يذوق طعم الراحة في حياته ، بل
كان طبيعيا أن يعيش قلقا معذبا بنفسه
وبالآخرين ، وأن يلاحقه الإحباط حتى
آخر لحظة من حياته . والشئ الوحيد
الذى نجح فيه هو أنه ترك للآخرين مصدر
قلق وتعذيب دائم ، وإن كان ينطوى في
الوقت نفسه على متعة لاتنتهى ،
ألا وهو شعره .

عن الدين اسماعيل

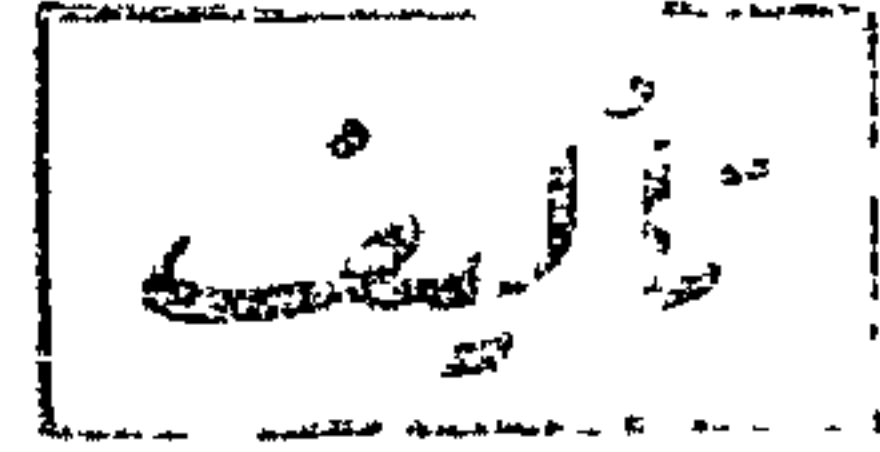
الاتجاهات الحديثة في صناعة المعجم

للكاتب الدكتور محمد نهي جباري

في صناعة المعجم طبيعة التأليف المعجمي الحديث والاتجاهات المختلفة التي ظهرت تلبيةً للحاجات المعاصرة المتزايدة ، وهذه الاتجاهات اتضحت ملامحها بالبحث النظري والعمل التطبيقي :

أولاً : مصطلح « المعجم » :
بمطلق مصطلح « المعجم » أو « القاموس » على الكتاب المرجعي الذي يضم كلمات اللغة ويثبت معانيها ونطقها ودلالاتها وإستخدامها ومرادفاتها واشتقاقها أو أحد هذه الجوانب على الأقل^(١) . وترجع كادة « معجم » إلى

المعجم أحد الفروع التطبيقية من البحث



اللغوي ، يقوم تأليف المعجم على أساسين متكاملين ، هما علم المعجم :
Lexicology, Lexicologie, Lexikologie,

ويبحث البنية الدلالية للمفردات ، وعلم صناعة المعجم
Lexicography, Lexicographie, Lexikographie
ويتناول أنواع المعجم ومكوناتها وطرق إعدادها^(١) . وهدف هذا البحث أن يوضح في ضوء الخبرة المعاصرة

(١) عن التمييز بين علم المعجم وعلم صناعة المعجم ، انظر :

Georges Matoré, Histoire des dictionnaires français, Paris 1968, p. 13.

والتقرير الذي كتبه اللغوي الفرنسي كيدا :

Bernard Quemada, Lexicology and Lexicography, in ;
Current Trends in Linguistics 1977, 427.

(٢) انظر مادة Dictionary في Oxford English Dictionary ، وانظر تعريفات أخرى للمعجم : في

Georges Matarés, Histoire des dictionnaires français, P. 21

Kleine Enzyklopädie, Die Deutsche Sprache, Leipzig 1969 I, 605.

« المعجم قائمة بالمفردات تختار كلماتها وتشرح وفق وجهات نظر محددة » .

شرحه وكثرة مادته ، فأصبح اسمه القاموس علما على ذلك الضرب من الكتب المرجعية وكلمة القاموس كانت تعنى البحر وماء البحر ، ولكن دلالة الكلمة تغيرت مع كثرة تداول هذا المعجم المعروف باسم « القاموس » ، فأصبحت بدلاتها الجديدة مرادفة للمعجم :

أما في اللغات الأوربية فتوجد عدة كلمات للأعمال المعجمية ، أكثرها شيوعا في اللغة الإنجليزية كلمة Dictionary^(١) وفي الفرنسية Dictionnaire . وكلتا الكلمتين ترجع الى الكلمة اللاتينية الوسيطة Dictionarium ، وتعنى مجموع ما يعلم أو النصاب التعلمي . وفي اللغة الألمانية نجد كلمة Wörterbuch ، وتعنى حرفيا « كتاب الكلمات » . وقد استقرت دلالة هذه الكلمات في اللغات الأوربية ، فأصبحت دالة على ذلك الكتاب المرجعي الذي يضم كلمات اللغة مرتبة ترتيبا هجائيا أو معنويا ويعطى مع كل كلمة هجاءها ودلالاتها ، وقد يضيف الى ذلك نطقها واستخدامها ومرادفاتا واشتقاقاتها ونارينها وبعض الصور الايضاحية لها ، أو أحد هذه الجوانب على الأقل .

وثمة دلالة أخرى لكلمة «معجم» في العربية وكلمة Dictionary في الإنجليزية والكلمات المقابلة في اللغات الأوربية الأخرى ، وهو استخدام يجعل الكلمة دالة على الكتاب الذي يقدم مجموعة المعارف الأساسية في أحد موضوعات المعرفة ، وغالبا ما ترتب مداخل الموضوعات الجزئية بداخله ترتيبا هجائيا . وبهذا المعنى نجد في اللغة الإنجليزية عدة كتب تحمل في عناوينها كلمة (Dictionary of) مصحوبة بفرع من فروع التخصص مثل : العمارة ، والتجارة والمسرح وغير ذلك^(٢) . وفي العربية أطلقت كلمة «معجم» على مثل هذا ، فالمؤلف ياقوت الحموي (المتوفى ١٢٢٦هـ) ألف «معجم البلدان» وهو كتاب مرجعي يعطى معلومات عن البلدان والجبال والوديان والبحار وغير ذلك ، وقد رتب فيه المداخل على الحروف الهجائية ، وهو مسبق بمعجم ما استعجم من أسماء البلاد والمراضع للبكري (المتوفى ١٤٨٧هـ) ، وكلاهما كتاب مرجعي للإعلام الجغرافية مرتب على حروف المعجم . أما «معجم المطبوعات العربية والعربية تأليف يوسف اليان سركيس (القاهرة ١٩٢٨م) فهو ثبت ببيوجرافي بأسماء المصنفين والمصنفات مرتب على حروف المعجم : أما «معجم الشعراء» للمرزباني (المتوفى ٣٨٤م) و «معجم

(١) عن تاريخ الكلمة في اللغة الإنجليزية ، انظر :

A New English Dictionary on Historicoal Principles.

John Russell Talyor, The Penguin Dictionary of the Theater, 1966.

(٢)

المؤلفين» لعمر رضا كحالة (دمشق ١٩٥٧
١٩٦٣) فكلاهما يرتب مدخلاته على حروف
المعجم ، وكذلك «معجم العلوم الاجتماعية»
تصدير ومراجعة ابراهيم مذكور (القاهرة
١٩٧٥) . والمعجم بهذا المعنى العام كتاب
مرجعي رتبت مدخله ترتيب حروف
المعجم . ولكننا في هذا البحث نقصر
استخدام هذا المصطلح على الكتاب المرجعي
لفردات اللغة . ولذا ينبغي أن نميز في
استخدام كلمة Dictionary وكلمة معجم
بين الدلالة على المرجع اللغوي مثل «المعجم
الوسيط» أو «المعجم الكبير» وكلاهما من
جهود مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، والدلالة
على المرجع الموضوعي أو مرجع الأعلام .

ثانياً - معايير تصنيف المعجمات

تنوعت الاعمال المعجمية في القرنين
التاسع عشر والعشرين ، وتعددت أنواع
المعجمات بتعدد الاهداف واختلاف المحتوى
اللغوي وطريقة العرض ، وكل هذا جعل
من الضروري أن تصنف هذه الجهود في
ضوء عدد من المعايير الموضوعية ^(١) .

١ - المحتوى اللغوي ، والمقصود به
محتوى المادة اللغوية الموجودة في مدخل
المعجم أو مستويات هذه المادة . ومن هذا

الجانب نجد معجمات المستوى اللغوي الواحد ،
مثل : معجمات النقوش القديمة ، ومعجمات
اللهجات ، ومعجمات اللغة المكتوبة ، يتناول
الواحد منها مستوى لغويًا بعينه . وثمة معجمات
تتناول كل مستويات اللغة من أقدم نصوصها
إلى تاريخ تأليف المعجم وهي المعجمات
التاريخية . وهناك معجمات عامة للغة ،
تضم إلى جانب مستوى اللغة الحديثة بعض
المكونات التاريخية . من النصوص التراثية
المتداولة بين المثقفين ومن النصوص الدينية
التي يقرأها الكثيرون . ومن هذا الجانب
ينبغي التمييز من حيث المادة اللغوية في المدخل
المعجمية بين معجمات لمستوى لغوي واحد
ومعجمات تاريخية ومعجمات عامة :

٢ - الهدف ، ويرتبط الهدف بطبيعة
من يوجه إليهم العمل وتوقعاتهم منه . ومن
هذا الجانب نجد معجمات معيارية تعنى بأن
ترشد إلى الكلمة الصحيحة كتابة ونطقاً
ودلالة ، ونجد أيضاً معجمات تعليمية هدفها
أن تقدم إلى متعلمي اللغة مادة معجمية
تمكنهم من قراءة نصوص اللغة المنشودة والكتابة
بها والتحدث بها وفهمها ، أو على الأقل
تمكنهم من بعض هذه الجوانب . وهناك معجمات
يعدها اللغويون لتكون أدوات للبحث اللغوي ،
منها مثلاً : معجمات اللهجات ، والمعجمات

(١) هناك جهود قليلة في وضع معايير لتصنيف المعجمات ، منها :

Yakov Malkiel, A Typological Classification of Dictionaries on the Basis of distinctive features, in ;Fred W.Householder and Sol Saporta (ed), Problems in Lexicography, Indiana University, Bloomington 1975,

وهناك عرض لاتجاهات في تصنيف المعجمات ، انظر : كتاب : علي القاسمي ، علم اللغة وصناعة المعجم ، الرياض ١٩٧٣

الاشتقاقية التأصيلية ، والمعجمات المقارنة
والمعجمات التاريخية :

٣ - العلاقة بين لغة المدخل ولغة الشرح ،
ولغة المدخل هي اللغة التي تقدم بها
مداخل (أى كلمات) المعجم ، ولغة الشرح
هي اللغة التي تقدم بها المعلومات اللغوية
والدلالية عن المداخل . وهنا نجد معجمات
أحادية اللغة تتفق فيها لغة المدخل مع لغة
الشرح ، ومعجمات ثنائية اللغة تختلف فيها
اللغتان ، ومعجمات ثلاثية أو رباعية اللغة
وفق عدد اللغات في المدخل والشرح .

٤ - طبيعة المداخل ، وهنا تختلف المعجمات
إلى عامة ومتخصصة . المعجمات العامة هي
التي تتناول مفردات اللغة أو المستوى اللغوي
الواحد دون أن تقتصر على فرع بعينه من
فروع المعرفة . أما المعجمات المتخصصة
فهى المعجمات التي يتناول الواحد منها فرعاً
من فروع العلم ، وهناك معجمات متخصصة
لمصطلحات الطب والكيمياء والفيزياء وعلم
النبات وغير هذا وذلك من فروع المعرفة
والعلم :

٥ - كثافة المداخل ، والمقصود بهذا
المعيار عدد المداخل التي يضمها المعجم .
وهنا نلاحظ ثلاث مجموعات من المعجمات
المجموعة الأولى تضم المعجمات الصغيرة
التي تؤلف للتلاميذ ومن في مستواهم ،

ويتراوح عدد مداخلها من ٨ - إلى ١٠ آلاف
مدخل ، ثم المعجمات الوسيطة التي تعد
للطلاب وجمهور القراء والمثقفين ويتراوح
عدد مداخلها من ١٠ إلى ٢٥ ألف مدخل ،
ثم المعجمات الكبيرة التي يتراوح عدد
موادها بين ٧٠ - إلى ١٢٠ ألف مدخل :

٦ - درجة الاهتمام بالمادة الموسوعية ،
والمقصود بهذا المعيار تلك المواد الموسوعية الخاصة
بالاعلام والبلدان والحوادث والعلوم ومنجزات
التكنولوجيا . وهنا نقطة خلاف أساسية
بين مؤلفي المعجمات ، بعضهم يهتم بهذه المادة
الموسوعية ويضعها في محل الصدارة ، فيقيم
المعجم عليها فيقرب بذلك من الموسوعة ،
وهذه هي المعجمات الموسوعية ، وثمة
معجمات تعطي المواد الموسوعية جانباً من
مواد المعجم وتشرحها بإيجاز على نحو لا يخل
بطبيعة المعجم ، وبذلك يصبح المعجم ذا
مواد موسوعية ، وثمة معجمات أخرى
تطرح المواد الموسوعية جانباً تاركة هذا
الجانب لعمل مرجعي آخر وهو الموسوعة ،
وهذه معاجم بلا مواد موسوعية^(١) .

٧ - طريقة ترتيب المداخل ، ومن هذا
الجانب نجد أكثر المعجمات الحديثة ترتب
المداخل ترتيباً هجائياً يراعى الحرف الأول والثاني
فالثالث ، وثمة معجمات ترتب على أساس
الحرف الأخير ثم الحرف الأول من حروف

(١) انظر : G. Matoré, Histore p. 22.

الكلمة^(١) ، وثمة معجمات معنوية موضوعية ترتب المعاني في فصول ثم تذكر داخل كل فصل الكلمات الخاصة بهذا المعنى ، ومن شأن هذه المعجمات أن تكون لها كشافات هجائية ترشد إلى مواضع الكلمات داخل الفصول^(٢) .

ولاشك أن هذه المعايير متكاملة ، ولا يكفي معيار واحد منها لتصنيف أحد المعاجم ، ولذلك ينبغي النظر فيها مجتمعة عند تصنيف المعاجم :

ثالثا : المعجمات العامة

تطورت الصناعة المعجمية الحديثة في أوروبا وأمريكا تطورا بعيد المدى في القرون الماضية : لقد كانت اللاتينية لغة الثقافة والمعرفة في أوروبا عدة قرون ، وكانت الهدف الثقافي لكل من أراد الإرتقاء في سلم التعليم ، ولذلك كان من الطبيعي أن تكون البدايات المبكرة للعمل المعجمي في أوروبا مجموعة من كتب المفردات اللاتينية مع ترجمتها إلى اللغات المحلية في

(٨) طريقة الايضاح ، وهنا نجد المعجمات تتوسل تارة بالتعريفات الموضحة للدلالة الكلمة أو لدلالات الكلمة ، وبعض المعجمات يوضح هذه الدلالة أو الدلالات بشواهد من نصوص اللغة^(٣) ، وبعضها يقدم الايضاح عن طريق الصور داخل شرح المدخل : وهنا نجد معجمات الشرح الدلالي ، ثم المعجمات السياقية ، ثم المعجمات المصورة :

(١) عرفت المعاجم الدرس النوعين ، فالترتيب وفق الحرف الأخير ثم الأول نجده - مثلا - في لسان العرب لابن منظور (المتوفى ٧١١) في صورته الأساسية ، والترتيب وفق الحرف الأول ثم الثاني في أساس البلاغة للزمخشري (المتوفى ٥٣٨هـ) وكذلك في « لسان العرب المحيط » ط بيروت ١٩٧٠ ، وأكثر المعاجم الأوربية الحديثة المؤلفة للقراء ولجمهور المثقفين ترتب على الحرف الأول ثم الثاني وهكذا ، غير أن ثمة معجمات أعدت حديثا للغات أوربية ترتب على الحرف الأخير ثم الذي قبله وهكذا ، وهي معاجم لأغراض البحث عند اللغويين ، وتفيد في دراسة اللواحق وظواهر اللاحاق بصفة عامة . ومن أمثلة المعاجم للغة الألمانية :

E. Mater, Rücklaufiges Wörterbuch der deutschen Gegenwartssprache, Leipzig 1965.

(٢) هذا النوع من الترتيب قديم في التراث العربى ، أشهر معجانه المخصص لابن سيده في القرن الخامس الهجرى ، وأهم معجمات هذا النوع باللغات الاوربية :

P.M . Roget, Thesaurus of English words and phrases. 1852

F. Dornseiff, Der deutsche Wortschatz nach Sachgruppen, 5. Auflage, Stuttgart 1967.

H. Eggers, Deutscher Wortschatz, 3. Auflage, Stuttgart 1967.

(٣) حول مشكلة التعريف في المعجم ، انظر :

U. Weinreich. Lexicographic definition in descriptive semantics, in : F.W. Householder.

S. Saporta. Problems in Lexicography, Bloomington 1975 25—44

الصعبة، وهي تلك الكلمات غير المتداولة في اللغة اليومية والتي اتخذتها الدوائر المثقفة واشتقتها من أصول يونانية ولاتينية للتعبير عن الفكر والحضارة والعلم :

وقد استمر الاتجاه الانتقائي للمفردات الصعبة فترة من الزمن ، ثم حل محله اتجاه معياري لا يسجل الواقع ، بل يرشد إلى الاستخدام الصحيح الفصيح . يتضح هذا الاتجاه في معجم شتيلر الألماني^(٥) ، وهو معجم ينص على أن هدفه بيان دلالة المفردات الصحيحة الأصيلة

أوروبا آنذاك^(١) : وهي كتب تشبه المعاجم المزدوجة اللغة التي أعدها الفرس والهنود المسلمون والترك بمدخل عربية، في إطار الحضارة الإسلامية^(٢)

بدأ التأليف المعجمي في اللغات الأوروبية الحديثة عصر ازدهاره في القرن السادس عشر ، فظهر أول معجم للغة الفرنسية (١٥٢٣)^(٣) ثم أول معجم إنجليزي (١٦٠٤م)^(٤) . ويلاحظ في المعجم الذي أعد للإنجليزية أنه لا يستوعب ألفاظ اللغة الإنجليزية ، وإنما يكتفي باختيار الكلمات

(١) أهم الجهود المبكرة في أوروبا قبل القرن السادس عشر إلى تضم اللاتينية مع لغة محله تلك الجهود المعروفة :

Leiden Glosses,

Medulla Grammatica (1400)

Promptorium Parvulorum sive clericorum (1499).

وهي معاجم لللاتينية مع الانجليزية القديمة أو مع الانجليزية الوسيطة . وهناك جهود مماثلة لللاتينية مع الألمانية كانت نتيجة إعادة ترتيبها وفق المداخل الألمانية بدء المعاجم الألمانية في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي .

(٢) أهم الجهود المعجمية للعربية والفارسية في إيران في القرنين الثامن والتاسع للهجرة .

كتر اللغات لابن معروف

الترجمان لابن داود (مؤلف ٨٤٣ هـ)

مشكاة المصابيح للأدق (٧٢٢ هـ) .

نصاب الصبيان للراعي

وفي شبه القارة الهندية ألقت معاجم أخرى للدرية والفارسية ، منها جامع لغات لعبد الرشيد عبد الغفور التتائي (المتوفى ١٠٦٨ هـ) ط كلكتا ١٨٠٨ ، ومعجم منتهى الارب في لغة العرب لمولوى عبد الرحيم صافىپورى ، ط كلكتا ١٨٢١ .

(٣) المعجم المقصود هو :

Palsgrave, Lesclaircissement de la langue Fancoyse, 1523.

(٤) المعجم المقصود هو :

Rebert Cawdrey' Table Alphabeticall of Hard Words 1604.

(٥) المعجم المقصود هو :

K. Stieler, Der Teutschen Sprache Stammbaum und Fortwachs 1961

وقد حدث تقدم بعيد في العمل المعجمي الأوربي في القرن الثامن عشر، وذلك بالاعتماد على "الشواهد اللغوية" في إعداد المعجم لم يقتصر المعجم على اللغة الأدبية بل ضم إليها شواهد من لغات التخصص وشواهد محلية، في اللغة الألمانية يعد معجم فريش (١٧٤١) أول معجم أوربي يقوم على الشواهد المأخوذة من النصوص^(١)، وفي اللغة الإنجليزية كان عمل ببلي^(٢) تقدما بعيدا في الصناعة المعجمية، وكان له تأثيره البعيد في كل معجمات اللغة الإنجليزية : لقد انصرف ببلي عن الفكرة القائلة بالاختصار على الكلمات الغربية والصعبة إلى الاهتمام بالاستيعاب الشامل لالفاظ اللغة اعتمادا على النصوص ، وقد طبق ببلي هذه الفكرة فاهتم بالاستخدام الفعلي للكلمات وذكر لها شواهد دالة على معانيها، وهو أيضا أول معجم إنجليزي يشير إلى النطق، وفوق هذا فقد أخرج ببلي معجمه مزودا بالصور : وبهذا يعد معجم ببلي مرحلة حاسمة في تاريخ معجمات اللغة الإنجليزية من ناحية المحتوى والمعلومات اللغوية والإخراج : ولهذا كله أفاد معجم جونسون (١٧٥٥م)^(٣) كل الإفادة من

تقنيات العمل المعجمي عند ببلي وأضاف مزيدا من الكلمات التي لم تكن المعجمات السابقة قد ذكرتها وأضاف مزيدا من الشواهد اللغوية : وقد اهتم جونسون أيضا بتقنين كتابة كلمات كان الرأي في هجائها مختلفا بين الأدباء آنذاك : وأفاد جونسون أيضا من التقدم في علوم اللغة ليؤصل الكلمات بشكل أفضل من سابقيه : وبهذا كله ظهر معجم جونسون للغة الإنجليزية في مجلدين، واستقبل أفضل استقبال ، وظل يطبع عدة طبعات على مدى قرن ونصف حتى أصبحت كلمة Dictionary علما عليه : وفي اللغة الألمانية يعد معجم أدلونج^(٤) (١٧٧٤-١٧٨٦م) عملا مماثلا لمعجم جونسون في اعتماده على الشواهد وتأصيل الكلمات والصور، وقد طبع - أيضا - عدة طبعات مهذبة حتى أوائل القرن التاسع عشر .

ان معجمات القرن الثامن عشر نالت التقدير عند المثقفين ، ومعجم جونسون مثال ممتاز على الاحترام الاجتماعي للعمل المعجمي : لقد عد معجم جونسون حجة في اللغة، بل هو السلطة العليا عندما تختلف

(١) J. L. Frisch, Teutsch—lateinisches Wörterbuch, 1741

(٢) Nath Bailey, Universal Etymological Dictionary of the English Language, 1721.

(٣) S. Johnson, Dictionary of the English Language, London (1755).

(٤) J. CH. Adelung, Versuch eines vollständigen grammatisch — kritischen

Wörterbuchs der hochdeutschen Mundart, (5 Bde. 1774—

1786; 2. Aufl. in 4Bdn., 1783—1801).

الآراء ، ففي عام ١٨٨٥ رفض البرلمان الانجليزي مشروع قانون لان كلمة جاءت به لم ترد في معجم جونسون : لقد رأى جونسون من واجب المعجمي أن يبقى اللغة الانجليزية ويخلصها من عدم الدقة والحوشية ، فأصبح معجمه حجة في وقت برزت فيه الطبقة الوسطى ، وحاول أبناء هذه الطبقة محاكاة الطبقة العليا الراقية في الاستخدام اللغوي ، وكان معجم جونسون يقدم لهم ذلك : لقد أصبح هذا المعجم هو Supreme Authority ، وكأنه قد أصبح وحده مرجعاً لغوياً يضارع مجمع اللغة الفرنسية ، أي الاكاديمية الفرنسية .

وظلت فكرة التقنين اللغوي باعتبارها هدفاً من أهداف العمل المعجمي ، أثلة أمام مؤلفي المعجمات في القرن الثامن عشر ، وكان على هذه المعجمات أن تقدم القول الفصل في كثير من قضايا الصحة اللغوية ، ومنها قضية النطق : وهذه القضية مرتبطة أيضاً بنزوع الطبقة الوسطى الصاعدة إلى محاكاة النطق الصحيح المقبول للإنجليزية عند أبناء الطبقة العليا والمجتمعات الراقية ، ليصبحوا منهم أو مثلهم ، ولذلك أنفت معجمات كثيرة تسجل النطق الصحيح وتوضحه ، إلى

جانب عنايتها بدلالة المفردات عن طريق الشواهد : ومن أهم هذه الجهود معجم بونخنان (١) ومعجم كنريك (١٧٧٣) (٢) ومعجم واكر (١٧٩١) (٣) : وبذلك أضافت هذه المعجمات جانباً صوتياً إلى العدل المعجمي .

وقد وصل التقدم المعجمي في النصف الأول من القرن التاسع إلى عدة أفكار أساسية ، مهدت للمعجم التاريخي ، وفي مقدمتها فكرة الترتيب الداخلي للدلالات الخاصة بالمدخل الواحد ترتيباً تاريخياً يقوم على الشواهد ، وتوضح هذه الفكرة في معجم ريتشاردسون للغة الإنجليزية (٤) .

كان للمدرسة الأمريكية في صناعة المعجمات معركة طويلة عرفت عندهم باسم « حرب المعاجم » . المعجمات الأمريكية أعمال قامت بها مؤسسات تجارية ، وبدأ العمل المعجمي في أمريكا تلخيصاً للجهود البريطانية ، لكن العمل المعجمي الأمريكي — بمعنى الكلمة — بدأ بجهود وبستر في معجمه الأمريكي للغة الإنجليزية (٥) . وهذا معجم كبير يضم ٧٠ ألف كلمة ، يعنى بالحياة الأمريكية ويدون الهجاء

- (١) عنوان هذا المعجم : J. Buchanan, New English Dictionary (1976).
 (٢) عنوان هذا المعجم : W. Kenrick, New Dictionary of the English Language (1773).
 (٣) عنوان هذا المعجم : J. Walker, Critical Pronouncing Dictionary and Expositor of the English Language (1719).
 (٤) عنوان هذا المعجم : Charles Richardson, New Dictionary of the English Language (1836).
 (٥) عنوان هذا المعجم : N. Webster, An American Dictionary of the English Language, 1928.

الأمريكي والنطق الأمريكي للمفردات .
وبعد هذا كان معجم وركستر^(١) تقدماً
عظيماً في الصناعة المعجمية الأمريكية ،
فقد أضاف كلمات جديدة وكان في شرح
الدلالات مركزاً وواضحاً ، اهتم ببيان
النطق ، وكان يذكر المترادفات ؟

وهكذا كانت المنافسة بين معجمي وبستر
ووركستر كبيرة ، وقد أدت إلى أن كل ناشر
كان يجتهد لمعجمه من العلماء والمعاونين
ومن إمكانات الطباعة ما يحقق لمعجمه التجديد
الدائم ليصمد في المنافسة ، وبهذا اختلفت
الطبعات في المحتوى والإخراج ، وأدت المنافسة إلى
ارتفاع مستوى الصناعة المعجمية الأمريكية :

وقد اتضحت أثناء حرب المعجمات ومع
المحاولات الدائمة لتطوير الصناعة المعجمية
وجعلها أكثر تلبية لحاجات القراء وطموحاتهم
عدة سمات أصبحت من تقاليد العمل
المعجمي في أمريكا ، وأهم هذه السمات :
١ - أن يكون المعجم في مجلد واحد
بشأن معقول ، وقد ثبت أن المادة الموضوعية
في مجلد واحد أكثر رواجاً منها لو وضعت
في مجلدين أو أكثر^(٢) .

٢ - أن يبين المعجم مع كل كلمة
هجاءها ، ونطقها ، وتأصيلها ، ومرادفاتها ،
والكلمات المضادة لها دلاليًا .

٣ - أن يكون المعجم مزوداً بالصور
والرسوم الإيضاحية والخرائط .

٤ - أن يضم المعجم مادة موسوعية
موجزة في العلوم والتكنولوجيا والاعلام
والاماكن .

٥ - أن تضم مقدمة المعجم معلومات
أساسية عن اللغة الإنجليزية .

وبذلك كله أصبحت الخبرة الأمريكية
في الصناعة المعجمية ذات فائدة كبيرة في
اعداد المعاجم الحديثة بصفة عامة :

ان المعجم العام هو المعجم الذي تستوعب
مداخله كلمات اللغة ، استيعاباً شاملاً ،
دون تركيز على فرع من فروع المعرفة :
يكتب المعجم العام لجمهور المثقفين . ولذا
ينبغي أن تراعى اهتماماتهم في تنوع مداخله .
المعجم العام عمل مرجعي ، ولذا ينبغي له أن
يكون موضع احترام المثقفين وتقديرهم بوصفه
« حجة » في اللغة : ولهذه القضية أثر كبير
في الإعداد المعجمي : والمشكلة الأولى - في
هذا الصدد - تتعلق بالشواهد اللغوية التي
يقدم عليها المعجم : فلا شك أن الاعتماد على
مؤلفات كبار الكتاب يعطي الشواهد احتراماً
ويخلق عليها اعترافاً وتقديراً ، ولكن بعض

(١) Worcester, Comprehensive pronouncing and explanatory Dictionary of the English Language, 1830.

(٢) يلاحظ أن الناشرين البيروتيين ينفذون معاجمهم في مجلد واحد ، وهذا واضح في المنجد ، والرائد ، والمورد ، والمنهل ، في حين جمل مجمع اللغة العربية بالقاهرة « المعجم الوسيط » في مجلدين .

المعجميين رأوا في الاختصار على مؤلفات كبار الكتاب قصوراً ورغبوا في أخذ الشواهد أيضاً عن الكتاب من ذوى المكانة الوسطى . وقد فشلت الفكرة الأخيرة عند تطبيقها المعجمي ، فجمهور المتلقين يرى المعجم الحقيقي « حجة » وينبغي له أن يكون منزهاً عن الشواهد التي في صحتها نظر . وقد لحأت بعض المؤسسات الصناعية المعجمية إلى استشارة عدد كبير من الأدباء والمثقفين المحافظين لمراجعة أصول المعجم وتقديم ملاحظاتهم الناقدة عليه ليكون أساساً في التحرير النهائي له . وفي هذا ضمان لأن يكون هذا المعجم موضع التقدير في كل ماورد به ، ليكون في رأى النراء « حجة » في أمور اللغة .

ان الخبرة الكبيرة في إعداد المعجمات الهامة حددت مجموعة من المكونات الأساسية ينبغي أن تتوافر فيها : وأهم هذه المكونات : (١) المداخل :

— يتم تحديد مداخل المعجم اعتماداً على النصوص اللغوية ، ولا يجوز الاكتفاء بالنقل عن المعاجم السابقة .

— تتحدد المداخل بالهدف من المعجم ، فالمعجم المؤلف ليساعد أبناء غرب أفريقيا في قراءة كتب فرنسا يختلف بالضرورة عن المعجم المؤلف لهم ليعبروا عن حياتهم باللغة الفرنسية .

(ب) المعلومات اللغوية (وينبغي أن تتوافر مجتمعة في المعجم العام من الحجم المتوسط والحجم الكبير) .

— يقدم المعجم هجاء الكلمة على النحو المقبول عند المثقفين .

— يقدم المعجم نطق الكلمة برموز صوتيه مبسطة وواضحة .

— يقدم المعجم تأصيلاً للكلمة ببيان اللغة الأصل والصيغة التي اشتقت منها .

— يقدم المعجم معلومات صرفية أساسية عن الكلمة (أنواعها ، تصرفاتها) .

— يقدم المعجم معلومات نحوية أساسية (التعدى والازوم والمطابقة) .

(ج) بيان الدلالات :

— لابد من التمييز بين الدلالات المختلفة مع بيان مستوى استخدام كل دلالة (بائد ، عامي ، رسمي ، غير رسمي ، أدبي ، علمي ...)

— لابد من الافادة من الشواهد الموجزة الواضحة لبيان الدلالات .

— يكون شرح الدلالة بكل الوسائل اللغوية الممكنة : الترادف ، تضاد المعاني ، العموم والخصوص ، السياق اللغوي ... الخ .

— الافادة من الصور والرسوم الايضاحية بقدر إمكانات الطباعة .

(د) المقدمة والخاتمة والغلاف :

— يوضع في المقدمة عرض نحوي مركز للغة ، مع بيان تاريخ اللغة ، وتاريخ معاجمها .

— يستفاد من صفحات الخاتمة والغلاف لبيان المختصرات والارشادات المعاونة على استخدام المعجم :

رابعاً : المعجمات التاريخية

المعجمات التاريخية أهم إنجاز تكونت فكرته في القرن التاسع عشر ولقد دخل العمل المعجمي في القرن التاسع عشر تحت تأثير علم اللغة المقارن في إطار المدرسة التاريخية^(١) : لقد اكتشفت اللغة السنسكريتية وقورنت بغيرها من اللغات الهندية الأوروبية ، وتقدم البحث في الاسرات اللغوية الأخرى أيضاً ، بذلك أصبح تأصيل المفردات يتم على أساس جديد من الدقة والموضوعية . ومن هنا فإن الجانب الأول الأول في المعجم التاريخي ، وهو التأصيل ، كانت أدواته متاحة في القرن التاسع عشر .

وفوق هذا ، فإن التسجيل الدقيق لتاريخ الكلمة على أساس الشواهد المؤرخة كان من أهم سمات معجمات القرن التاسع . فإذا كان جونسون قد أشار إلى الدلالات التي يمكن أن تستخرج من الأمثلة المأخوذة من النصوص ، فإن هذا المبدأ كان قد طبق في معجمات القرن التاسع عشر ، فأصبحت ذات هدف تاريخي . ويعد المعجم الذي أعده ريتشاردسون البداية الحقيقية لمعجم أكسفورد التاريخي للغة

الإنجليزية ، وهو المعجم المعروف باسم :

New English Dictionary on Historical Principles.

وقد أعد هذا المعجم من سنة ١٨٥٨ - إلى سنة ١٩٢٨ ، ثم أضيف إليه ملحق سنة ١٩٣٣ .^(٢) وأهم سمات هذا المعجم أنه :

١- يعطي دلالات المفردات الإنجليزية على نحو كامل ، مع تمييز الدلالات تمييزاً لم تعرفه المعاجم من قبل .

٢- يعطي تأصيلاً للمفردات بدقة ، فيوضح كونها من الهندية الأوروبية أو من غيرها من الاسرات اللغوية ، ويعطي الصيغة الأقدم في الإنجليزية القديمة والوسيلة إذا كانت الكلمة أصيلة ، كما يقدم الأصل اللاتيني أو اليوناني إن كانت الكلمة مأخوذة عن هذه اللغة أو تلك .

٣- يعطي النطق الصحيح للكلمة .

٤- يقدم مع كل كلمة طائفة من الشواهد المأخوذة من النصوص لإيضاح الدلالات المختلفة لها ، ويسجل تاريخ كل دلالة في ضوء النصوص ، ويعطي رموزاً للكلمات البائدة .

وفي اللغة الألمانية يعد مشروع الأخوين & W. Grimm موازياً في الهدف والتخطيط

(١) حول ظروف نشأة علم اللغة المقارن وازدهاره ، انظر : علم اللغة العربية (للمؤلف) الكويت ١٩٧٣ ، الفصل السابع ١١٩ - ١٢٠ .
(٢) انظر المقدمة التي طبعت في صدر الجزء الأول من هذا المعجم ، وبها وصف للمعجم وبيان لطريقة جمع المادة وكيفية العرض وأهم السمات .

المعجمات العامة تأثيرات من المعجمات الكبيرة التاريخية .

وبعد ، لقد تنوعت الاهداف التي تؤلف المعجمات من أجلها في القرن العشرين تنوعا كبيرا ، وظهرت لذلك أنواع شتى من المعجمات العامة والمتخصصة ، وتكونت في اعدادها خبرات كبيرة ، وظهرت معجمات كثيرة في المراكز المعنية بتعليم اللغات ، وفي كل هذا اتجاهات جديدة في صناعة المعجمات ؛

خامسا : الأعمال المعجمية الأخرى

١ - قائمة الألفاظ : Glossary

قائمة الالفاظ معجم صغير مرتبط بمجموعة محدودة من النصوص ، وهو عمل ذو هدف تعليمي . فكثير من كتب النصوص تضم قائمة بالالفاظ التي وردت فيها ، نجد هذا في جهود أوربية كثيرة في مجال تعليم اللغات بصفة عامة وفي تعليم العربية أيضا ، فالجملد الواحد يضم النصوص ثم قائمة كاملة بالالفاظ مع الإشارة إلى مواضع ورودها فيها مع دلالة كل كلمة أو دلالاتها بلغة ثانية . وتعد قوائم الالفاظ أقدم أشكال العمل المعجمي الأوربي ، وكثيرا ما كانت قوائم الالفاظ

لمعجم أكسفورد التاريخي ، وليكن تنفيذ معجم جريم التاريخي للغة الالمانية (١) استغرق وقتا أطول (١٨٥٢ - ١٩٦٠) ، وتم إنجاز الأجزاء الأخيرة منه في ظل تعاون بين أكاديمية العلوم في برلين الشرقية ووحدة بحوث معجمية بجامعة جوتنجن .

إن هذه المعجمات التاريخية أعمال مرجعية ضخمة ، يقع معجم أكسفورد في حوالي ١٦ ألف صفحة ، ومعجم جريم كبير الحجم أيضا . ولما ظهرت - منذ وقت مبكر وأثناء اعداد هذه المعجمات - فكرة صناعة معجمات متوسطة الحجم على أساس تاريخي . وتعد هذه المعجمات الوسيطة تلخيصا وافيا لمحتوى المعجمات التاريخية الكبيرة ومن أشهر هذه المعجمات الوسيطة معجم أكسفورد المختصر ، ويضم في مجلد ضخم واحد (من ٢٥٠٠ ص) كل سمات المعجم الكبير في إنجاز وتركيز (٢) .

وإلى جانب هذا العمل فإن المعجمات الكثيرة العامة التي ألفت للغات الأوربية قد أفادت من هذه الجهود التاريخية ، فأصبحت المعجمات العامة تعنى بالنطق ، وتوضح الأصل الاشتقائي ، وتميز الدلالات ، وتتابع النصوص بحثا عن كلمات جديدة . وبذلك تعكس هذه

(١) ظهر المعجم بعنوان :

Jacob und Wilhelm Grimm, Das Deutsche Wörterbuch, 1825—1960, 16 Bände.

(٢) العنوان الكامل :

The Shorter Oxford English Dictionary, on Historical Principles, prepared by W. Little, revised and edited by C.T. Onions, Oxford, 1933

لبينات أساسية في اعداد المعاجم الكبيرة ، وما زالت لها أهميتها في مجال تعليم اللغات^(١)

٢ - المعجمات المفهرسة Concordances
المعجمات المفهرسة معجمات مرتبطة بمجموعة من النصوص ولكنها ليست نصوصا تعليمية محدودة ، بل هي نصوص ذات حجم كبير ، مثل : القرآن الكريم ، أو الشعر الجاهلي ، أو : العهد القديم . والمعجم المفهرس يذكر الكلمة مع كل مواضع استخدامها في تلك النصوص ، أي أنه يأتي بالكلمة ثم بكل الحمل التي وردت فيها الكلمة في هذه النصوص ، مع الإشارة إلى مواضع هذه الحمل في النصوص بذكر الكتاب والصفحة والسطر : وليس من شأن المعجم المفهرس أن يذكر دلالات المفردات ، بل هدفه الحصر الشامل للحمل التي استخدمت فيها الكلمة ، وهو بذلك أداة من أدوات البحث في الدلالة . وهناك عدة مراكز بحوث لغوية تقوم حاليا بإعداد

معجمات مفهرسة عن طريق الحاسب الآلي ، وتكون هذه المعجمات المفهرسة وسيلة من وسائل متابعة التجديد اللغوي ، تمكن من تسجيل الجديد أولا بأول^(٢) . ومن المعجمات المفهرسة المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم من إعداد محمد فؤاد عبد الباقي ، والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف من إعداد ونسك ومجموعة من المستشرقين ،

٣ - المعجمات الفردية :

تقوم على الحصر الكامل لمجموع المفردات التي وردت في مجموع النصوص التي يعدها المعجم ، وقد أعدت عدة معجمات استوعبت المفردات الواردة في المؤلفات الكاملة لأحد الاعلام ، في مقدمتها معجم جوته ويقع في خمسة مجلدات تعاونت في اخراجه أكاديمية العلوم برلين الشرقية مع أكاديميتي جوتنجن وهايدلبرج^(٣) . وثمة معجمات أخرى اقتصرت على حصر

(١) تضم كتب تعلم العربية للأجانب بصفة عامة قوائم بالألفاظ الواردة في النصوص التي يفهمها الكتاب ، مثلا :

C. Brockelmann, Arabische Grammatik, Leipzig 1962.

وأفضل كتاب يمثل هذا النوع من التأليف المعجمي كتاب :

C. Gordon, Ugaritic Textbook, Roma, 1965

فهو يضم النحور والنصوص وقائمة كاملة بألفاظها مرتبة على حروف المعجم ، وتقع في الصفحات ٣٤٧ - ٥٠٧ .

(٢) أشهر هذه المراكز معهد اللغة الألمانية في مدينة مانهايم في ألمانيا الاتحادية

Intsitut für die deutsche Sprache, Mannheim.

ويقوم قسم الحاسب الآلي بالمعهد المتابعة اليومية والأعداد الحصري للمفردات الواردة في النصوص التي يختارها اللغويون من الجديد كل يوم من المطبوعات .

(٣) قام العمل على أساس الحصر الكامل : (ألفاظ جوته)

Fischer, Goethe—Wortschatz, 1929.

وكانت المرحلة الثانية لتحليل الدلال لمعجم جوته :

Goethe—Wörterbuch, Berlin 1966.

الألفاظ الواردة في نص أدبي واحد ، فتم إعداد معجم لأحد مؤلفات جوته ، هو آلام فرتر^(١) ويدخل في هذا النوع مجموعة المعجمات التي أعد أكثرها في كلية الآداب بجامعة القاهرة ، ويدرس الواحد منها ديوانا كاملا فيحصر ألفاظه ويحدد دلالة كل منها أو دلالاتها في النص ، ثم يعرضها مرتبة على حروف المعجم وقد استوعب المشروع في سنواته الأولى دواوين عنتره ، والمتلمس ، والنايفة وعبيد ، ولبيد ، وعامر بن الطفيل ، وعمرو ابن قتيبة ، وكعب بن زهير . ويمضي العمل الآن لإكمال هذا المشروع للوصول به إلى المعجم الكامل لألفاظ الشعر العربي في الجاهلية وصدر الإسلام .

٤ - المعجم السياقي أو معجم الأساليب :

يعد المعجم السياقي من أهم أنواع المعجمات العامة الحديثة . الفرق الأساسي بين المعجم السياقي وغيره أن الأول يعنى بجمع السياقات المختلفة التي تستخدم فيها الكلمة الواحدة فكلمة (ضرب) تأتي في عدة سياقات : ضرب فلان فلانا ، وضرب ٥ × ٦ = ٣٠ ، وضرب

العملة ، وضرب من الرجال بمعنى نوع منهم . ولاشك أن السياقات اللغوية المختلفة توضح اتجاهات دلالة الكلمة . فالضرب المسبب للأذى يختلف عن الضرب الرياضي ، وهما يختلفان عن ضرب العملة والضرب من الرجال . وهذا المعجم السياقي مفيد في العمل المعجمي بصفة عامة ، ويفيد كذلك في تعاليم مهارة الكتاب بلغة أجنبية ، فكثيرا ما يقع شك في التراكيب ومدى جوازها في اللغة الأجنبية وهنا يقوم المعجم السياقي أو : معجم الأساليب بإزالة هذا الشك . وقد اتضح في الأعمال المعجمية اتجاهان في إعداد المعاجم السياقية ، أحدهما إعداد المعجمات السياقية العامة ، ويضم المعجم الواحد في مجلد واحد أكثر العلاقات الساقية استخداما مع كل كلمة شائعة من كلمات اللغة^(٢) ، والاتجاه الثاني إعداد المعجمات السياقية المتخصصة ، ويقوم على مادة لغوية متخصصة ، فالمعجم السياقي لألفاظ السياسة^(٣) مداخله وعلاقاتها السياقية تختلف عن المعجم السياقي لألفاظ علوم الأرض (الجيولوجيا وغيرها) .

E. Merker, Wörterbuch zu Goethes Werther, 1958ff.

(١) انظر :

(٢) أهم المعجمات السياقية العامة :

Wörter und Wendungen, Leipzig 1968
Duden Stilwörterbuch, Mannheim 1962

(٣) حول المعجمات السياسية المتخصصة ، انظر :

— Dictionnaire contextuel d'un domaine de la politique les élections législatives, CREDIF, Paris Mai 1975.
— J.L. Descamps, Présentation d'un Dictionnaire contextuel de Français pour les Sciences de la Terre. Langue Française, Février 1973 p. 111.

وثمة علاقة بين الاتجاهين ، فمن الممكن عن طريق المعجمات السياقية المتخصصة التي تغطي مجالات المعرفة والحياة في تنوعها أن تكون أساساً للمعجم السياقي العام .

هـ — الكنز اللغوي :

هو أكبر أنواع المعجمات العامة ، ومن أشهر المشروعات في هذا الاتجاه :

كنز اللغة الفرنسية

Tiésor de la langue française

كنز اللغة اللاتينية

Thesaurus Linguae Latinae

وكلا المشروعين ضخيم وطموح ، يحاول أن يجمع كل إيجابيات العمل المعجمي بين دقتي عمل واحد ، هدف كل منهما أن يقدم ألفاظ اللغة موضع البحث بكل أبعادها ، موثقة بالنصوص الكثيرة المتنوعة لمختلف المؤلفين ، من كل فروع المعرفة مع بيان الدلالات تفصيلاً . إنه يريد أن يجمع بين سمات المعجم المفهرس والمعجم السياقي والمعجم (الدلالي) العادي وأنواع المعاجم الأخرى في عمل معجمي واحد : ولهذا كله فقد يصل هذا المعجم إلى أكثر من مائة مجلد ، وقد شغل حرف واحد في كنز اللغة الفرنسية ثلاثة مجلدات كاملة ، تمثل الكلمات التي تبدأ بحرف A من المرحلة الحديثة في تاريخ اللغة الفرنسية

(١) انظر :

Matoré, Histoire des dictionnaires Français, Paris 1968, p. 186.

(٢) حدد مانوريه اتجاه معجمات اللغة الفرنسية و المستقبل تحديداً بقوم على معاجم المراحل :

G. Matoré, Histoire des dictionnaires français, Paris 1968., p. 177—182.

(١٧٨٩ — ١٩٥٠) . يبقى بعد هذا أن تعدّ المجلدات الأخرى لباقي الحروف في هذه المرحلة الحديثة ، ثم تعدّ المرحلة الأقدم في مجلدات أخرى ، وقد بدأ إعداد كنز اللغة اللاتينية سنة ١٨٩٤ ، ولم يكتمل بعد ، أما كنز اللغة الفرنسية فقد بدأ يظهر منذ سنة ١٩٧١^(١)

٦ — معجمات المراحل :

Period Dictionaries

معجمات المراحل هي معجمات تهدف الواحد منها إلى حصر الألفاظ المستخدمة في مرحلة بعينها من مراحل تاريخ اللغة مع بيان دلالاتها وأصولها وغير ذلك . ومن ثم تعدّ معجمات المراحل ضرورية لإعداد المعاجم التاريخية بشكل أفضل^(٢) ، وقد تمت عدة مشروعات لمعاجم المراحل ، منها :

— معجم الانجليزية القديمة

Old English Dictionary

— معجم الانجليزية الوسيطة

Middle English Dictionary

— معجم بدايات الانجليزية الحديثة

Early Modern English Dict.

وثمة مشروع يتم إنجازه في كلية الآداب بجامعة القاهرة لإعداد معجم لألفاظ الشعر الجاهلي ، يعد من معاجم المراحل في تاريخ اللغة العربية هـ

٧ - معجمات أصول المفردات (= المعجمات الاشتقاقية) :

Etymological Dictionaries

معجمات أصول المفردات هي المعجمات التي تبين أصول المفردات ، ففي كل لغة من اللغات كلمات موروثة وأخرى دخيلة في العربية - مثلاً - ألفاظ كثيرة ترجع الى اللغة السامية الأولى ، نجدها في كل اللغات السامية أو في أكثرها . وهناك كلمات دخلت قديماً من اليونانية والبهلوية وكلمات دخلت بعد ذلك من التركية وكلمات دخلت حديثاً من الإيطالية والفرنسية والانجليزية ، وهدف معاجم أصول المفردات إيضاح أصل كل كلمة من كلمات المعجم^(١) هناك معاجم تختص بهذا العمل ، كما تهتم

المعجمات العامة الحديثة بهذا الجانب التأصيلي والمعجم العربي الوحيد الذي يهتم بهذا الجانب هو «المعجم الكبير» الذي يعده مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وتأصيل المفردات من أهم الإضافات في المعجم الكبير ، ولكن «المعجم الوسيط» لم يهتم بهذا الجانب بينما تهتم المعاجم الأوروبية المماثلة به :

٨ - معجمات المترادفات :

تهدف معجمات المترادفات إلى بيان الفروق بين الالفاظ المتقاربة المعنى ، ومنها معجمات قليلة الفائدة تذكر الكلمات ذات المعنى المتقارب دون شرح أوبيان ، ولكن أكثر معجمات المترادفات فائدة هي المعجمات التي توضح عن طريق الامثلة والشرح الفروق السياقية الدقيقة بين هذه الالفاظ التي تبدو متقاربة المعنى^(٢) :

(١) هناك معاجم تأصيلية تؤرخ لمفردات أسرة لغوية كاملة ، وهذه المعاجم تضم كلمات اللغات واللهجات المدرجة في إطار أسرة لغوية واحدة ، أهمها :

Diez, Dictionaire étymologique des langues romanes (1854).

W. Meyer—Lübke, Romanisches Wörterbuch der Französischen Sprache.

وفي مجال اللغات السامية يعد المشروع الذي بدأ منذ سنوات لاعداد معجم تأصيلي مقارن للغات السامية الجهد الوحيد في هذا الاتجاه ، أنظر .

David Cohen, Dictionaire des racines Sémitiques, Paris 1970 1970.

ومن المعاجم التأصيلية للغة واحدة :

F. Kluge, Etymologisches Wörterbuch der deutschen Sprache, 20 Auflage, 1967.

Bloch, Dictionaire étymologique de la langue française, avec la collaboration de W. von Wartburg (1932).

A Dauzat, Dictionaire étymologiques de la langue française 1938.

وفي مجال اللغات السامية نشير بصفة خاصة إلى المعاجم الآتية ذات المحتوى التأصيلي :

W. Gesenius, Hebräisches und Aramäisches Handwörterbuch, Berlin, 17. Auflage, 1954.

C. Brockelmann, Lexicon Syriacum, Halle 1928.

C. Gordon, Ugaritic Text—book, Roma.

(٢) من أمثلة هذا النوع :

Paul Grebe und Wolfgang Müller,

DUDEN, Vergleichendes Synonymwörterbuch, Mannheim 1964.

٩ - المعجمات المصورة :

المعجمات المصورة هي المعجمات التي تقوم أساسا على الصور ، وثمة فرق بين معجم يقوم على الصور ومعجم آخر يفيد من الصور في شرح بعض الكلمات :

المعجم المصور يتكون من عدد من اللوحات ، تمثل كل لوحة منظرا للبيت ، أو لحجرة النوم ، أو للشارع ، أو للسيارة ، أو للنباتات ، أو للحيوانات الخ ، ومع كل شئ مادي في الصور رقم ، أما الصفحة المقابلة للوحة الصور فيها أسماء هذه الأشياء بجانب أرقامها .

وهكذا يقوم المعجم المصور على الصور ، ويعطى أسماء الأشياء . وأكبر المعاجم المصورة ما أصدرته مؤسسة دودن Duden في ألمانيا الاتحادية ، وهو

معجم ألماني مصور يقع في حوالي ٣٧٠ لوحة ، ترجم مع تعديلات إلى اللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية واللغة الإيطالية واللغة الأسبانية (١) . وثمة معجمات أخرى مصورة أصدرتها مؤسسة دودن للأطفال (٥٠ لوحة × ١٠ كلمات) وللتلاميذ (١٠٠ لوحة × ٣٠ كلمة) . وقد اهتمت مؤسسة لاروس Larousse بإصدار عدة معاجم مصورة باللغة الفرنسية

(١) العنوان الكامل لهذا المعجم في اللغة الألمانية :

DUDEN, Bildwörterbuch der deutschen Sprache, Mannheim 1958.

(٢) من أمثلة المعجمات المصورة ذات اللغتين :

Bildwörterbuch Deutsch und English, Picture Dictionary German and English, Leipzig 1965.

دات مستويات متدرجة ، ترجم بعضها إلى الأسبانية. وهذه المعجمات المصورة مفيدة في اتجاهين ، فهي تفيد الطالب والباحث أن يفتح الصفحة المناسبة ويجد الكلمة المنشودة ، وهي - من الجانب الآخر - ذات كشافات أجنبية في آخر المعجم ، يستطيع الطالب البحث فيها فيجد الكلمة ومعها رقم اللوحة ورقم الكلمة في اللوحة ليعود إليها فيتعرف على الشئ المراد . ولذلك تفيد هذه المعجمات العارف بالكلمة أن يعرف ما تشير إليه كما تفيد من يعرف الشئ ويود معرفة تسميته . وقد ظهر منذ سنوات اتجاه جديد لاعداد معجمات مصورة ذات لغتين ، ولكل منها - بالضرورة - كشافان يضم الواحد منهما كلمات لغة واحدة مرتبة على حروف المعجم (٢) .

١٠ - معجمات المعاني

The Conceptual Dictionaries

معجمات المعاني هي المعجمات التي تصنف فيها الكلمات في مجموعات دلالية . وقد عرف العرب هذا النوع من المعاجم ، ووصل إلى قمته في القرن الخامس الهجري عبد ابن سيده في « الخصاص » .

وقد أدرك الأوروبيون في القرن التاسع عشر أهمية هذا الضرب من المعاجم . وأهم المعاجم المصنفة وفق المعاني معجم روجيه Roget للغة الإنجليزية ، ثم معجم

دورنزايف Dornseif للغة الألمانية^(١) وصعوبة إعداد هذه المعاجم تكمن في تحديد المعاني التي يدور حولها المعجم ، فليس ثمة تصنيف متداول للمعاني مهتدى الباحث به إلى موقع الكلمة بسهولة . ولهذا السبب فمن الضروري إعداد كشف أبجدي يضم الكلمات التي وردت في المعجم على أن يحدد الكشف مواقع ورودها في متن المعجم :

١١ - معجمات النطق

Pronunciation Dictionaries

هي المعجمات التي تعنى ببيان النطق الصحيح للألفاظ ، وتحتاجها الجماعات اللغوية في نزوعها نحو تقنين نطق واضح ومبين ومعترف بصحته لدى جمهور المثقفين ، ينشده كل إنسان يريد لنفسه مكانة اجتماعية مرموقة ، ويلتزم به العاملون في الإذاعة والتلفزيون^(٢) . وتعد مشكلة النبر من أهم مشكلات معاجم النطق ، فقد يختلف

نبر الألفاظ الأساسية من لهجة لأخرى . فيقوم معجم النطق بالإرشاد إلى النطق المنشود ، ونطق الألفاظ الدخيلة على نحو موحد مقبول عند المثقفين يعد أيضا مما ينشده القارئ في معاجم النطق ٥

١٢ - المعجمات الإملائية

Orthographic Dictionaries

هذه المعجمات تهدف إلى ضبط الأشكال الإملائية على نحو مقنن لا خلاف فيه^(٣) ، وقد ظهرت فكرة المعجمات الإملائية حلا لمشكلة اختلاف أبناء الجماعة اللغوية الواحدة في تدوين الكلمة الواحدة وحلا لمشكلة تدوين الأصوات الأجنبية والكلمات الأجنبية بصفة عامة . وفي تدوين العربية تعد قضية تدوين الهمزة - وما أكثر كلمات العربية ذات الهمزة - وقضية الألف المقصورة وقضايا تدوين الأصوات الأجنبية على نحو مقنن معترف به لدى جمهور المثقفين^(٤) ، من أهم القضايا التي

(١) انظر عن محاولات شبيهة بالنسبة للغة الفرنسية :

Georges Matore, Histoire des dictionnaires francais p. 170.

(٢) أهم معجمات النطق :

Th. Siebs, Deutsche Hochsprache, Bühnenaussprache, 18 Auflage 1961.

وهو معجم يعتمد النطق المثالي المعترف به للقاء والتمثيل على المسارح الألمانية ، وهو النطق الذي أخذت الاذاعات الألمانية به مذهبها ودرجته عليه والزمته به فصار مألوفاً لدى المثقفين . وبالنسبة للغة الانجليزية ، انظر معجم :

D. Jones, English pronouncing dictionary, London 1907.

(٣) نشأت ضرورة إعداد هذه المعجمات في أوروبا بسبب البون الشاسع بين الاملاء والنطق في عصر النزوع إلى نشر المعرفة عند كل الطبقات فلا تقتصر القراءة والكتابة على الفئات الميسورة . فالصوت الشفوي الاسثنائي المهموس (ف) يكتب في الألمانية - مثلاً - على ثلاثة أنحاء (V) ، (Ph) ، (F) ، ولذا يقدم المعجم الارشاد عند الحاجة .

(٤) يكتب صوت الجيم الشديدة على عدة أشكال ، فهي (غ) في معربات القرن التاسع عشر (ف) في تونس ، (ج) في مصر ، (ك) في العراق .

لا تحل بقاعدة نظرية بل بتطبيقها في معجم يضم هذه الكلمات مدونة بالشكل المقنن المعترف بصحته في المشرق والمغرب .

١٣ - المعجمات التخصصية :

المعجمات التخصصية هي المعجمات التي تقدم الألفاظ الخاصة بفرع من فروع العلم^(١)، وثمة معجمات تخصصية من أحجام مختلفة بعضها كبير شامل لمصطلحات الفرع كله ، وبعضها وسيط انتقائي . وبعضها أساسي يقتصر على المصطلحات الأساسية في ذلك الفرع من العلم . وهناك معجمات تخصصية أحادية اللغة ، وبعضها ثنائي اللغة ، وقد زاد في السنوات الماضية اتجاه إعداد هذه المعجمات متعددة اللغات . ويفرض عدد اللغات في المعجم طريقة ترتيب المداخل ، فالمعجم الأحادي اللغة والثنائي اللغة يرتب هجائيا ، أما المعجم المتعدد اللغات فيرتب على موضوعات العلم ، وتذكر كلمات كل موضوع جزئي بداخله ، ثم توضع كشافات

أبجدية في آخر المعجم ، و بكل لغة من لغات المعجم ترشد إلى الكلمة في متن المعجم .

وقد تخصصت عدة مؤسسات لغوية في إعداد المعجمات المتخصصة ، ففي فرنسا يقوم المجلس الدولي للغة الفرنسية :

Conseil International de la langue
française

بإصدار معجمات متخصصة متعددة اللغات^(٢) وفي الوطن العربي يقوم مكتب تنسيق التعريب بالمغرب بمهمة إصدار معجمات تخصصية يعدها اللغويون والمتخصصون في كل الدول العربية ويناقشها أصحاب التخصص مع اللغويين في مؤتمرات التعريب^(٣)

١٤ - معجمات الألفاظ الأساسية :

معجمات الألفاظ الأساسية هي المعجمات الهادفة إلى تقديم الألفاظ الأكثر شيوعا في

(١) حول مشكلات المفردات التخصصية ودرجة عموميته في فروع العلم وخصوصيتها في فرع بعينه ، هناك دراسات

كبيرة :

— Heinrich Erk, Zur Lexik wissenschaftlicher Fachtexte, Goethe Instiut, München 1972.

— Louis Guilbert et Jean Peytard, Les vocabulaires techniques et scientifiques, Langue Francaise, Février 1973.

(٢) من أمثلة المعجمات المتخصصة التي أصدرها المجلس الدولي للغة الفرنسية معجمات تتناول المجالات الآتية :

التصوير السينمائي ، الإدارة ، الأذاعة ، الطب ، البيئة ، الإعلام ، الغابات ، علم المحيطات .

(٣) تم إنجاز معجمات : الكيمياء ، الفيزياء ، والجيولوجيا ، والرياضيات ، والنبات ، والحيوان ، بشكل نهائي .

وهناك معاجم تنشر بوصفها بحوثا فردية في مجلة « اللسان العربي » ، منها : معجم الإدارة ، معجم الاقتصاد .

لغة من اللغات (١) : وقد اتضح أثناء إعداد قوائم الالفاظ الاساسية ضرورة مراعاة الموضوعات والمواقف، وجمع المادفة في إطار الموضوعات والمواقف ، فالشيوع ليس مطلقا وهو مرتبط بالموضوع (٢) . ومن ثم فقد تغيرت الاتجاهات - أخيرا - لتجعل الالفاظ الاساسية تتحدد على أساس الموضوعات وفي إطارها . والمشكلة الاساسية التي تواجه الحل الواضح لمنهجية البحث في هذه الالفاظ في العربية هي قضية الفرق بين لغة الكتابة الفصيحة ولغة الحديث التي تسودها العامية في كل اقليم عربي . وعلى الرغم من هذا ، فثمة جهود تبذل للوصول إلى تحديد للالفاظ الاساسية في العربية على أساس المنطوق والمكتوب . ونجاح هذه الجهود يعود - دون شك - بالفائدة على برامج تعليم العربية .

وهكذا تنوعت المعجمات الحديثة تنوعا كبيرا ، وقد ذكرنا المعجمات العامة

ثم المعجمات التاريخية وأضفنا إليها أربعة عشر نوعا آخر من المعجمات . وأكثر هذه المعجمات ذات صلة وثيقة بالترجمة والتثقيف وتعليم اللغات . إن معجمات الالفاظ الاساسية أداة من أدوات المقرر الأساسي في تعليم اللغات . والمعاجم التخصصية وقوائم الالفاظ تلي حاجة المقررات المختلفة بعد ذلك . والمعاجم السياقية أساس كل عمل معجمي يحاول أن يقدم مع الكلمة دلالتها بدقة ومواضع استخدامها ، وهي أيضا ذات فائدة كبيرة في الارشاد إلى الاستخدام الصحيح للكلمة وتحقيق بهذا هدفا تعليميا .

معجمات المترادفات ذات هدف عملي أيضا ، فهي تساعد متعلم اللغة من غير الناطقين بها على تبين الفروق بين المفردات ، فتمكنه من الاستخدام الدقيق لكل كلمة منها . والمعجمات المصورة وسيلة للتعرف على التسمية المقبولة للأشياء المادية من جانب

(١) أشهر هذه الجهود ما قام به اللغوي البريطاني أوجدن :

Ogden, Basic English, International Second Language,

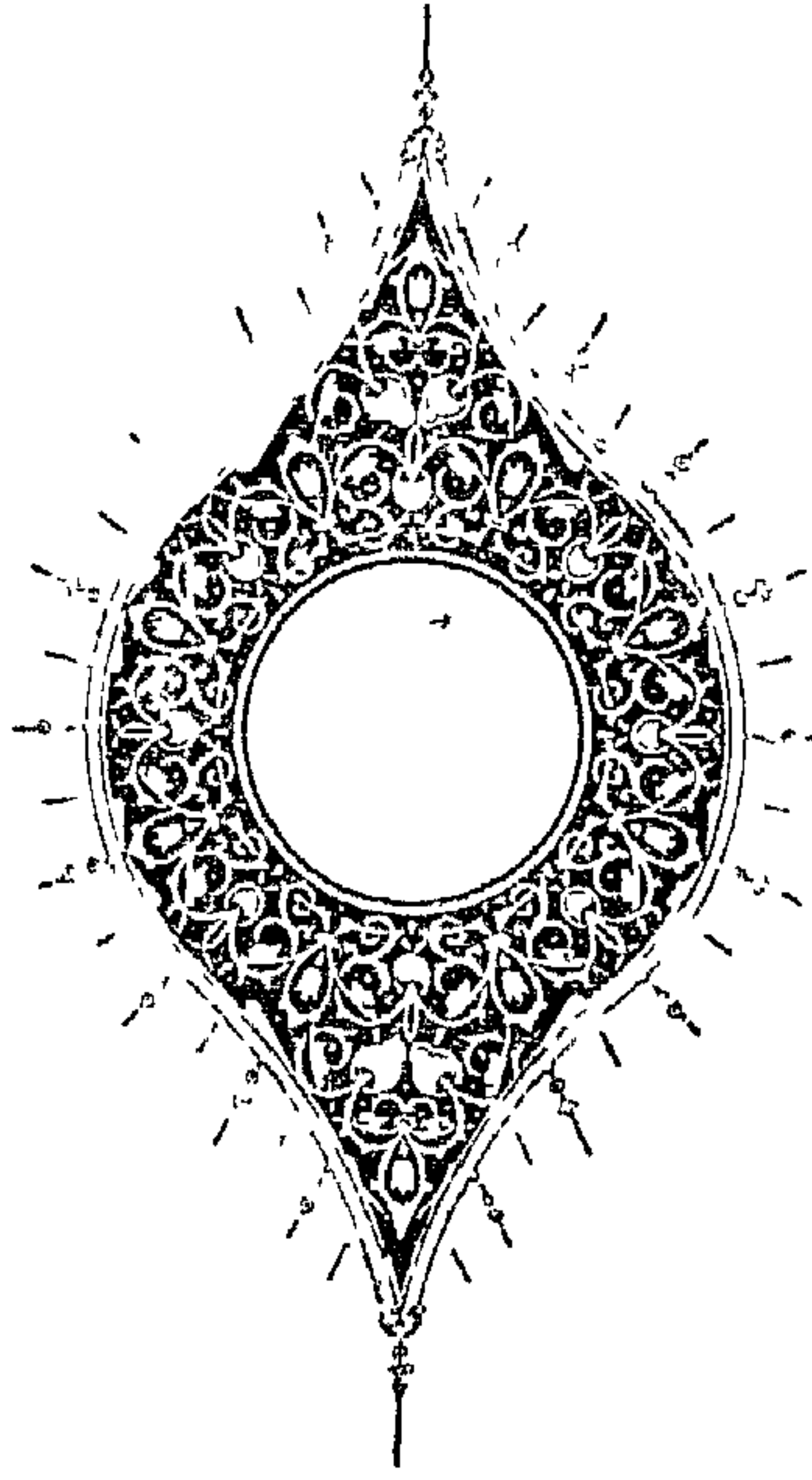
وقد قام على أساس تحديد الحاجات الاساسية والتعبير عنها ٨٥٠ كلمة مختارة من الالفاظ المستخدمة في الإنجليزية .

(٢) حول هذا الاتجاه ، انظر :

Wolfgang H. Klein, Methoden und Probleme der Textsortendifferenzierung, in : Beiträge zu den Sommerkursen 1975, Goethe-Institut, München.

وللمعرفة دلالة كلمات كثيرة خاصة بأشياء
مادية .
ومعجمات النطق ذات فوائد واضحة
في تبين النطق الصحيح للكلمات ومعجمات
الاملاء توضح كيفية كتابة المفردات مما يقنن
الشاعرين وييسر الثقافة والترجمة، وإلى جانب
هذا كله فإن المعجمات العامة تكون في أحوال
كثيرة جامعة لفضائل أنواع أخرى من
المعجمات ذات الأهداف النوعية . وفي
كل هذا فإنه من الضروري أن تعد
هذه الأعمال المعجمية بمستوى من الدقة
والواقعية وأد يكون إخراجها بمستوى العصر
حسنا ووضوحا وتحقيقا للفائدة .

محمود فهمي حجازي



الْعَاقِبُ وَالْعَاقِبَةُ من الجانب الصوتي الصرفي

للدكتور أحمد علم الدين الجندى

مقدمة :

وعلماء القراءات القرآنية في العالم الإسلامي هم الذين حملوا على أكتافهم عبء هذه الدراسات الصوتية ، وكانت جهودهم موفقة ، ونتائج بحوثهم دقيقة على الرغم من نقص وسائلها ، وإن كانوا لم يقصدوا تلك الدراسات لذاتها ، وإنما أوحى إليهم ضبط القرآن وترتيبه بهذه الأبحاث . ونحن نؤمن الآن أن كل دراسة صرفية أو نحوية لا تقوم على أساس صوتي مصيرها الفشل ، لأن العلاقة وثيقة بين علم وظائف الأصوات Phonology وبين الدرس الصرفي والنحوي. ومن أخطر المزالق ما وقع فيه علماء العربية حيث اهتموا بالأصوات الصامتة وبنوا عليها دراسة التصريف

علم الأصوات Phonetics قديم ضارب في القدم ، عرفه الهنود والإغريق والرومان والعرب ، وبذلوا فيه جهودا مشكورة ، ثم أهملت بعد ذلك تلك الدراسات حتى أشرق العصر الحديث فنهياً للدارسين وسائل البحث من التجارب العملية والآلية ، كما يسّر الاستعانة بعلم وظائف الأعضاء والتشريح والفيزياء . وربما كان من أسباب إهمال تلك الدراسات في الفترة الوسطى عدم إقبال الباحثين عليها ؛ لأن جل اهتمامهم كان منصبا على الدراسات النحوية والصرفية ، وهما محور أسرار اللغة ، كما يظنون ، أما الدرس الصوتي فكان نافلة وترفاً ،

(١) انظر أمثلة لذلك في : علم اللغة العام القسم الثاني ٢٤٤ . د . كمال بشر . دار المعارف . القاهرة .

والاشتقاق دون ذكر للحركات، وأعانهم على ذلك وجود رموز للحروف العربية مستقلة دون الحركات التي لم تظهر إلا على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي، مع أن للحركات خطورتها في تنويع أصل كل معنى، وعن طريق الحركات يتحقق تغاير المعنى الصرفي، والدور البنائي الوظيفي، فهم عنوا بالمكتوب ولم يعنوا بالمنطوق، ولهذا وقعوا في أخطاء لا حصر لها في الدرس الصوتي الصرفي والنحوي، فالكتابة هي التي صرفت علماء العربية عن أهمية أصوات اللين،^(١) فضاعت دراسة المقاطع من بين أيديهم، إذ الحركة القصيرة تكون مع الحرف الساكن مقطعا مستقلا فهي تكون قسم المقاطع العربية، ولما أهملوا الحركات، أهملوا كذلك حروف المد واللين، فكانت إشارتهم إليها سطحية وكثيرا ما أهملوها في الكتابة، إلا أننا يجب أن نذكر ابن جني عالم العربية الفذ حيث أشار إلى هذه الحركات وعلاقتها بحروف المد واللين وإن كانت إشارته يحيطها

بعض الغموض، فقال « اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد، وهي الألف والواو والياء، فكما أن هذه الحروف ثلاثة فكذلك الحركات ثلاث، وهي: الكسرة والفتحة والضمة، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو، وقد كان متقدما^١ النحويين يسمون الفتحة: الألف الصغيرة والكسرة: الياء الصغيرة، والضمة: الواو الصغيرة، وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة^(٢) » فابن جني لاحظ بأنه لا فرق بين الحركات وأصوات المد واللين إلا في الكم وإن كان لم يحدد الفرق بين الحركة والمد في قوله «الحركات أبعاض حروف المد».

فالحركة الطويلة تساوي حركتين قصيرتين، عند علماء اللغة المحدثين. فإذا أضفنا إلى ذلك أن حروف المد أوضح في السمع، وهي مجهورة، والمجهور أقوى جرساً ظهر لنا مقدار مكانها في الحقل الصوتي، كما لاحظ العروضيون أهميتها في موازين الشعر

(١) سر صناعة الإعراب ١٩/١ لابن جني. ط أول ١٩٥٤

وموسيقاه، ثم هي تمثل علامة الإهراب في كل من : المشي وجمع المذكر السالم وماحقته ، والأسماء الخمسة ، وأخيراً « تعتبر من العناصر الضرورية في بناء نظامي النبر في الصرف ، والتنغيم في النحر^(١) » وهذا البحث يتصدى لأصوات العلل ، ويختار من بينها : الواو والياء ليعحدد زاوية واحدة يقوم بفحصها ودرسها ، وحسبه ذلك .

تلك الزاوية محل الدراسة ، هي تعاقب^(٢) الواو والياء على الصيغة ، وحرف العلة إذا كان متحركاً سمي علة لاغير مثل : عَوْض ، حَيْل ، سَوْر ، وإذا كان ساكناً وقبله حركة مجانسة سمي علة ومدا مثل : نُور . عيد . دار وإن سكن وانفتح ما قبله سمي : ليناً مثل تَوْب ، سيف . وقد رمز علماء العربية لحروف العلة والمد واللين برمز واحد ، وهو إما الواو ، وإما الياء ، وإما الألف ، وكان هذا من الأسباب التي أوقعت في

اللبس والخلط ، فلا فرفى عندهم بين : وَجد ، ويُوجد فيرمزون لهما بالواو ، ويرمزون بالياء في يلد ، ويرمى . على الرغم من الفرق بينهما ، أما المصطلحات العلمية فقد فرقت بينهما : الواو الحرف : w والواو الحركة : o والياء الحرف : y والياء الحركة : i وهذا يكون لكل من الواو والياء مدلولان مختلفان في الأبجدية ، وقيمتان صوتيتان . كونهما صوتين صامتتين ، وكونهما حركتين^(٣) . وقد تسمى الواو والياء في الحالة الأولى (بأنصاف الحركات) أو تسمى (أشباه أصوات اللين) ، ذلك لأن لهما جانباً يشبه أصوات اللين ، وجانباً آخر يشبه صفات الأصوات الصامتة . والمعروف أن هذه الأصوات تتأثر بما يجاورها من أصوات فتتغير صفاتها لتصبح مفخمة^(٤) أو مرققة ، أو بين التفخيم والترقيق .

وهناك مشابهة بين صوتي المد واللين - الواو والياء جمعتها من التراث - عدا

(١) اللغة العربية معناها ومبناها ٧٢ دكتور تمام حساس . الهيئة العامة للكتاب .
(٢) لابن جني كتاب سماء (التعاقب) وهو مفقود حتى الآن ، وقد أشار إليه ياقوت في كتابه . مجمع الأدباء ، ترجمة أبي الفتح عثمان بن جني ج ١٢ ص ١١٠ وأرجح أن ياقوتاً رآه بدليل قوله « وأطرف به ! وحججه مائتا ورقة » وأنظر الأشباه والنظائر للسيوطي ١/١٢٩ حيث أشار أيضاً إلى هذا الكتاب ونسبه لابن جني .
(٣) دراسات في علم اللغة ١٣٠ . القسم الأول . د . كمال بشر . ط الثانية . دار المعارف

ماسدجله علماء التصريف من قلب أحد
الصوتين إلى الآخر ، وذلك في بابي
الإبدال والإعلال ، وإليك جوانب منها :
١- أن كلا من الواو والياء من أصوات
اللين الضيقة ، بخلاف الألف .

٢- أن الواو امتداد للضم مع فرق
يسير في وضع اللسان ، والياء امتداد
للكسر مع نفس الفرق في وضع اللسان

٣- الواو أخت الياء ، والضم أخو الكسر ،
والدليل على ذلك أنها - يجتمعان
في الردف . يقول زهير :

ولا تكثر على ذي الضغن عتياً
ولا ذكرَ التجرم للذنوب
ولا تسأله عما سوف يبدى

ولا عن عيبه لك بالمغيب
متى تك في صديق أو عدو
تخبرك العيون عن القلوب (١)

فجاء : بالمغيب مع القلوب .

وقول أبي نواس (٢) :

أجارة بيتينا أبوك غيور

وميسور مايرجى ليلك عسير

(١) أسرار العربية ٣١٦ لابن الأنباري . ط دمشق .

(٢) ديوانه ٤٨٠ مطبعة مصر .

(٣) الخصائص ٨٦/١ الملل .

فجاء بغيور مع عسير .

وكقول الشاعر :

دع الأطلال تسفيها الجنوب

وتبلى عهد جدتها الخطوب

ونخل لراكب الوجناء أرضاً

تخب بها النجيب والنَّجيب

ويقول ابن جني : ألا تعلم كيف

استجازوا الجمع بين الواو والياء ردفين

نحو : سعيد ، وعمود (٣) ، وأرجح أن تلك

الظاهرة كانت موجودة في الشعر البدوي

القديم كقول امرئ القيس :

قد أشهد الغارة الشعواء تحملني

جرداء معروقة اللَّحْيَيْن سُرحوب

ثم قال فيها :

كالدلو بُتت عراها وهي مثقلة

وخانها وذم منها وتكريب

فقد استعمل امرؤ القيس كلمة

(سرحوب) ثم (تكريب) .

ولكن هذه الظاهرة تقل أو تمحى في

البيئات المتحضرة ، يؤكد ذلك أننا لانجد

٦- ثَرَّ ، مُثَقّاً في شعر شاعر كابن الرومي
مثلاً .

٧- كما سلكت الواو والياء مسلكاً واحداً
في حالة الوقف . حيث تحذف الكسرة
منضمة وتبقى الفتحة فتقول :
هــ زِيدُ . ومررت بزِيدُ ، ثم تقول :
زُيت زِيدُ .

٨- أن قبيلة طيء كانت تقف
على الألف المتطرفة بالواو حيناً وبالياء
حيناً آخر فكانوا يقولون في : أفعَى :
فعُ . وأفعَى . ولعل السبب في هذا
أنك إذا وقفت على الألف خفيت غاية
جدة . فأبدلوا منها ياء أو واو ؛
ولا حتى أن الواو والياء أظهر من الألف.

٩- قال المتنبي واوا بعد الضمة ،
وياء بعد كسرة ، وذلك أن أزد السراة
كان يقولون : جاء زيدو ، مررت بزیدی^(٢)
معهم فعوضوا ذلك حرصاً عن بيان الإعراب
... وقف : إذ الإعراب غالباً ما يزول
في حالة الوقف .

٧- أن العرب تسقط الياء اكتفاءً
بالكسرة ، كما تحذف الواو اكتفاءً
بالضمة قبلها ، فمثال حذف الياء قول
الشاعر :

كفّاك كفُّ ما يليق درهما
جوداً وأخرى (تعط) بالسيف الدما^(٣)
وهي لهجة هذيل .

وأن الياءات المتطرفة كقوله تعالى :
« الداع . . . والجوار ، و . . يأت ،
والليل إذا يسر .

- من القراء من يحذف هذه الياءات ،
وهي لغة هذيل^(٤) .

ومثال حذف الواو ما أنشده الكسائي :
متى (تقول) خلت من أهلها الدار
كأنهم بجناحي طائر طاروا
وهذه الظاهرة في هوازن وقيس .

كما كانت مناطق جغرافية شاسعة
يسكنها قبائل قيس وأسد - تحذف الواو

١- حاشية ٢/٨٢٩ للمرزوقي ، والهمع ٢/٢٠٦ للسيوطي .

٢- مدني شجرية ١/٣٨٠ . وشرح الشافية ٢/٢٧٤ ، وأنظر : كتابنا : اللهجات العربية في التراث ٣٩٢
تصوير أمينة تامة لكتاب . القاهرة .

(٣) البحر المحيط ٥/٢٦١

(٤) إتخاف فضلاء البشر ١١٣

والياء وهما علامة المضمر ، فقد سمع
سيبويه بعضهم ينشد : [

١- طافت بآعلاقه خوذ يمانيه

تدعو العراقيين من بكر وما جمع

٢- وقول عنثرة :

(يادار عبلة بالجواء تكلم)^(١) .

والأصل في البيت الأول : وما جمعوا .

والثاني : تكلمى .^(٢)

وظاهرة الحذف السابقة أكدتها قراءات

قرآنية ، حتى لا يظن ظان أن هذا الحذف
للضرورة الشعرية^(٣) .

فهذه الأشياء السابقة شركة بين الواو

والياء وهى تؤكد التشابه بينهما وذلك

يزكى انتقال وتعاقب كل منهما ، من

مخرجه إلى مخرج الآخر .

— ٢ —

وقد أمدتنا المصادر العربية بأمثلة

للتعاقب ، التقطناها ، وقمنا بتنظيمها ،

واستنتجنا منها قضايا ومسائل :

(١) سيبويه ٣٠٢/٢ ط بلاق .

(٢) اللهجات العربية فى التراث ٥٥٨ .

(٣) أدب الكاتب ٣٦٥ لابن قتيبة ط السعادة . تحقيق محيى الدين ، والمخصص ٢٠/١٤

(٤) أدب الكاتب ٤٥٩ واللسان ٣٢٥/٢ (٥) المزهرة للسيوطى ٢٧٩/٢ ، أدب الكاتب ٣٦٤

(٦) المخصص ٢٥/١٤ (٧) المخصص ٢٥/١٤

(*) تقول المعاجم : عاقبته فى الرحلة إذا ركبت أنت مرة وركب هو مرة . وهما يتعاقبان كالليل والنهار .

وقال ابن فارس : الباب كله يرجع إلى أصل واحد هو : أن يحىء الشيء بعقب الشيء ، أى : متأخرا عنه . وفى المعاجم

أيضا : نخل معاقبة : تحمل عاما وتختلف آخر . والتعاقب والاعتقاب : التبادل (اللسان والمصباح والمختار)

فمنى المعاقبة عند علماء اللغة يرتبط بمناها الخاص وهو قلب المجازيين الواو ياء .

١- فى الأفعال : « قد دؤخوا الرجل

وديوخوه ، وقد تحيزت إلى فئة ، وقد

تحوزت ، وساغ الرجل طعامه يسيغه ،

وبعضهم يقول : يسوغه^(٣) » .

٢- فى العين : « إن فلانا سريع الأوبة

والأيبة^(٤) » . والمواثق والمياثق .

٣- وتكون المعاقبة (*) فى اللام : « كنوت

الرجل وكنيته ، وعزوت الرجل -

وعزيته^(٥) - إذا نسبته إلى أبيه .

٤- وتكون المعاقبة فى التثنية : نسيان

ونسوان ، ورحوان ورحيان^(٦) .

٥- وتكون المعاقبة فى الجمع : هو ذو

دغيات ودغوات [أى أخلاق رديئة] .

٦- وتكون المعاقبة فى صيغة فاعول :

هو الكذاب الأثوم والأثيم^(٧) .

٧- وقد تعتقب الياء والواو زائدتين

من بنات الأربع ، روى ابن السكيت :

« جعلته على حنديرة عيني وحندورة عيني .
أى نصب عيني^(١) .

وقد يرد سؤال مؤداه . هل يمكن أن
نضع نظاماً للقبائل تسير عليه في هذه
الظاهرة ؟ كأن ندعى مثلاً أن قبيلة هربية ،
أو مساحة جغرافية من البشر تؤثر نظاماً
من المعاقبة تتخالف به مع غيرها .

أرى أنه لا يمكن أن نحسم برأى ، حتى
نعرض لنصوص لغوية من شأنها أن
تساعدنا في استنباط حكم ، وإليك بعضها :

١- ما روى عن الأصمعي من قوله :
سألت المفضل عن قول الأعشى :

لعمري لمن أمسى من القوم شاخصاً

لقد نال خيصاً من عفيرة خائصا

فقلت : ما معنى خيصاً خائصا ؟ فقال :

أراه من قولهم : فلان يَخُوصُ العطاء في

بنى فلان - أى يقلله فكأن خيصاً شئ^(٢)
يسير ، ثم بالغ بقوله : خائصا - قلت
له : فكان يجب أن يقول : لقد نال
خوصاً ، إذ هو من قولهم : هو يَخُوصُ
العطاء . فقال : هو على المعاقبة ، وهي لغة
لأهل الحجاز^(٣) . وزاد اللسان « وأهل
الحجاز يسمون : الصواغ = الصياغ ،
ويقولون : الصيام : للصوام ، ومثله كثير^(٤) .
كما عزا الفراء الصيغة اليائية إلى الحجاز^(٥) ،
ومثل ذلك فعل ابن جني في محتسبه^(٦) ،
وابن خالويه في شواذه^(٧) ، وابن السكيت
في إصلاحه^(٨) ، وابن سيده في مخصصه^(٩) ،
وابن جرير الطبري في تفسيره^(١٠) ،
وأبو الطيب اللغوي في إبداله^(١١) .

وأرجح أصالة الصيغة الواوية لسببين :

أولهما : كثرة استعمال الصيغة الواوية .

ثانيهما : أن اشتقاق الصيغ من الواوية^(١٢) .

(٢) المخصص ١٩/١٤

(٤) معاني القرآن ١٩٠/١ للفراء .

(٥) المحتسب في شواذ القراءات ١٧٥/١ مخطوط بالتيمورية بدار الكتب المصرية .

(٦) مختصر شواذ القرآن ١٩ لابن خالويه .

(٧) إصلاح المتنطق ١٣٧ لابن السكيت

(٨) المخصص ١٢/٣١/٣٢/٨٢

(٩) تفسير الطبري ١٢٠/٦ ط دار المعارف .

(١٠) الإبدال ٧٨/٢ / لأبي الطيب . ط دمشق .

(١١) يؤكد ذلك ما جاء في اللسان ٣٢٥/٢ من قول الشاعر يدعو الإبل إلى الماء (جاوتها فهاجها جواته) ورواه بعضهم : جايتها . وهذا إنما هو على المعاقبة . أصلها : جاوتها ؛ لأنه فاعلها من : حوت جوت . وطلب الخفة فقلب الواو ياء ، ألا تراه رجيع في قوله : فهاجها جواته - إلى الأصل الذي هو الواو .

٢- ما جاء عن أبي علي :

ليث عليه من البردي هبرية

: كالمزبراني عيار بأوصال^(١)

ويروى : عيال وعوال ، فأما : عوال
فمن عال عولا ، وأما عيال- فلا أعرف
ما هي : إلا أن يكون على المعاقبة التي بين
الياء والواو بغير علة - وهي حمجازية^(٢) .

٣- كما روى عن تميم أنهم يقولون :
القنوة ، والحمجاز تقول : القنية^(٣) .

٤- وفي اللسان : أن (حوث) بالواو
لغة تميم^(٤) .

٥- وأن تميما تقول : قلنسوة ، على حين
تنطقها الحمجاز : قلنسية^(٥) « ويقال :
قنوت وقنيت : عزيت الأولى الواوية لتميم ،
واليائية للحمجاز^(٦) .

ومن هذا العرض نقترح أن الحمجاز
آثرت الياء ، وأن تميما آثرت الواو .

ولكن قد تفقد بعض الشواهد لتحول

بين نتيجتنا السابقة - وأهمها :

١- ما رواه أبو هريرة أن قوما يتعادون
فقال مالهم ، فقالوا : خرج الدجال : فقال :
كذبة كذبها الصياغون ، وروى الصواغون :
أي اختلقها الكذابون^(٧) .

٢- جاء عن ابن منظور في حديث
علي - رضي الله عنه - : « واعدت صواغا
من بني قينقاع^(٨) .

والمعروف أن المتكلم في النص الأول هو
الرسول صلى الله عليه وسلم . والشاهد
الثاني علي ، وكلاهما قرشيان . وكان
يجب أن تكون الرواية بالياء في «صواغا»
و«الصواغون» حتى يستقيم ما سبق أن
قررناه ، وأرجح أن رواية الحديث الأولى
بالياء ، بدليل ما جاء من رواية أخرى
بالياء فيه ، وإنما جاءت رواية الواو ؛ لأن
الحديث ربما روى على لهجة رجل من لغته
إيثار الواو على الياء ، وأما ما جاء عن ابن

(١) المزبراني - شعر مجتمع على موضع الكاهل . المخصص ٦٢/٨

(٢) المخصص ٦٢/٨ (٣) المزهر ٢٧٦/٢ للسوطي

(٤) اللسان ٤٤٥/٢ (٥) المزهر ٢٧٦/٢

(٦) المزهر ٢٧٦/٢ وقارنه بما جاء في قصيدة ابن مالك في الأفعال الواوية واليائية . في المزهر ٢ / ٢٧٩ .

(٧) اللسان : ٣٢٥/١٠

(٨) المرجع السابق

منظور فإنني أشك فيه ، والروايات اللغوية
كثيراً ما حُرِّفت وصحِّفت ، ومنها جاء
البلاء .

٣- جاء عن ابن السكيت قوله : يقال
فلان ذو دغوات ودغيات ، ولم يسمع
دغيات إلا في بيت رؤبة فإنهم زعموا أنه
قال « نحن نقول : دغية وغيرنا يقول
دغوة. وأنشد : (ذا دغيات قلب الأَخلاق^(١)) »
ورؤية هذا من تميم ، وآثر الباء على الواو-
والجواب على هذا الإشكال : أن شاهد رؤية
السابق روى في إبدال أبي الطيب^(٢) بالواو
وكذلك في اللسان^(٣) ، وبالرجوع إلى
ديوانه وجدتها بالواو أيضاً « ديوان رؤبة »
١٨٠ ، فيكون هذا مما يؤيد رأينا ،
وثانياً : أن قول ابن السكيت السابق
حاكياً رواية الباء لرؤية تجعلنا نقف
موقف الشك منها لقوله « فإنهم زعموا »
فكان الرواية لم تفارق منطقة الزعم إلى
حدود التأكيد والتأييد .

وهب أن رؤية قالها بالياء فهل يكفي
شاهد واحد ... لنقض عدة شواهد متتالية
متواترة ؟

وبعد أن وضح ما أوردناه في منطق
الحجاز ، وقيم . أريد أن أعرض جوانب
أخرى في بقاء جغرافية لثرى اتجاهات
بقية اللهجات العربية في تلك الظاهرة :

- ١- حكى الفراء عن بعض بني كلب
« عنيان الكتاب » في « عنوانه وعنوانه^(٤) »
- ٢- شد في تثنية الممدود خمسة أشياء
منها « حمرايان . وحكى بعضهم أنها لغة
فزازة^(٥) » وقياسها حمراوان^(٦) .

وجاء في اللسان عن أبي زيد « سمعت
بعض فزارة يقول : هما كسايان ونجبايان
وفضايان ، فيحول الواو إلى ياء^(٧) ، وقد
حكم النحاة بشذوذ لهجة فزارة السابقة^(٨) ،
ولكن الكوفيين قاسوا عليها^(٩) ، ومنع
ذلك غيرهم .

(١) الزهر : ٢٥٤/١ والمعنى : ذو أخلاق رديئة متلونة .

(٢) إبدال أبي الطيب : ٥١٩/٢

(٣) اللسان ٢٨٨/١٨

(٤) الأشموني : ١١٤/٤

(٥) اللسان : ١٣/١

(٦) الجمع : ٤٤/١

(٧) التصريح : ٢٩٥/٢ ، والأشموني : ٢١٢/٤

٣- جاء في الغريب المصنف أن الكسائي سأل بني سليم عن « نما ينمو » - فلم يعرفوه بالواو^(١) ، ومعنى هذا أنهم عرفوه بالياء ، ويلاحظ على هذه النصوص أنها - آثرت الياء كلهجة الحجاز - ، فهل هناك علاقة بين هذه القبائل وبين الحجاز ؟ .

أما « كلب » فقد تأثرت بالحجاز ، لأنهم عاشوا على الطريق الذي كان يسلكه الحجازيون في تجارتهم إلى حدود الشام^(٢) ، وأما فزارة فكانت بطونها تسكن منطقة الحجاز ، وإن كانت قيسية ، وأما سليم - فقد كانت على صلة وثيقة بقريش^(٣) .

فعلاقة هذه القبائل كما نرى - وثيقة الصلة بالحجاز ، فإذا عرفت أن الحجاز يغلب عليها طابع الحضارة ، وقد شاركتها القبائل السابقة - أمكننا أن نرجح أن القبائل المتحضرة آثرت الياء .

وإذا كان هذا هو موقف القبائل - المتحضرة - فإنني أعرض الآن نموذجاً

جديداً لقبائل أخرى لها وضع مميز في هذه الظاهرة وهي :

١- جاء في مجالس ثعلب :
تحن إلى الفردوس والشير دونها
وأبيات عن أوطانها حوث حلت
قال أبو العباس : هذه لغته وهو رجل من طيء .

٢- قال عياض بن أم درة^(٤) :
حمى لا يحل الدهر إلا بإذن
ولا نسأل الأقوام عهد الموائق^(٥)
« ورواه ثعلب عقد الميائيق » .

٣- حكى ابن السكيت عن بعض الطائيين أنهم يقولون « أونق » ثم قلبها بعض العرب ياء تخفيفاً فصار « أينق »^(٦) ، وكما حكاها عن طيء ابن السكيت فقد حكاها عنهم يعقوب^(٧) .

(١) الغريب المصنف : ٥٠٢ مخطوط رقم ١٢١

(٢) في اللهجات العربية : ٥٨ دكتور أنيس .

(٣) تاريخ العرب : ١٧٦/٤ جواد على .

(٤) قال أبو سعيد : حفظني عياض بن درة : نوادر أبي زيد ٦٤ .

(٥) نوادر أبي زيد : ٦٤/٦٥ ، شرح الشافية : ٢١٠/١

(٦) شرح المفصل : ١٢٩/٨ ، إصلاح المنطق : ١٤٤

(٧) اللسان : ٢٤١/١٢

٤- وجاء في المخصص عن صاحب العين : وطبيء تقول : محيته محياً ، ومحواً^(١) .

٥- جاء في إصلاح المنطق عن الفراء : ضاره يضيره قال : وزعم الكسائي أنه سمع بعض أهل العالية يقول : لا ينفعني ذلك ولا يضورني^(٢) .

٦- حكى ابن سيده عن العرب يقولون : ما أعيج من كلامه بشيء - أي : ما أعجباً به ، وبنو أسد يقولون : ما أعوج^(٣) ، كما روى ابن السكيت عنهم « عزيته إلى أبيه ، وبنو أسد يقولون : عزوته إلى أبيه »^(٤) .

٧- جاء عن أهل نجد قولهم : لهوت عنه ألهو - وغيرهم « لهيت »^(٥) .

٨- سمع أبو زيد الأنصاري رجلاً من بني عقيل يقول : هم اللذون قالوا ذاك^(٦) وفي الفصحى بالياء .

وبالنظر إلى هذه النصوص نرى أن طيئاً ، وقبائل أسد ونجد وعقيل آثرت الواو في تلك الروايات باستثناء الشاهد الثاني الذي ورد مرة بالياء وأخرى بالواو ، ولكني أرجح رواية الواو لطيئ ، ومما يؤكد رواية الواو - قول ثعلب عنها « وهي أجود وأشهر »^(٧) ثم إن صاحب رواية الواو هو عياض بن درة - وهو من طيئ . وإذا كانت هذه القبائل قد آثرت الواو كتميم فما العلاقة بينها وبين تميم ؟ لا علاقة بينها إلا أنها قبائل بدوية - فكان البدو قد مالوا إلى الواو في تلك الصيغ .

ولكن ألا ينقض هذا التقسيم - ما عثرنا عليه من روايات تسند الكلمة الواحدة وقد وردت بالياء والواو لقبيلة بعينها ؟ فقد ورد في المخصص عن أبي صخر الهذلي :

فإن يعذر القلب العشية في الصبا

فؤادك لا يعذرك فيه الأقاوم^(٨)

(١) المخصص : ٧/١٣

(٢) إصلاح المنطق : ١٣٦ ، المخصص : ٢١/١٤

(٣) المخصص : ٢١/١٤ ، إصلاح المنطق : ١٣٦ اللسان : ٨٦٢/٣

(٤) المخصص : ٢٣/١٤

(٥) نواد اللغة لأبي زيد : ٨٩

(٦) المصباح : ٨٦٢/٢

(٧) نواد اللغة لأبي زيد : ٦٤ - ٦٥

(٨) المخصص : ٢٢/١٤

وقد روى « الأقيام » يريد القوم ،
وبما أن صخرًا هذا من هذيل ، وهذيل
تقع في منطقة الحجاز ، وكان المفروض
أن تقول (الأقيام) بالياء ، إلا أنها
وردت بالياء مرة والواو مرة أخرى ،
وأرجح أن هذيلًا وإن كانت تسكن مناطق
الحجاز إلا أن جزءًا منها كان بدوًا يعيش
على قنن الجبال ومسارب المياه ، وكان
عملهم إثارة الرعب ، ونهب القوافل ،
والصعلكة التي تتمثل في مجموعة من
شعرائها وعدائيتها - وهنا نرجح أن
الصيغة الواوية للبدو منهم ، واليائية
للحضر ، وعلى النظرة إلى المجتمع يمكن
أن نحل المشاكل التي تعترضنا ، فإذا ما عزا
صاحب الجمهرة صيغة : يأتو - بدل :

يأتى في قول خالد بن زهير :
يا قوم مالى وأبا ذؤيب

أكنت إذا أتوته من غيب^(١)

إلى هذيل ، وسار على هذا ابن سيده

في مخصصه^(٢) ، وأبو علي في أماليه^(٣) ،
ثم يعرض يونس بن حبيب نصًا مخالفًا
يقول فيه « أجويت القدر » - وهذيل
تقول أجويتها^(٤) . فكأن هذيلًا نطقت
مرة بالواو ، ومرة بالياء ، وإذا
عزى الحميري - الكلوة - على أنها لغة
اليمن في الكلية^(٥) . فإننا لا نرى أن
اليمن كلها كانت تنطق بالواو في مثل
هذا - بل أرجح أن المجتمع البدوي منهم
كان ينطق ذلك بالواو فقط ، وخير من
يمثلهم قبائل : خثعم وزبيد .

وهذه المعاقبة بين الواو والياء كما كانت
في العربية - حدثت في أخواتها ، فقد
حدث ذلك في الآرامية ، وفي العاميات^(٦) .

- ٣ -

وهناك صيغ يظنها الباحث من المعاقبة
وليست منها :

أولا ١ - من ذلك قولهم : هو يأتيك
في الغدايا والعشايا^(٧) فإن أفردوها

(١) الجمهرة : ١٧٠/١ ، ديوان الهذليين : ١٦٥/١ ط دار الكتب .

(٢) ٢٨/١٤ (٣) أمالي القالي : ٢٠٩/٢ .

(٤) ما تفرد به بعض أئمة اللغة : القسم الثاني ما تفرد به يونس بن حبيب : خط دار الكتب رقم : ٤١٨

(٥) شمس العلوم للحميري : ٩٣

(٦) من ذلك ما ورد في تكملة لإصلاح ما تغلط فيه العامة الجواليقي ص ٣٣ من قولهم : منيار - الذي يستصح^ق
به على أبواب الملوك ، والنصواب : منوار ؛ لأنه مأخوذ من : النور أو من : النار ، وكلاهما من : الواو .
ولوثبت مفعلا من : النور والقول لقلت : منوار ومقوال بالواو ، ولم تقله بالياء . ويبدو : أن ما في طبعنا
المصرية . عاوز وعاز من هذه المعاقبة الحجازية . (٧) أنظر أمثلة في : درة الغواص ٧٩

قالوا : الغدوات . فليست : الغدايا . معاقبة ،
لأن الذى أوجب تلك الصيغة الحفاظ على
الموازنة فى الألفاظ وتعادلها ، فهم
قد غيروا الواو فى (الغدوات) إلى الياء
فى (الغدايا) للازدواج وحده .

٢- ومن ذلك ما جاء فى الحديث النبوى
فى عذاب القبر : « لا دريت ولا تليت
ولا اهتميت » والأصل : تلوت - فأبدل
واوها ياءً اتباعاً ليائى الفعلين قبله وبعده .
ولو أفردھا لقال : تلوت .

٣- ومن ذلك قولهم للشجاع الذى لايزايل
مكانه (هو أميس أليس) والأصل :
(الأهوس) بالواو ؛ لاشتقاقه من (هاس
يهوس) إذا دقّ ، فعدلوا به إلى الياء
ليوافق لفظ (أليس) ، فهو ليس من
من المعاقبة فى شيء ، وإنما جرى به للانسجام
وتوافق النسق الصوتى بين أصوات اللين ،
وهو نوع من (تقريب^(١)) الأصوات ،
أو (مضارعتها)^(١) أو (تماثلها) :

Assimilation ، وقد يسمى « المماثلة :

بين أصوات اللين » ، أو Vowelharmony

٤- وأنشد أبو زيد :

(عيناؤ حوراء من العين الحير) .

وفى قوله تعالى « وزوجناهم بحور عين^(٢) »
قال ابن خالويه : حكى الفراء^(٣) : بحير
عين ، وقرأ بها النخعي^(٤) . وأرى أنها
ليست من المعاقبة ؛ لأن قلب الواو ياء فى
فى (الحير) وأصلها : الحور جاء نتيجة
كسر الحاء ، والمعاقبة تكون بغير علة ،
أما هنا : فصيغة : الحير : للمعادلة
والموازنة والمماثلة مع : العين . فالموازنة
فى هذه الأمثلة لسبب خارجى ، ومن ذلك
ما كانت تقوله العرب للرجل إذا قدم
من سفر : أوبةً وطوبةً^(٥) « أى : أبت
إلى عيش طيب ومآب ، طيب ، والأصل :
طيبة^(٦) ، فجاءوا بالواو لمساوقة الأسلوب
ومحاذاته .

(١) ساء سيويه فى : الكتاب ٢/٢٥٩ القريب ، كما سماه : المضارعة : الكتاب : ٢/٢٦٤

(٢) الطور ٢٠

(٣) مختصر شواذ القرآن ١٤٥ ، لابن خالويه ..

(٤) البحر المحيط ٢٠٦/٨

(٥) المرمر : ٣٤٠/١ للسيوطى .

هـ - ومن ذلك : أن الصيغة ربّما
تلكأت على سلم التطور فتوقعت في مرحلة
التهذيب كقول الشاعر :

عديني أن أزورك أم عمرو

(دياوين) تشقّق بالمداد

وعند ما بلغ التطور مداه ونهايته في
الفصحى أصبحت (دواوين) جمع :
ديوان .

ثانياً : وليس من المعاقبة ماجاء من باب
توهم أصالة الحرف في مثل قول الشاعر :

١ - ولقد رأيتك بالقوادم مرة

وعلى من سدف العشى رياح^(١)

فالقياس : رواح ؛ لأنه من راح يروح ،
لكنه لما كثر قلب هذه الواو في تصريف
هذه الكلمة - ياء ، نحو : ريح ورياح ،
ومريح ومستريح ، وكانت الياء أيضاً
عليهم أخفّ ، تدرجوا من ذلك إلى أن
قلبوها في (رِيّاح) مع زوال الكسرة
التي توجب القلب ، وكانهم توهموا
أن الياء - أصلاً في ذلك ، أي ظنوها

أصلية وليست مقبلة عن واو . وقد أنكر
أبو حاتم السجستاني على عمارة بن عقيل -
- وهو من شعراء البادية في القرن الثالث
الهجري - حين ذكر في شعره (الأرياح)
جمع : ريح فقال له أبو حاتم : هي ؛
الأرواح ، فقال عمارة معتذراً : جذبني
إليها طبعي . أي إلى (أرياح) أمانتهم
يقولون : رياح

ومن ذلك قولهم : أعياد - في جمع عيد.
والقياس أن يقال : أعواد ؛ لأن أصل
عيد (عود) لكن العرب توهمت
أصالة الياء في : عيد ، فجمعوها
(أعياد) .

٢ - ومن هذا قول الراجز :

هو الجوادُ بنُ الجوادُ بن سَبَلْ

إن دوّموا جادَ وإن جادوا وبَلْ^(٢)

فالواو في دوّموا - أصلية ، لأنها مشتقة
من الدوام ، لكن رواه ابن قتيبة في كتاب
(أدب الكاتب) بلفظ (ديّموا) بالياء^(٣) ،
وهذا شاذ ؛ لأن : الدّيمة - أصل الياء فيها

(١) الخصاص ١/٣٥٠ لان جنى ، وانظر : مجالس العلماء ١٩٣ للزجاجي .

(٢) التصريف الملوكي ٣٣ لان جنى ط الثانيه ١٩٧٠ دمشق ، والبيت لمدح رجل وتفضيله على غيره في الكرم .

واو ، لأنها من الدوام ، لكن الواو -
لما سكنت وانكسر ما قبلها قلبت ياء ،
فكان ينبغي حين ذهبت الكسرة الموجبة
لانعقاب الواو ، أن ترجع إلى أصلها -
فيقول (دوّما) ، ولكن هذا من البدل
الذي يلتزمونه مع ذهاب العلة الموجبة له .

ثالثاً :

- ولا معاقبة بين الواو والياء فيما جاء عن
السَّهْوِ والغلط ، وذلك كقراءة الحسن
البصري « وما تنزلت به الشياطين »
قال ابن جنى في المحتسب ^(١) :
والشياطين غلط « وقال غيره : لحن
فاحش . وكذلك قال الفراء . وقد
سمع مثل ذلك عن العرب ، ففي كتاب :
عبث الوليد ، لأبي العلاء المعري قول
أعرابي : هذه بساتون ^(٢) بنى فلان «
ومثل ذلك قراءة الكسائي وكان يصلي
بهارون الرشيد فقراً « لعلهم يرجعين »
في قوله تعالى « لعلهم يرجعون » فلما
سلمت قال يا كسائي : أى لغة هذه ؟

قلت : يا أمير المؤمنين . قد يعثر الجوادُ
فقال : أما هذه فنعم ^(٣) !

رابعاً :

١- ومن خلال الشواهد لمحضنا في المعاقبة
(وَحْدَة) المعنى بين الصيغتين الواوية
واليائية ، فلا معاقبة فيما جاء عن ابن
السكيت عن أبي عمرو الشيباني : الكور -
المبنى من الطين ، والكير : الزقّ الذي
ينفخ فيه ^(٤) .

٢- وقولهم : قلوت وقليت : يقال
لقلّى البُسر والبرّ ، وكل شيء يقلّى بالواو
والياء ، ولا يكون في البغض إلا قلّيت .
وقولك : وجه صبح ، وصبيح ،
لا يصلح للمعاقبة ؛ لأنّ الصُّبوح : ما حلب
من اللبن بالغداة ، أما الصبيح ، فهو
الوصف من الصباحة بمعنى الجمال والبهاء ،
فالكلمة بالياء لا غير .

وقولهم : ضاع يضيع . من الضياع ^(٥) ،
فالألّف منقلبة عن ياء ، وضاع يضوع :

(١) ١٣٣/٢ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٦٩ . القاهرة . وانظر تفسير القرطبي ١٤٠/١٣ ، ونهاية
الأرب ٣٩٢/٣ ط القاهرة ، ومختصر شواذ القرآن ١٠٨ لان خالويه .

(٢) عبث الوليد ٢٢٦ للمعري . دمشق ١٩٣٦

(٣) المزهر ٢٩٠/٢ ، ٢٩٨

(٤) إنباه الرواه : ٢٦٢/٢

(٥) الإبدال ٤٥٥/١ لأبي الطيب اللغوي .

الألف منقلبه عن الواو . والمعنى مختلف ،
إذ الأولى من : الضياع ، والثانية من :
ضباع ، إذا ظهر . فلا معاقبة بين الصيغتين .

ومن هذا : البين ، فأصله الظرف
المكاني بين - ثم انتقل إلى : الفراق
والبعد والوضوح ، وأصلها : الظرف
(بَيْن) ثم قالوا : بان يبين - وفرقوا في
المصدر فقالوا للبعد : البين ، وللوضوح :
البيان ، ثم قالوا : بَوْنٌ للمسافة بين
الشيئين . فالعربية هنا قد اتخذت من
الياء والواو وسيلة لصرف الألفاظ إلى معانٍ
مختلفة . كقولنا : الغيث : للمطر ،
والغوث : لمعنى جديد وهو المساعدة والنجدة^(١)
وهذا التباين يمكن أن يسمى بالقيم -
الخلافية : differential Values

٣- ولا معاقبة في قراءة الجمهور
« كذَّبَتْ ثمود بطغواها » مع أنها من
[الطغيان] لأنهم يفرقون بين الاسم
والصفة ، فتقلب في الاسم واوًا ، كما

هنا . وتبقى في الصفة كما قالوا : امرأة
صديا وخزيا (أنظر البحر ٨/٤٨١) . هذا .
وقد نقل بعضهم أن طغى - قد يستعمل
واوياً ويائياً مثل : طغيت طغياناً وطغوت
طغواناً ، وعلى هذا الأخير تكون معاقبة .

- ٤ -

ومن طريقتنا في الدرس اللغوى أن
نعرض مباحثنا فيه على القرآن الكريم
لنرى تصويره للظواهر اللغوية ، وفي جولة
أعرض من خلالها تصويره للمعاقبة من
خلال قراءاته المختلفة :

١- أن عمر بن الخطاب قرأ « الله لا إله
إلا هو الحي القيوم^(٢) » وأصله : القيوم ،
فلما التقت الواو والياء وسبقت الأولى
بالسكون ، قلبت الواو ياء ، وأدغمت
فيها الياء^(٣) ، وعمر قرأ على منطق الحجاز
لأنه قرنى .

٢- وقوله سبحانه « لاتذر على الأرض
من الكافرين دياراً » وهو : دوار :

(١) النحو العربى ٢٠٧ د . إبراهيم السامرائى . ط بيروت .

(٢) البقرة ٢٥٥

(٣) تفسير الطبرى ١٥٥/٦ ط دار المعارف ، والمختضب ١٧٥/١ مخطوط بالتيهورية - القاهرة ، مختصر شواذ
القرآن ١٩ لابن خالويه ، معانى القرآن ١٩٠/١ للفراء . ط دار الكتب المصرية ، ديوان الأدب ورقة ٣٣٠ مخطوط
بدار الكتب المصرية رقم ٣٨٣ لغة تيمور

(٤) نوح ٢٦

فعال من دار يدور ، فالاية نزلت بلهجة الحجاز ، وأقرت كذلك في المصحف ، ورسم المصحف يعتبر مرشداً إلى حد كبير للاجة الحجاز .

٣- وقوله جل شأنه : « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً »^(١) والأصل : قواماً ، فحولت واوها ياء ، والدليل على هذا ما جاء من كلام العرب مفعولاً على أصله - من قول حميد الأرقط :
(قِوَامُ دُنْيَا وَقِوَامُ دِينٍ)^(٢)

وبعض القراء قرءوا في الآية السابقة : « قواماً للناس » .

٤- وفي قوله تعالى : « وعلى الذين يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ »^(٣) . قرأ ابن عباس وعائشة وعكرمة وأيوب السخيتاني وعطا

(يُطِيقُونَهُ) ، كما قرأ آخرون (يُطِيقُونَهُ)^(٤) .

٥- وفي قوله تعالى : « فادع لنا ربك »^(٥) وأصلها من : دعا يدعو ، إلا أن لغة بني عامر (فادع)^(٦) بكسر العين ، وهي عندهم من ذوات الياء (دعا يدعى) .
٦- وفي قوله عز اسمه : « أو جاء أحدٌ منكم من الغائط »^(٧) قرأ الزهري وابن مسعود : من عَيْط . « وأصله : غوط على فعل . قلبت الواو للتخفيف - ياء ، أو قلبت استحساناً مثل : العليا ، وهي من^(٨) علوت ، والعيشاء بمعنى العوصاء (هي الكلمة الغريبة ، ومن الدواهي : الداهية الشديدة) .

٧- وفي القرآن : « قَنَوَانٌ دَانِيَةٌ »^(٩) وحكى الفراء لغة رابعة وهي (قُنْيَان) بالياء^(١٠) .

(١) المائدة ٩٧

(٢) تفسير الطبري ٩١/١١ ط دار المعارف .

(٣) البقرة ١٨٤

(٤) مختصر شواذ القرآن ص ١١ : والبحر المحيط ٣٥/٢ والمختص ١٢٥/١ بخطوط بالتبجور .

(٥) البقرة ٦١ (٦) البحر ٢٣٢/١

(٧) النساء ٤٣

(٨) المختص ١٩٠/١ ط المجلس الأمل بالقاهرة .

(٩) الأنعام ٩٩

(١٠) مختصر شواذ القرآن ص ٣٩ لابن خالويه .

وإذا وسّعنا الدائرة قليلا ، وخرجنا من حقل المعاقبة إلى حقل آخر ، وجدنا مارأيناه آنفا قد التزم في عدة ملامح من ظواهر العربية ، من ذلك أن الكسائي وهشاما قرءا قوله سبحانه : « وقيل ، وغيض ، وحيل ، وجيء ، وسيق - بالواو بدل الياء (البحر ج ١ ص ٦١) كما قرأ عيسى بن عمر وطلحة بن مصرف في سورة هود . آية ٧٧ قوله تعالى : « سوعهم » بالضم والواو (البحر ج ٧ ص ١٥١) وقد عزيت الصيغ اليائية لعريش ومن جاورها من كنانة (البحر ج ١ ص ٦١) كما عزيت الصيغ الواوية إلى قبائل قيس وعقيل ومن جاورهم ، وعامة أسد ، وإلى دبّير وفقّس (شرح ابن عقيل ١ / ٤٢٦) .

ويلاحظ أن الصيغ اليائية معزوة لقبائل الحضر كقريش وكنانة ، على حين آثرت القبائل البدوية كأسد وقيس وعقيل ، ودبّير وفقّس (وهما بطنان من أسد) الصيغ الواوية .

ربما كانت المعاقبة بين الواو والياء ؛ أكثر شيوعهما في النسيج العربي ، وقد دلت التجارب العلمية على أن نسبة ورود الكسرة التي هي بعض الياء ١٨٤ في الألف ، والضمّة ١٤٦ في الألف^(١) وقد قام أستاذنا الدكتور إبراهيم أنيس بإحصائية في القرآن الكريم أقتطف منها مايؤيد وجهة نظري في شيوع صوتي الواو والياء :

نسبة شيوع الواو ٥٢ مرة في كل ألف ، والياء ٤٥ مرة في كل ألف .

على حين وقعت القاف ٢٣ مرة ، وكل من السين والdal ٢٠ مرة ، والجيم ١٦ مرة ، والخاء ١٠ مرات^(٢) . ولم يتقدم على (الواو والياء) في نسبة شيوعهما غير : اللام والنون والميم ؛ لأن هذه الثلاثة تعدّ من الناحية الصوتية : أشباها لأصوات المدّ اللّين ، ونظرية الشّيع تقرر أو تنادي بأنّ الأصوات

(١) الألسنية العربية (٢) ص ٢٩ . ريمون طحان . دار الكتاب الثاني - ١٩٥٠ .

(٢) الأصوات اللغوية ١٧٣ د . إبراهيم أنيس ط الثانية . نفسه .

التي يشيع تداولها في الاستعمال ، تكون أكثر تعرضا للتطور من غيرها ، وكان صاحب هذه النظرية Vilhelm Thomsen وتبعه كثير من علماء اللغة المحدثين . وإنما تحولت الواو إلى الياء ؛ لأن الياء أخف من الواو ، والضم وهو الواو الصغيرة كما يرى علماء العربية القدامى - يحتاج إلى جهد عضلي^(١) أكثر ، لأنه يتكون بتحريك أقصى اللسان ، على حين يتكون الكسر بتحريك أدنى اللسان ، وتحرك أدنى اللسان أيسر من تحرك أقصاه . ولهذا تميل البيئات المتحضرة إلى الكسر ، فهو يشير إلى الرقة ، والكسرة رمز الموث ، والتصغير في العربية - بالياء ، والكسرة كما يقولون : هي الياء الصغيرة .

موسيقية المعاقبة :

على أن (المعاقبة) تمثل جانبا من المرونة اللغوية ، وبذلك : يتحقق لها نوع من الموسيقى الظاهرية ، فالصرفيون يرون أن الواو إذا وقعت

عينا لجميع على فعل - فالقياس هو الإحلال (صيتم ونيم) ثم نسمعهم يقولون إن الأكثر هو التصحيح (صوم ونوم) ، كما يرون أن الفعل الثلاثي المنتوح العين الواوى اللام تصح لاه في اسم المنعول مثل : معدو ومرجو ، ولكن وجدنا نغمة أخرى في التراث كقول عبدالغوث بن وقاص الحارثي :

وقد علمت عُرسي مليكة أننى
أنا الليث معديا عليه وعاديا

وهذه المراودة بين الواو والياء تحقق نسقا صوتيا وظلالا موسيقية ذات ألوان .

أحكام على المعاقبة :

- ١- يقول سيبويه في الكتاب ٢ - ٣٨٢ س ٥٠٦ « وقالوا مرضى ، وإنما أصله الواو ، وقالوا مرضو ، فجاءوا به على الأصل والقياس »
- ٢- ويقول الفراء في كتاب المنقوص والممدود ص ٣١ : الرحي بالياء والألف ؛

(١) انظر : الإنصاف ١/١٤ ط السعادة الرابعة . حيث يرى أن الياء أخف من الواو ، وانظر : أسرار العربية ٣١٦ لابن الأنباري ط دمشق ، ويقول صاحب التصريح ١/٥٩ « أقوى الحركات الضم ويليهِ الكسر ثم الفتح » .

وقدم ذكر الياء ؛ لأنها أعلى . ففي
اللسان : تثنيتهما : رحوان ، والياء
أعلى .

٣- قال القزاز في الجامع ، وابن القطاع
في أفعاله : بروت العود والقلم بروا ،
وبريته برياً . قال القزاز : والياء أعلى .
القزاز القيرواني ص ٩١ . ط تونس .

٤- يقول ابن عصفور ؛ فأما فُعَال
نحو : صُوام فلا تقلب الواو فيه ياءً
لبعدها من الطرف ، وقد جاء حرف
واحد شاذ ، وهو قولهم : فلان في
صُيَّابة قومه ، يريدون : صُؤَّابة . أي :
صميمهم وخالصهم . « ابن عصفور
والتصريف ص ١٥٠ تأليف : قباوة » .

٥- وفي المخصص لابن سيده (١٤/
٢٥) : وجعلته على حنديرة عيني ،
وحندورة عيني ، يقول أبو عبيد :
والحنديرة ؛ أجود . وأرى أن هذه
الأحكام تمثل وجهة النظر المعيارية من
جانب علماء العربية الأقدمين .

المعاقبة والمجتمع :

وتطور الصيغة من صوت إلى آخر
يحقق مع الجانب الموسيقي كما رأيت -
جانبا آخر يتلخص في أن الصيغتين
الواوية واليائية يمكن أن تصور كل
منهما ما عليه المجتمع من مستوى متخلف
أو متقدم ، حضري أو بدوي ، إذ
اللغة نموذج لحياة الشعوب تقدما وتخلفا
خذ مثلاً ماجاء في طبقات الزبيدي^(١) حين
عزا إلى قبيلة (بنى عامر) صيغة (ما
سيأتك العرب) وقياس هذا الفعل كما
تعلم من باب : فَعَلَ بفتح العين في
الماضي وضمها في المضارع (سَوَّدْتُكَ) .
وأرجح أن (بنى عامر) كلها لم تنطق
هذا الفعل بالياء - بل الذين نطقوه منهم
كذلك هم الحضر ، ومما يرجح هذا
أن منازل (بنى عامر) بعضها كان
في نجد ، والآخر كان في الطائف ،
ولا شك أن القاطنين منهم في الطائف
كانوا حضرا ، وأن ساكني نجد كانوا
بدوا . كما أحب أن أشير إلى أمر هام ،
وهو أن المعاقبة ليست لازمة في لهجات
الحجاز ، ومن سار سيرها ، وإلا

(١) طبقا للنحويين واللغويين ٢٩٥ للزبيدي ط الخانجي . القاهرة .

لخلت من منطقهم الواوات ، وهذا ما لم ألاحظه ، فالمعاقبة إذن ليست مطردة في كلامهم .

اقترح :

أرى أن توسع أبعاد المعاقبة اللغوية فلا تقتصر على تعاقب حرفي الواو والياء كما رأى علماؤنا القدامى ، بل يمكن أن نبسط حدودها ، وننشر أبعادها فتشمل التعاقب بين حركتي الضمة والكسرة ، « وقد كان متقدمو النحاة يسمون الضمة الواو الصغيرة والكسرة الياء الصغيرة وفد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة^(١) » لأن الواو ليست في الحقيقة إلا امتدادا للضم مع فرق يسير في وضع اللسان ، وأن الياء امتداد للكسرة مع فرق يسير في وضع اللسان أيضاً ، ولقد جمعت قدرا صالحا من التعاقب بين الكسرة والضمة ، فكانت نتيجة هذا العمل أن سار في خط واحد مع تعاقب الواو والياء حيث عزيت صيغ

الضم إلى القبائل البدوية ، والكسر إلى القبائل القارية ، تماما كالواو والياء . وذلك يتفق وما أراه من توسيع أبعاد (المعاقبة) لتشمل الواو والياء ، والضمة والكسرة ، فمن ذلك :

(١) أن تقيما تضم أوائل (عدوة ، وعشوة ، وأسوة ، وقدوة) والحجاز تكسر .

(ب) ضم الراء من (رضوان) لغة عيس وتميم^(٢) والكسر لغة أهل الحجاز^(٣) .

(ج) ضم الصاد من (صنوان) لغة تميم وقيس ، وبالكسر لغة أهل الحجاز^(٤) .

(د) ضم القاف من (قنوان) لغة قيس ، وبالكسر للحجاز^(٥) ، وفي اللسان أن الصيغة بالكسر معزوة إلى قبيلة كلب . وببيئة هذه القبيلة ليست إلا امتدادا للبيئة الحجازية المتحضرة كما سبق في هذا البحث

(١) سر صناعة الإعراب ١٩/١ لابن جني . ط أول

(٢) المزهر ٢/٢٧٧ ، إبراز المعاني ٣٢٤ وانظر إنجاء ، فصاح البشر ٢٥٤

(٣) المصباح ١/٣٥٢

(٤) إبراز المعاني ٢٦٧

(٥) البحر المحيط ٥/٣٥٧

(٦) المصباح ٢/٩٨

(هـ) كسر الشين من (شواظ.) لغة الكلابيين ، وبعضهم حضر ، على حين ضم غيرهم من البدو ، كما وردت قراءة ابن كثير وابن محيصن بكسر الشين . وابن كثير مكى ، وابن محيصن قرشى ، فهما يمثلان لهجة الحجاز الحضرية التي تجنح إلى الكسر .

(و) (قبلاً) بالضم لتميم ، وبالكسر لكنانة^(١) وكنانة من الحضرم .

(ز) (Suhru) في الآشورية بالضم ومعناها : صغير ، وهي تقابل (sehru) في البابلية بالكسر بالمعنى السابق ، والعلاقة واضحة بين الآشورية وبين اللهجات الشرقية والتي تؤثر الضم ، كما أن العلاقة واضحة كذلك بين البابلية وبين اللهجات الغربية والتي تؤثر الكسر .

(ح) (أمو) في الآشورية ، بالضم ، ويقابلها في البابلية (إمو) بالكسر ، وفي العبرية ' יִמּוּ

فإذا نظرنا إلى المقارنات السامية وجدنا أن الضمة والواو في العربية

(٧) كتاب اللغات ، القرآن ص ٢٦ .

يتعاقبان في كثير من الصيغ مع الكسرة والياء في العبرية . وعلى سبيل المثال :

اسم	في العربية	في عبرية
	وَلَدَ	יָלַד
أفعال	وَلَدَ	יָלַד
	وَرِثَ	יָרַשׁ
	وَعَدَ	יָלַד
ضمائر منفصلة	أَنْتُمْ	אַתֶּם
	أَنْتِ	אַתְּ
	هُمْ	הֵם
	هُنَّ	הֵנּוּ
ضمائر متصلة	... تُمْ	אַתֶּם
	... تَنْ	אַתֶּם

وفي النهاية يؤكد هذا العمل وحدة نظامة ، وهذا يقودنا إلى وحدة الحكم بينهما كما رأيت . ولكن لماذا آثرت القبائل البادية صوت الواو أو الضمة ، ولحاضرة صوت الياء أو الكسرة ؟ ربما من القبائل البادية إلى الضمة ، وهو مقياس لين خلقى ؛ لأنّ الضم مظهر من مظاهر الخشونة البدوية وطبع الجفاة من العرب ، كما مالت القبائل القارية (المستقرة) إلى الكسر ؛ لأنّ الكسر دليل التحضر والرفقة في معظم البيئات اللغوية .

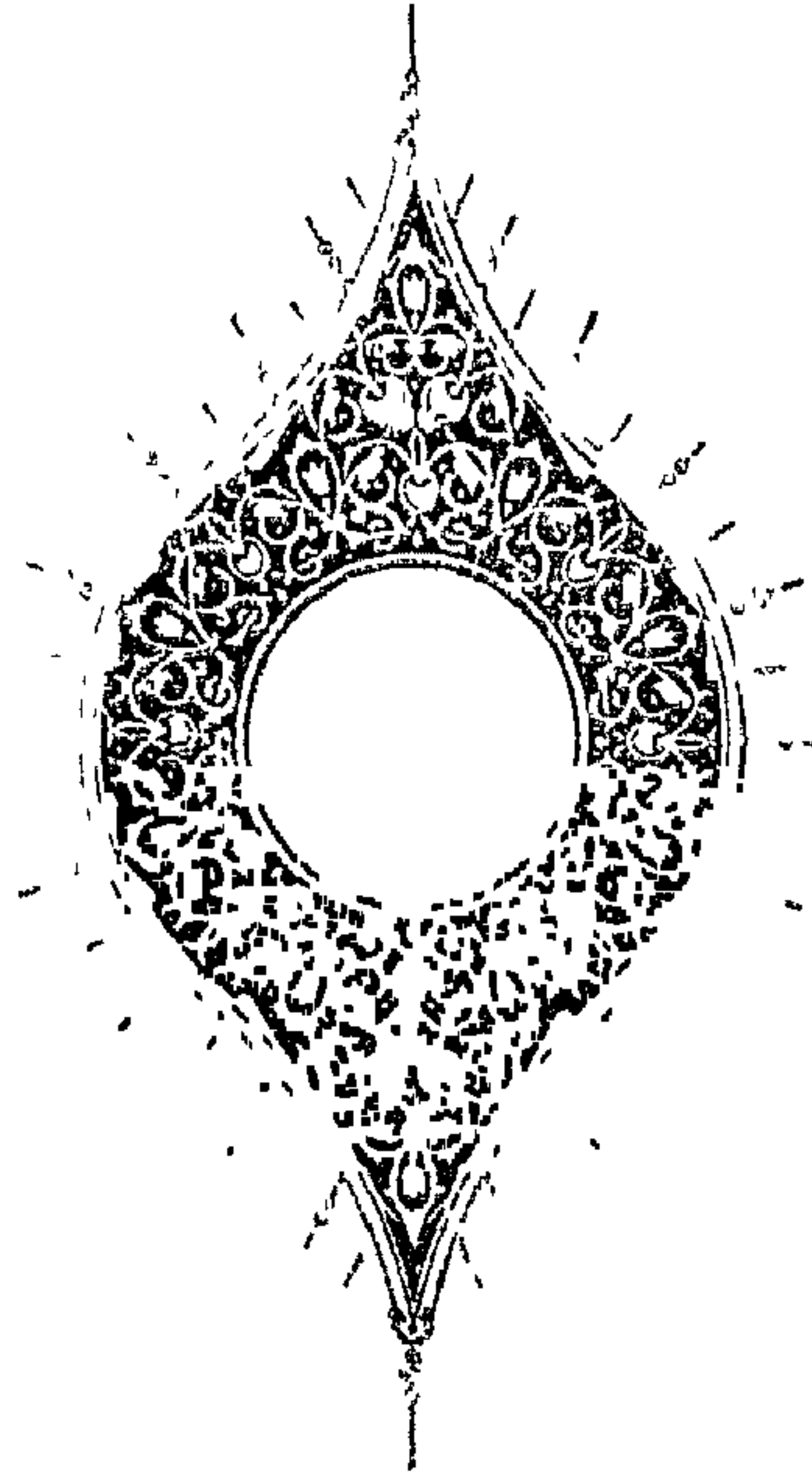
إنما وقع التعاقب بين صوتي الواو والياء والضمة والكسرة ؛ لأنّهما متشابهان من الناحية الصوتية ؛ فكلاهما من أصوات اللين الضيقة .

كما نراهما في العربية الشمالية والجنوبية وسميات كعلامة إعراب . فالمثنى يعرب بالياء والنون في حالتي النصب والجر في اللغتين الأكديّة والبابليّة قديمتين ، والجمع المرفوع في تلك لغات بالواو ، وهي علامة الجمع المرفوع في كل اللغات السامية تقريبا ، كما ينتهي بياء في حالتي النصب والجر .

وعلى كل فالعربية الفصحى تميل إلى لهجة الحجاز ، حيث أنّ الفصحى تميل نحو الكسرة كلما كان لها أنّ تختار بينها وبين الضمة ؛ مما يدل على أنّ الواو أثقل من الياء ، كما أنّ الواو خلفية في مستوى الحلق ، والاستدارة في مستوى الشفتين ، الأمر الذي يجعل نطقها أثقل من نطق الكسرة أيضاً ، ويؤكد هذا ماورد في كتاب الإنصاف لابن الأنباري ج ١ ص ١٤ ط السعادة . قالوا : طويت طياً ، ولويت لياً ، وشويت شيئاً . والأصل فيه : طوياً ولوياً وشوياً ؛ إلا أنّه لما اجتمعت الواو والياء والسابق منهما ساكن قابوا الواو ياء ، وجعلوهما ياء مشددة ، وإنما وجب قلب الواو إلى الياء دون قلب الياء إلى الواو ؛ لأنّ الياء أخف من الواو ، فلما وجب قلب أحدهما إلى الآخر كان قلب الأثقل إلى الأنحف أولى من قلب الأنحف إلى الأثقل .

هذا . وما تجب الإشارة إليه أنّ ابن مالك نظم الأفعال التي جاءت لاماتها بالواو

والياء ، كما عقد لها ابن
السكيت باباً في إصلاح المنطق^(١) ، وابن
قتيبة باباً في أدب الكاتب^(٢) .
وبلغت القصيدة تسعة وأربعين بيتاً
كما في رواية السيوطي^(٣) ، وآخر أبياتها :
عيني همت تهو وتهى دمعها
وحموته المأكول مثل حميته
وكنوت أحمد كنية وكنبته
أحمد علم الدين الجندی



(١) ص ١٣٨
(٢) ص ٣٦٤ / ٤٥٩ .
(٣) المزهري ٢ / ٢٧٩

المصادر والمراجع

أولا - المخطوطات :

١- ديوان الأدب . للنفراى مخطوط
بمكتبة تيمور ٣٨٣ لغة .

٢- الغريب المصنف . أبو عبيد القاسم
ابن سلام ١٢١٢ لغة مخطوط بدار الكتب
المصرية .

٣- م تفرد به يونس بن حبيب
مخطوطة بدار الكتب المصرية ٤١٨ لغة .

٤- المحتسب فى شواذ القراءات والإيضاح
عنها . ابن جنى مخطوط بمكتبة تيمور ٣٧٩
تفسير .

ثانيا - المطبوعات :

١- الإبدال لأبي الطيب عبد الواحد
اللغوى الحلبي . ط المجمع العلمى بدمشق
تحقيق عز الدين التنوخى ١٩٦٠ - ١٩٦١ م

٢- إبراز المعانى من حرز الأمانى :
أبو شامة الشافعى ت ٦٥٥ هـ ط الحلبي
١٣٤٩ هـ .

٣- إتحاف فضلاء البشر فى القراءات
الأربع عشر . للشيخ أحمد الدمياطى الشهير
بالبناء ١١١٧ هـ . ط حنفى . القاهرة .

٤- أدب الكاتب . ابن قتيبة ط السعادة
تحقيق محمد محي الدين . القاهرة .

٥- أسرار العربية لابن الأسارى . ط
دمشق .

٦- إصلاح المنطق . ابن السكيت ت
١٨٦ - ٢٤٤ هـ . دار المعارف بالقاهرة
تحقيق أحمد شاكر . وعبد السلام هارون .

٧- الأصوات اللغوية . دكتور إبراهيم
أنيس . ط الثانية نهضة مصر .

٨- الألسنية العربية (٢) ريمون طحان
دار الكتاب اللبنانى بيروت .

٩- الأمانى . أبر على القالى ط ٢ .
دار الكتب المصرية ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٦ م .

١٠- الأمانى الشجرية . لأبي السعادات
هبة الله . ط أولى . حيدر آباد ١٣٤٩ هـ .

١١- إنباه الرواة على أنباه النحاه .
للقفطى . تحقيق أبي الفضل . دار الكتب

١٢- الإنصاف فى مسائل الخلاف .
تحقيق محي الدين . ط السعادة الطبعة الرابعة القاهرة

١٣- البحر المحيط : أثر الدين أبو حيان
الأندلسى الغرناطى الحياتى ت ٧٤٥ هـ ط
السعادة الأولى ١٣٢٨ هـ . مصر .

١٤- تاريخ العرب قبل الإسلام . د.
جواد على . ط . المجمع العلمى العراقى

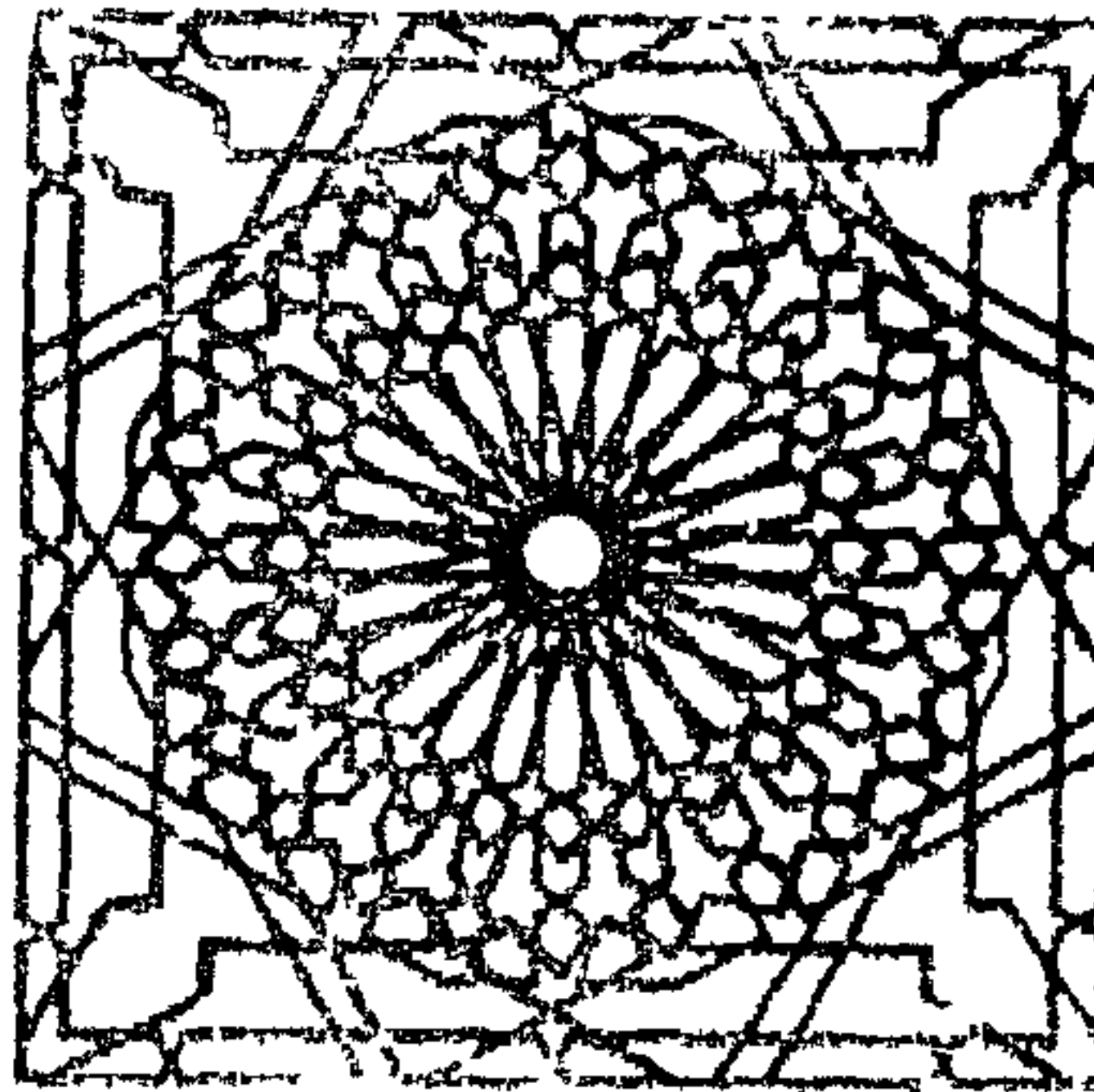
١٥- التصريف الملوكى - لابن جنى .
ط الثانية . ١٩٧٠ دمشق .

١٦- تفسير الطبرى . جامع البيان عن
تأويل آى القرآن . أبو جعفر محمد بن جرير
الطبرى ت ٢٢٤ - ٣١٠ هـ تحقيق محمود شاكر
ط . دار المعارف وكذلك ط : الأميرية .

- ١٧ - تفسير القرطبي .
- ١٨ - الحمهريه . ابن دريد الأزدي . ط
- أولى - حيدر آباد الدكن ١٣٥١ هـ :
- ١٩ - الحصائص لابن جنى . ط . دار الكتب المصرية . والهلل .
- ٢٠ - دراسات في علم اللغة . القسم الفهم الأول . د . كمال بشر . ط الثانية دار المعارف :
- ٢١ - درة الغواص . للخفاجي . ط أولى
- ٢٢ - ديوان الهذليين . دار الكتب المصرية
- ٢٣ - سر صناعة الإعراب لابن جنى . ط أولى ١٩٥٤ بتحقيق لجنة من الأساتذة . مصر .
- ٢٤ - شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ط . دار إحياء الكتب العربية . أولى
- ٢٥ - شرح التصريح . للشيخ خالد الأزهرى . دار إحياء الكتب العربية .
- ٢٦ - شرح ديوان الحماسة للمرزوق تحقيق عبد السلام هارون ١٩٣٥ لجنة التأليف والترجمة :
- ٢٧ - شرح شافية ابن الحاجب . ط : حجازى . مصر :
- ٢٨ - شرح ابن عقيل ط السعادة . الطبعة السابعة بتحقيق محمد محيى الدين . مصر .
- ٢٩ - شرح المفصل لابن يعيش ط . الطباعة المنيرية . مصر
- ٣٠ - طبقات المدوين واللعوين .
- لنربيدى . ط الخانجى تحقيق أنى الفضل . القاهرة
- ٣١ - عبث الوليد للمعري . دمشق ١٩٣٦ م :
- ٣٢ - علم اللغة اعام . القسم الثانى . دكتور كمال بشر . دار المعارف القاهرة .
- ٣٣ - فى اللهجات العربية . دكتور إبراهيم أنيس . ط الثانية لجنة البيان العربى
- ٣٤ - القرآن الكريم :
- ٣٥ - القلب والإبدال . لابن السكت . الكاثوليكية . بيروت ١٩٠٣ هـ
- ٣٦ - كتاب سيبويه . ط بولاق .
- ٣٧ - كتاب اللغات فى القرآن ط - الرسالة (المسند إلى ابن عباس) بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد - القاهرة
- ٣٨ - لسان العرب . ابن منظور ط بولاق الأميرية . مصر
- ٣٩ - اللغة العربية معناها ومبناها . د . عام حسان . الهيئة المصرية
- ٤٠ - اللهجات العربية فى التراث . د . أحمد علم الدين إلهندى . الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة
- ٤١ - مجالس العلماء - للزجاجى . تحقيق عبدالسلام هارون . الكويت ١٩٦٢ م
- ٤٣ - مختصر شواذ القرآن من كتاب البديع - ابن خالويه عنى بنشره . ج .

- برجشتراسر . لجنة المستشرقين الألمانية . ط ٥
الرحمانية مصر ١٩٣٤ م
- ٤٤ - المخصص : ابن سيده ت ٤٥٨ هـ
ط أولى :
- ٤٥ - المزهري : جلال الدين السيوطي ؛
دار إحياء الكتب العربية :
- ٤٦ - المختص في شواذ القراءات : لابن
جني . ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
١٩٦٩ القاهرة . تحقيق . أستاذنا على النجدي
وصاحبه
- ٤٦ - المصباح المفير .
- ٤٧ - معاني القرآن . أبو زكريا الفراء - ت
٢٠٧ هـ . دار الكتب المصرية
- ٤٨ - منتخبات في أخبار اليمن من
كتاب شمس العلوم ودواء كلام العرب
ثالثاً - المراجع الأجنبية :
- ٥٠ - نهاية الأرب للنويري ط القاهرة
دار الكتب المصرية .
- ٥١ - نوادر اللغة : أبو زيد الأنصاري
بيروت ١٨٩٤ م .
- ٥٢ - هـمـج الحوامع شرح جمع الجوامع .
جلال الدين السيوطي : مطبعة السعادة ط .
أولى ١٣٢٧ هـ

1. C. Rabin, Ancient West Arabian. London. 1951.
2. Arthur Jeffery. Materials for the History of the Text of the Qurân. Leiden. Brill. 1937.



إشباع حركات الأبنية في الشعر وموقف النحاة منه

للككتور محمد حمادة عبد اللطيف

تتعرض

الأبنية في الشعر لتغيرات تتناول إطالة بعض الحركات فيها أو تقصيرها وهذا الضرب من التغير هو الذي يناسب الشعر، لأن وزن الشعر - في العربية - يقوم أساساً على ترتيب متوازن بين الحركات والسكنات والوزن هو أن تكون المقادير المقفاة تتساوى في أزمنة متساوية لاتفاقها في عدد الحركات والسكنات والترتيب^(١) - كما يقول حازم القرطاجني - وعندما تشبع حركة قصيرة يتولد عنها حرف ساكن في نظر العروضيين العرب ، لأنهم لا يفرقون بين الحرف الصامت الخالي من الحركة ، وحرف المد ، أى لا يفرقون من حيث الوزن الشعري بين « من » بسكون النون و « ما » فالنون والألف كلاهما حرف ساكن .

ويمكن القول إجمالاً بأن البنية في الشعر تخضع لظروف خاصة قد تزيد فيها ، وقد تنقص ، وقد أجمع النحاة على أن الشاعر يجوز له أن « يحذف ما لا يجوز حذفه في الكلام لتقويم الشعر كما يزيد لتقويمه^(٢) » كما أن الشعراء « يبدلون الحرف من الحرف في الشعر في الموضع الذي لا يبدل مثله في الكلام لمعنى يحاولونه من تحريك ساكن أو تسكين متحرك ليستوى وزن الشعر به^(٣) » وأنهم « إذا استكروها في الشعر لإقامة الوزن خلطوا فيه^(٤) » فلم يلتزموا بإيراد البنية الصرفية كما عرفت ، لذلك يرى ابن جني أن مد المقصور وقصر الممدود والإشباع والتحريف لاتعتد أصولاً ولا تثبت بها مثل موافقة ولا

(١) منهاج البناء ومراج الأدباء ٢٦٣ وانظر ص ٢٦٥ أيضاً .

(٢) شرح السيرافي لكتاب سيويه ١ - ٢١٥ (مخطوط)

(٣) السابق ١ - ٢٣٢ .

(٤) الخصائص لابن جني ٣ - ٢٠٨

مخالفة^(١) ومعنى هذا أنه يرى عدم الاعتماد على الشعر في استخراج القواعد منه ، لأن له نظاما خاصا في صرفه ، إذ تتعرض فيه الصيغ لما لا تتعرض له في النثر .

وسوف أعرض أمثلة للإشباع قال عنها النحاة إنها من ضرورة الشعر ، وأرجو أن يكون في الحسبان أن ما كان له نظائر في القرآن الكريم وقراءاته ، أو الحديث النبوي الشريف ، أو ما كان لهجة لقبيلة معينة لن نعتد به ضرورة ، لأن وجود نظير له في القرآن والحديث يخرجها عن الضرورة ، ووجوده في لهجة من اللهجات يخرجها أيضا عن إطار الضرورة اعتمادا على ما قرره من أن اللغات كلها صحيحة ، والذي دفع النحاة إلى القول بأن مثل هذا ضرورة - حينئذ - هو محاولة طرد القاعدة . وأما ما كان غير ذلك فهو الذي نعهده صورة خاصة للاستعمال الشعري برصفه مستوى خاصا ينبغي أن يفصل عن غيره .

لقد أحاز النحاة للشاعر فيما سمره بالضرورة أن يشبع الحركة القصيرة أو يسطرها أو يبسطها - كما يرى بعضهم - سواء أكانت الفتحة أم الكسرة أم الضمة . وإشباع الحركة يتولد عنه - في رأيهم - حرف مدولين ، وهم يفرقون بين الحركة القصيرة كالفتحة مثلا وما يتولد عنها من

إطالها أو مداليها وإشباعها أو بسطها على حد تعبير ابن فارس ، فيسمون الحركة الممتددة أو المتولدة عن إشباعها « ألفا » وكذلك الضمة والكسرة حيث يتولد عن إشباع الضمة « واو » ويتولد عن إشباع الكسرة « ياء » .

ولعل فقدان الرموز المستقلة للحركات الطويلة ، واستعمال الواو والياء أصوات مد تارة وأصواتا صحاحا تارة أخرى ، وفكرة الأصول الثلاثة ، هي التي أوقعت في هذا اللبس ، فاللبس هنا آت من التأثير بالرمز الكتابي وثلاثية الأصول حيث لا يقولون إن « قال » مثلا مكونة من أصولها من القاف واللام فقط .

وتنبغي الإشارة هنا إلى أنهم كانوا -

مع هذا - يدركون بوضوح وفهم أن الحركات أخوات لأصوات المد واللين « وليس حرف (كلمة) يخلو منها أو من بعضها ، وبعضها حركاتها^(٢) » وأن الحركات أبعاض حروف المد واللين وهن الألف والياء والواو ، فكما أن هذه الحروف ثلاثة ، فكذلك الحركات ثلاث ، وهي الفتحة والكسرة والضمة ، فالفتحة بعض الألف الكسرة بعض الياء ، والضمة بعض الواو^(٣) ويقول أبو الفتح ابن جني « وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة ، والكسرة الياء الصغيرة ،

(١) انظر السابق ٢١٣/٣ (٢) الكتاب لسبويه ١ - ١٦٥ .

(٣) سر صناعة الإعراب لابن جني ١ - ١٩ .

والضمة الواو الصغيرة ، وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة^(١) يؤيد ذلك أبو الفتح هذه الحقيقة بقوله : « ويدل ذلك على أن الحركات أبعاض لهذه الحروف أنك متى أشبهت واحدة منهن ، حدث بعدها الحرف الذي هي بعضه »^(٢) ولعل هذه الملاحظة هي التي جعلت بعض النحاة يذهبون - وهم على حق - إلى أن إعراب الأسماء الستة إنما هو بالحركات على الحرف الصحيح منها كالباء في (أبوك) وإنما الواو والألف والياء نشأت عن إشباع الحركات^(٣) ولكن ابن جني بعد أن يؤكد أن الحركات أبعاض حروف المد واللين تخط في هذه الملاحظة ، إذ يخلص منها إلى نتيجة مختلفة تماماً هي أن الحروف تجري مجرى الحركات في الإعراب كالأسماء الستة والمثنى وجمع المذكر السالم وثبوت النون علماً للرفع في الأفعال الخمسة وحذف الواو والياء والألف للجزم^(٤) ، ومظهر الخلط هنا أنه جمع بين هذه الحركات الممتولة والنون في رفع الأفعال الخمسة والألف في المثنى المرفوع وحذف حروف العلة في المضارع الناقص المجزوم .

ومهما يكن من أمر فإن الذي يعنيننا -

هنا - ما أجازوه للشعراء من مطيل هذه الحركات في الشعر . وقد جعلوا ذلك مقصوراً على ضرورة الشعر وقالوا عن رأي من ذهب إلى أن حروف المد واللين في الأسماء الستة إشباع لحركة الإعراب فيها إنه « قول ظاهر الفساد لأن إشباع الحركات إنما يكون في ضرورة الشعر »^(٥)

والذي يتعقب هذه الظاهرة يجد أن الإشباع قد وقع في الفعل والاسم جميعاً ، ولكن النحاة يختلفون حواه من موقع لآخر .

أولاً - الإشباع في الفعل :

(١) هناك إشباع في الفعل لا يؤثر في إعرابه ، ومن نماذجه شاهدان تتداولهما كتب النحو أولهما قول الشاعر^(٦) :

الله يعلم أنا في تلفتنا
يوم الوداع إلى إخواننا صور
وأننى حينما يثنى الهوى بصرى
من حينما سلكوا أدنوا فأنظور

وقول عنتر في معالقة^(٧) :

ينباع من ذفرى غضوب جصرة
زيافة مثل الفتيق المكدم

ويقول الأصمعي عن (ينباع) :
« يقال : انباع الشجاع ينباع انبياعاً

(٢) سر الصناعة ١ - ٢٠

(١) سر الصناعة ١ - ٢٠

(٣) الإنصاف ١ - ١٥ وانظر شرح المفصل لابن بيش ١ - ٥٢ .

(٥) الإنصاف ١ - ١٥

(٤) الحصائص ٢ - ٣١٦

(٦ ، ٧) انظر هذين الشاهدين في الحصائص ٢ - ٣١٦ وسر الصناعة ١ - ٣٠ والمختضب ١ - ٢٥٨ ، ٢٥٩

لابن جني وشرح القصائد السبع لابن الأنباري ٣٣٢ والصاحبي ٣٠ وما يجوز للشاعر في الضرورة ٥٩ ، ٦٠ (مخطوط بدار الكتب) والإنصاف ١ - ١٥ ، ١٦ وشرح الشافعية للرضي ١ - ٧٠ وخزانة الأدب للبغدادي

١ - ١٢٠ وشرح شواهد الشافعية ١١ والضرائر للألوسي ٢٨٣ .

بـ الحرف ماضيا من الصف (١) ويقول
 « إعرابي » ينباع : ينفع من باع
 نوع . إذا مر مرا لينا فيه ثلوث ، وأنكر
 . يكون الأصل فيه ينبع « وجاء في
 ح : أنباع العرق سال وأنشد هذا
 بيت : ويقال في مثل « مخربق
 يسر . وقول أكثر أهل اللغة -
 نقل صاحب لسان العرب - أن ينباع
 في الأصل ينبع فوصل فتحة الباء
 لأن (٢) ، ومهما يكن من أمر
 حرج هذا التبع فقد ورد الإشباع في
 عن قراءات القرآنية مثل قراء الحسن (٣)
 - نويكم دار الفاسقين (٤) « بإشباع
 - ممزة - ولأمر ما رسمت في المصحف
 - - - - -

و الإشباع الذي ليس له أثر في
 إعراب الإشباع في الفعل الماضي كالذي
 - - - - - القيس الذي ثار من حوله
 حذف ضويل وهو قوله (٥) :

(١) منتخب ١ - ٢٥٨

(٢) خزائن ١ - ١٢٠

(٣) خواهر لآي زيد ٢٤٥

(٤) الف ٩ - ٢٧٠ (بوع)

(٥) منتخب ١ - ٢٥٧ والكشاف ٢ - ٩٣ .

(٦) إعراف آية ١٤٥ .

له متنتان خطاتا كما
 أكتب على ساعديه النمر
 فقال ثعلب : إنه خطتا فلما تحركت
 التاء أعاد الألف من أجل الحركة والفتحة
 وقال المبرد : إنه أراد الإضافة (٨)
 فحذف النون فأخرج الكلمة عن كونها
 فعلا أصلا .

(ب) وهناك إشباع في الفعل يؤثر في
 إعرابه ، وأعني به الفعل المضارع
 الناقص الذي ينبغي - كما تصور القواعد -
 أن تقصر حركة آخره في الجزم أو بتعبير
 نحائنا : يحذف منه حرف العلة ، ولكنه مع
 الإشباع لا يحذف أي تبقى الحركة الطويلة ،
 فتصير صورة الفعل مع الجزم كصورته
 مع غير الجزم ، وشواهد هذا النوع
 كثيرة ، وقد التمس لها النحاة وجوها
 من العلل لكي توافق القاعدة وتبعد بها حتى
 عن أن تكون ضرورة ، لأنهم قالوا بأنه
 ليس في شيء مما أباحوه للشعراء في الضرورة

(٨) ديوان امرئ القيس ١٦٤ ومايجوز للشاعر في الضرورة ٣٥ ومعجم الأدباء ٥ - ١١١ والأشياء والنظائر
 - ٢٢٢ .

(٩) مجازي العلماء للزجاجي ١٠٩ ومراد المبرد أن الكلمة هي (خطاتان) بصيغة المثنى ، فحذفت النون منها لتوهم
 (خطاتا) وليست فعلا ماضيا والتاء للتأنيث كما يرى ثعلب .

« رفع منصوب ولا نصب مخفوض ولا لفظ
يكون المتكلم فيه لاحقاً ، ومتى وجد هذا
في شعر كان ساقطاً مطرحاً ولم يدخل في
باب ضرورة الشعر^(١) ومن شواهد هذا
النوع قول قيس بن زهير^(٢) :

ألم يأتيسلك والأنبياء تنمى
بما لاقت لبسون بني زياد
وقول عبيد يغوث بن وقاص الحارثي^(٣) :

وتضحك مني شيخنة عبشمية
كأن لم ترى قبلي أسيراً يمانياً
وقول الآخر^(٤) :

هجوت زبآن ثم جشت معتذراً
من هجو زبآن لم تهجو ولم تدع

وقول الآخر^(٥) :

كأن العين خالطها قذامها
بعوار فلم تقضى كراها

وقول الآخر^(٥) :

إذا المعجوز غضيت فطلّق
ولا ترضّاها ولا تملّّق

ولعلك تلاحظ أن معظم هذه الأفعال
جاءت مسبقة بحرف الجزم (لم) ، وقد
يكون هذا مادعاً ابن مالك إلى القول بأن
عدم الجزم ؛ (لم) لغة^(٦).

(ج) وهناك إشباع في فعل الأمر الناقص
الذي تنص القواعد على أنه ينبغي أن يحذف
منه حرف العلة أو بعبارة أخرى تقصر
فيه الحركة الطويلة عند استعماله للمخاطب
الواحد ، ومع الإشباع لا يحذف حرف
العلة مثل قول الشاعر^(٧) :

أبا خالد فاكسوها حلتّهما
فإنكما - إن تفعلّا - فتيان

وقول الآخر^(٨) :

ثم نادى إذا دخلت دمشقاً
يا يزيد بن خالد يا يزيد

ويشير المرزباني إلى أن إثبات الياء
والواو في مثل هذا لغة طيء^(٩).

(١) شرح السيراني لكتاب سيويه : ٢٠٠ / ١ (مخطوط بدار الكتب المصرية) .

(٢) انظر على سبيل المثال : سيويه ٥٩ / ٢ ومعاني القرآن للفراء ١ - ١٦١ والنوادر ٢٠٣ وشرح السيراني
١ - ٢٠٩ ومايجوز للشاعر في الضرورة : ٣٤ .

(٣) انظر : الإنصاف ١ / ١٥ وشرح المفصل ١٠ - ١٠٥ وشرح الصناديق ٢٤ وارتشاف الضرب
١٢٢٤ (مخطوطان) وشرح الشافية ٢ / ١٨٤ .

(٤) مجالس ثعلب : ٤٧ .

(٥) انظر : شرح السيراني ٢٠٩ / ١ والخصائص ٣٠٧ / ١ والإنصاف ١ / ١٦ وشرح المفصل ١٠ / ١٠٦ .

(٦) انظر : التسهيل لابن مالك : ٢٣٦ وشرح الأشموني ٤ / ٦ .

(٧) ارتشاف الضرب لأبي حيان : ١٢٢٤ .

(٨) مايجوز في الشاعر للضرورة للقرآن : ٣٤ .

(٩) انظر : الموضح للمرزباني : ٣٣ .

ثانياً - الإشباع في الاسم

إن إشباع الحركات في الاسم لا يؤدي إلى خلل في ظاهرة الإعراب ، ولذلك لم يثرحوله خلاف بين العلماء ، واكتفوا بعرض نماذج منه للتدليل على جوازه للشاعر إذا اضطر « فإن العرب ربما احتاجت في إقامة الوزن إلى حرف مجتاب ليس من لفظ البيت فتشبع الفتحة فتتولد من بعدها الألف ، وتشبع الكسرة فتتولد من بعدها الياء ، وتشبع الضمة فتتولد من بعدها واو^(١) »
ومما ساقوه نموذجاً لإشباع الفتحة قول ابن هرمة يربّي ابنه :

فأنت من الغوائل حين ترمى

ومن ذم الرجال بمُتّراح

أراد : بمُتّرح فأشبع فتحة الزاي^(٢)

وقول الآخر^(٣) :

أقول إذ خرت على الكاكال

ياناقتا ما جأت من جمال

وهناك بعض الأسماء التي قيل إن

إشباع الفتحة فيها إشباع لازم مثل كلمة

(بيننا) في مثل قول أبي ذؤيب^(٤) :

(١) سر الصناعة : ٢٧ / ١

(٢) سر الصناعة : ٢٩ / ١ والخصائص : ١٢١ / ٣ والمحتسب : ١٦٦ / ١ ، ٣٤٠ ، والإنصاف : ١ / ١٤ وشرح شواهد الشافية : ٢٥ .

(٣) الإنصاف : ١٦ / ١ ، ٤٤٦ / ٢ .

(٤) سر الصناعة : ٢٩ / ١ والخصائص : ٣ - ١٢٢ ، ومعنى اللبيب لابن هشام : ٤٠ / ٢ .

(٥) الكتاب لسبويه : ٨٧ / ١ وسر الصناعة : ١ - ٢٧ .

(٦) الإنصاف : ١٥ ، ٤٤٦ .

(٧) السابق ، والخصائص : ٣ / ١٢٣ .

بيننا تعنّته الكمأة وروضه

يوماً أتبع له نجرىء سافع

وقول رجل من قيس عيلان^(٥) :

فبيننا نحن نرقبه أتاناً

معلق وفضة وزناد راعي

يقول ابن جني : أراد بين نحن نرقبه

أتاناً فأشبع الفتحة فحدثت بعدها ألف ،

ويقول عن البيت الأول : يريد بين تعنّته

إلا أن هذه الألف وإن كانت إشباعاً

للفتحة فإنها في هذا الموضع زيادة لازمة .

ومن شواهد إشباع الضمة قول الشاعر^(٦) :

ممكورة جُثمُ العظام عُمطبول

كأن في أنيابها القرنفول

ومن شواهد إشباع الكسرة قول الشاعر^(٧) :

لأعهد لي بنيضسال

أصبحت كالشنّ البسال

وقول الفرزدق :

تنى يداها الحصى في كل هاجرة

نفي الدراهم تنقاد الصياريف

« أراد الصيارف فأشبع الكسرة فتولد عنها ياء ، فأما الدراهم فلاحجة فيه لأنه يجوز أن يكون جمع درهام وقد نطقت العرب به قال :

لو أن عندي مائتي درهام

بلاز في آفاقها خاتمي (١)

وفي هذا البيت نفسه أشبع فتحة التاء في خاتم فتولدت عن ذلك صيغة أخرى هي خاتام (٢) .

ومن الإشباع في الاسم إشباع فتحة النون من ضمير المتكلم (أنا) في الوصل ، كقول الأعشى (٣) :

فكيف أنا وانتحالي القوافي

بعد المشيب كنى ذاك غارا

وقول حميد بن مجدل الكلبي (٤) :

أنا سيف العشيرة فاعرفوني

حميد قد تدريت السناما

وقول الآخر (٥) :

أنا أبو سعد إذا الليل دجا
يخال في سواده يرنندجا

وقد قال الرضي : « وبعض العرب يصل

أنا بالألف في الوصل أيضا في السعة (٦) »

لأفي الاضطرار ، وهذا من لغة ثميم وبعض قيس وربيعة على ما قال أبو حيان (٧) ،

وقد قرئ (وأنا أعلم بما أخفيتم) (٨)

بإشباع فتحة النون في (أنا) ومع ذلك كله

لم يجد النحاة مانعا من أن يقولوا إن هذا

من ضرورة الشعر ، بل إن بعضهم أنكروه

وتأول ماجاء في القراءة (٩) .

ومن الإشباع في الاسم أيضا إشباع

فتحة (ما) الاستفهامية المحرورة بحرف الجر ،

كقول حسان بن ثابت (١٠) :

علاما قام يشتمني لثيم

كخنزير تمرغ في رماد

(١) سر الصناعة ١ / ٢٨ .

(٢) مايجوز للشاعر في الضرورة : ٩٧ .

(٣) شرح السيرافي ١ - ٢١٥ وشرح الصفار : ٢٢ ب

(٤) المصادر السابقة وشرح شواهد الشافية ٢٢٣ وشرح المفصل ٣ - ٩٣ .

(٥) ارتشاف الضرب ١٢٢٦ .

(٦) شرح الشافية ٢ - ٢٩٥ .

(٧) ارتشاف الضرب : ١٢٢٢

(٨) الممتحنة آية : ١

(٩) انظر شرح السيرافي ١ / ٣١٥ وشرح الصفار ٢٢ ب وارتشاف الضرب ١٢٢٤

(١٠) المحتسب ٢ / ٣٤٧ والأشمونى ٤ / ٢١٦ وشرح شواهد الشافية ٢٢٤ والرواية في ديوانه : ٣٢٤ :

فقيم يقوم يشتمني لثيم كخنزير تمرغ في رماد

وهل هذه الرواية لا شاهد في البيت .

وقول عمر بن أبي ربيعة^(١) :

لمقال الصفي فيم التجنى :

ولما قد جفوتى وهجرتا

وقد سمي بعض النحاة ذلك ردا
للمحذوف من أجل الضرورة^(٢) ، وقد
عللوا حذف الألف بأنه للفرق بين الاستفهام
والخبر^(٣) ، وقد ورد في قراءة عكرمة
وعيسى (عمّا يتساءلون)^(٤) بإشباع
فتحة ميم الاستفهامية^(٥) وكلام ابن جني
يشعر بأن هذا طهجة ، إذ يقول في التعليق
على هذه القراءة « هذا أضعف اللغتين^(٦) » كما
استشهد العلامة الرضي ببيت حسان « على أن بعض
العرب لا يحذف ألف ما الاستفهامية المحرورة^(٧) »
وعلى ذلك تكون القراءة طهجة ، وما جاء
في الشعر فهر على وفاق تلك اللهجة ،
ولذلك أجاز ابن مالك هذا لوروده في
في القرآن والحديث النبوي ، ومنه ما جاء

في صحيح البخاري عن أنس بن مالك -
رضي الله عنه - قال . « قدم علي رضي
الله عنه على النبي - صلى الله عليه وسلم -
من اليمن فقال : بما أهملت^(٨) »
وقوله - صلى الله عليه وسلم - « ليأتين على
الناس زمان لا يبالي المرء بما أخذ المال ؟
أمن حلال أم من حرام^(٩) » وقول سهل
ابن سعد - وقد امثروا في المنبر ممّ -
عوده - : « والله إني لأعرف ممّا هو^(١٠) »
ويقول ابن مالك « وفي عدول حسان عن
« علام يقوم يشتمني » وعدول عمر عن
(ولم) مع إمكانهما دليل على أنهما مختاران
لامضطران^(١١) » وهذا يمهّد لنا القول
بأن عدم حذف ألف (ما) الاستفهامية
المحرورة ليس ضرورة يلجأ إليها الشاعر
لإقامة الوزن ، ولكن ذلك طهجة تسربت
إلى اللغة المشتركة التي قيل بها الشعر ونزل
بها القرآن الكريم ، وأصبح أمام الشاعر
طريقتان في استخدام « ما » الاستفهامية المحرورة :

(١) شواهد التوضيح لابن مالك : وانظر ديوانه ص : ١٦١

(٢) ما يجوز للشاعر في الضرورة : ١٠٩

(٣) انظر منى اللبيب ٢ / ٤ وتفسير الطبري ١٩ / ٩٨ .

(٤) سورة النبا آية : ١

(٥) المختص ٢ - ٣٤٧ وشواهد التوضيح : ١٦١ .

(٦) المختص ٢ - ٣٤٧ .

(٧) شرح شواهد الشافية : ٢٢٤

(٨) صحيح البخاري ١٧٢/٢ (طبعة الشعب) .

(٩) صحيح البخاري ٢ - ٧٧ (طبعة الشعب) .

(١٠) صحيح البخاري ٢ - ١٢ (طبعة الشعب) .

(١١) شواهد التوضيح لابن مالك : ١٦٢ . وهذا يتفق مع رأى ابن مالك في الضرورة الشعرية .

إحداهما : أن يحذف ألف ما الاستفهامية
عندما تكون مجرورة بحرف جر وهي
الأكثر والغالب .

ثانيتهما : ألا يحذف الألف منها عند ما تجر .
وقد وردت الطريقتان معا شعرا ونثرا ،
والشاعر يختار منهما ما يوافق وزن الشعر
الذي يقول به قصيدته .

رأى فى الاشباع :

هذه نماذج مما جاء عنهم فى إشباع
الحركات - على حد تعبيرهم - وقد رأينا
أن من هذا الإشباع ما يعد لهجة لبعض قبائل
العرب ، وأن منها ما يغير الإعراب
عن وجهه مثل : (ينباع) ، و (أنظور)
وقول الآخر (١) :

لو أن عمرأ هم أن يرقؤدا

والإشباع فى الأسماء كذلك ، لا يغير
فى الإعراب شيئا ، ومنه ما يغير الإعراب
عن وجهه الذى رسمه له النحاة مثل (لم
أهجو) و (ألم يأتيلك) .

ويلاحظ أن ما يغير الإعراب عن وجهه
تعددت فيه الروايات (٢) ، وكثر حوله
الخلاف على عكس النوع الآخر ، وهذا

يكشف عن اهتمام النحاة بقواعد الإعراب
وحرصهم على سلامتها أن تختل ، ومن أجل
ذلك نظروا إلى مثل هذه الظواهر لاعلى أنها
لهجات أخرى تخالف القاعدة العامة أو
على أنها اختلافات نطقية تناسب معنى
معينا تطالب له وتراد عليه . بل على أنها
ضرورة وحسب ، وأراحوا أنفسهم من
عناء بحثها بحثا كان من الممكن أن يكشف
لنا عن جوانب أخرى فى اللغة أهملوها
بعدم وصفهم لها أو تسجيلهم إياها وحرصهم
على القواعد وحدها حسب منهجهم الذى
اتبعوا ، وطريقتهم التى سلكوا ، مع ورود
مثل هذا الإشباع فى القرآن الكريم فى
الاسم والفعل جمعيا مثل قراءة الحسن التى
سلفت الإشارة إليها فى قوله تعالى (سأوريكم
دار الفاسقين) بإشباع الهمزة المضمومة فى
الفعل ، وإن كان صاحب الكشف يقول
عنها : « وهى لغة فاشية فى الحجاز يقال
أورنى كذا وأوريته ووجهه أن تكون
من أوريت الزند كأن المعنى بيّنه لى وأنره
لأستبينه (٣) » فخرج بالفعل إلى صيغة
أخرى ، وقراءة الحسن - أيضا - (مُسْكَاء) (٤)
بزيادة ألف .

(١) الصاحبى لابن فارس : ٣٨٠ (تحقيق السيد صقر) واللسان ٤ / ٣٣١ مع اختلاف فى الرواية ،
إذ جادت الرواية فيه : ليلة خامدة شمودا طخباء تعشى الجدى والفرقودا إذا عبرهم أن يرقؤدا

(٢) انظر المحتسب : ١ / ٦٩ .

(٣) الكشف للزحشرى : ٢ / ٩٢ .

(٤) المحتسب : ١ - ٣٣٩ والكلمة من الآية ٣٠ من سورة يوسف .

و هو = الفعل الناقص غير محذوف
 تحذف حرف الجزم في قراءة حمزة^(١)
 معناه تعالى « لا تخف دركاً ولا تخشى »^(٢)
 و قد جاء معناه : (سنقرئك فلا تنسى)^(٣)
 و قد جاء جعل (لا) للنهي « ولم تجزم
 نحو من عرس الآي ، وقيل الألف ناشئة
 من شرح الفتحة »^(٤) ولكنهم كانوا
 يسبون تكس من هذه القراءات و جهما
 خرج عنهما بما يوافق قواعدهم .

و قد قلنا عنه كثير من النحاة إنه ضرورة
 منه الإشباع التي سبقت لإيرادها يخضع
 و جودنا نظارنا لأمر يختلف بعضها عن
 مصر ، و إن كانت تتفق في مظهر واحد
 هو إشباع ، ذلك أن قول الشاعر « ألم
 يأتيك النسي يقول عنه سيبويه إنه مجزوم
 من أصل »^(٥) يقول عنه الفراء « من العرب
 من يعني ذلك »^(٦) ويشعر كلام السيرافي
 وهو توفي من شرح سيبويه — بأنه لهجة^(٧)
 ويقول عنه الأعلام « وهي لغة لبعض

العرب يجرون المعتل مجرى السالم في جميع
 أحواله »^(٨) ويقول عنه ابن مالك « لأنها لغة
 معروفة »^(٩) وقد صرح المرزباني بأن إثبات
 الواو والياء في حال الجزم لغة طي^(١٠) وكذلك
 ابن عصفور في شرح الجمل .

و جعل اللهجة التي تبقى على الواو والياء في
 حال المضارع المجزوم هي التي تبقى عليهما
 في فعل الأمر للمخاطب الواحد ، ويشهد
 ذلك ويقويه ما ورد في القرآن الكريم من
 إثبات الواو والياء في حال الجزم وليس في
 القرآن ضرورة .

أما الإشباع الذي لا يؤدي إلى تغيير حكم
 إعرابي في الأفعال والأسماء فهو — على الرغم^(١١)
 مما قيل عن بعضه إنه لغة — يخضع لقوة النبر
 بغرض التركيز على معنى معين والضغط عليه ،
 فيتولد عن الحركة المنهورة حركة طويلة من
 جنسها فهو — إذن — من قبيل نبر السياق
 أو النبر الدلالي — كما يسميه الدكتور تمام

١ - شرح السيرافي ١ / ٢١٠ والسمة لابن محاهد : ٤٢١ .

٢ - سورة طه آية ٧٧ .

٣ - سورة الأعلى آية ٦ .

٤ - حاشية هامان به الرحمن للكبرى ٢ / ٢٨٥ .

٥ - كتاب لسيرية ٢ / ٦٠ .

٦ - القرآن للفراء : ١ / ١٦١ .

٧ - شرح السيرافي ١ / ٢٠٩ .

٨ - حاشية عين الذهب للأعلم الشنري ٢ / ٥٩ ، ٦٠ (مطوع بأسفل كتاب سيبويه)

٩ - شرح هذا لتوضيح لابن مالك : ٢٢ .

١٠ - تفسير الموشح : ٣٣ .

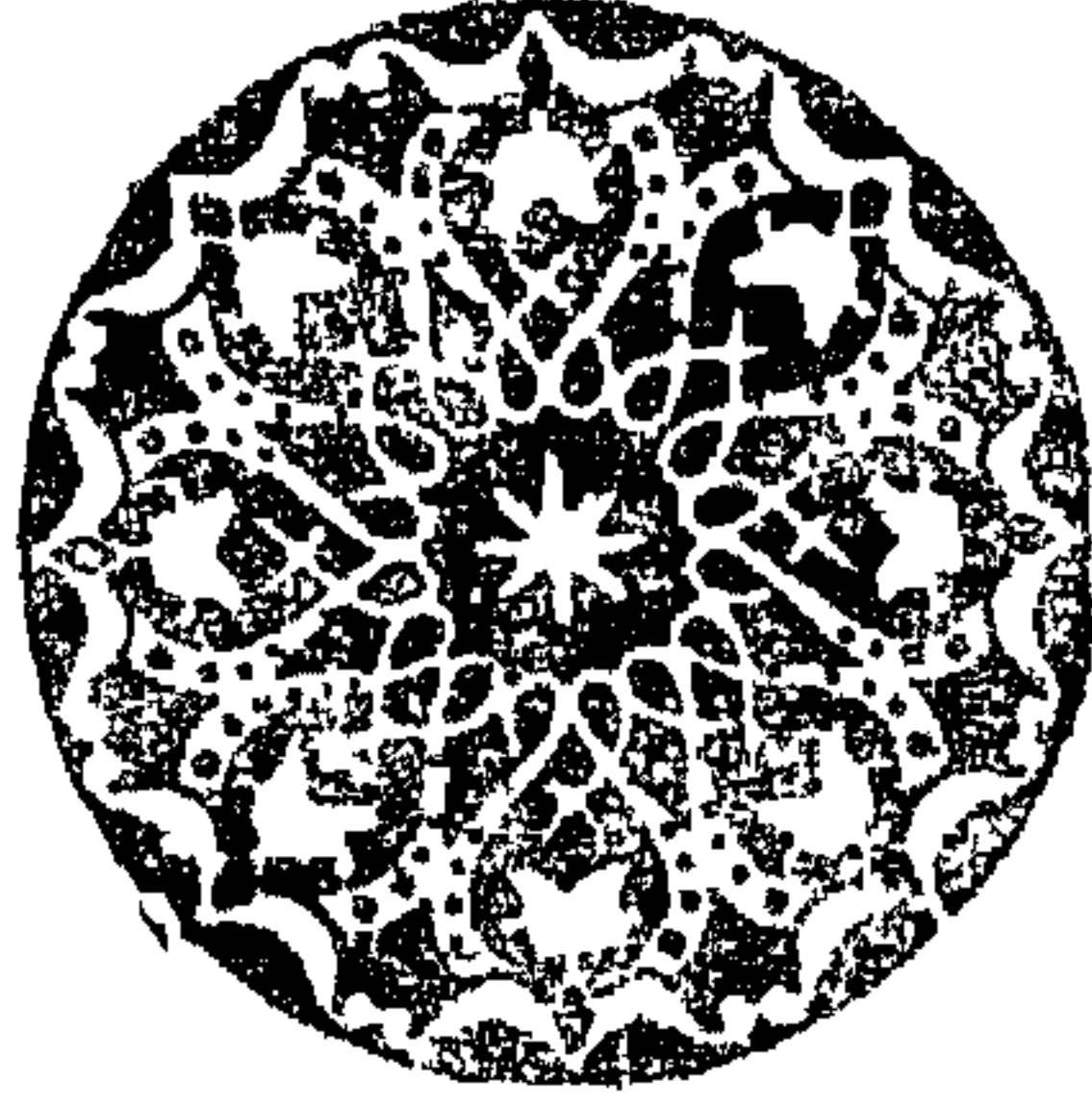
١١ - تفسير اللسان : ٢٠ / ٣١٢ / ٣٧٩ .

حسان - « وأى مقطع في المجموعة الكلامية سواء كان في وسطها أو في آخرها صالح لأن يقع عليه هذا النوع من النبر ^(١) » .

وقد التفت ابن جني لفتة ذكية إلى هذا عندما فسر قراءة الحسن « سأوريكم دار الفاسقين » بعد أن استدل لها بالأبيات التي ذكرناها ويعدها كثير من النحاة ضرورة قال : « وزاد في احتمال الواو في هذا الموضع أنه موضع وعيد وإغلاظ فكن الصوت فيه وزاد إشباعه واعتماده فألحقت الواو فيه ^(٢) » ونحن لا نفهم تمكين الصوت وزيادة الإشباع فيه والاعتماد عليه إلا أنه هذا النبر الدلالي المرتبط بالسياق ولعل فهم ابن جني لهذه الظاهرة على هذا النحو هو الذي جعله يقول : « وقد جاء من هذا الإشباع الذي تنشأ عنه

الحروف شيء صالح نثرًا ونظمًا ^(٣) » فليس - إذن - مختصا بالضرورة ، وعلى أية حال فما دام المعنى واضحًا لا لبس فيه ولا غموض فأى شيء آخر غير منعي عليه ، وليس هذا بدعاً من القول فابن جني - وهو إمام فذ من أئمة العربية - يقول « فإن العرب قد تحمل على ألفاظها الصحة معانيها حتى تفسد الإعراب لصحة المعنى ^(٤) » فإذا كان الإعراب - وهو أهم ما عني به النحويون - قد تفسده العرب لصحة معانيها أفلا تشبع بعض أصوات البنية لتقوية هذا المعنى ؟ وبخاصة إذا عرفنا أن الأصوات تابعة للمعاني فتي قويت ، قويت ومتي ضعفت ، ضعفت ^(٥) ، ومهما يكن من أمر فهذا كله من التحريف في البنية لوضوح المعنى وعدم اللبس فيه .

محمد حماسة عبد اللطيف



(١) مناهج البحث في اللغة للدكتور تمام حسان : ١٦٣ .

(٢) المختص : ١ / ٢٥٩ .

(٣) السابق : ١ / ٢٥٨ .

(٤) السابق : ٢ / ٢١١ .

(٥) السابق : ٢ / ٢١٠ .

المصطلحات العربية في علوم الأرض

للدكتور علي السكري

والدكتور زايد محمد زايد

وعبد الفتاح الصعيدى (١٩٦٧) تحت عنوان «منعرج الوادى» فى الباب السادس عشر من الجزء الثانى فقسما مادته إلى خمسة مصطلحات يصف كل منها مرحلة من مراحل تعرج الوادى والنهر وانعطافهما وبيانها كالاتى .

١ - المنعطف (بضم الميم وفتح الطاء) : منعطف الوادى منحناه ، عطف يعطف عطفًا وانعطف : مال وانحنى :

٢ - المنعرج (بضم الميم وفتح الراء) : منعرج الوادى : حيث يميل . انعرج الشئ وتعرج : انعطف ومال يمد ويسرة ، يقال انعرج النهر والطريق وتعرج . وتعرج النهر : منعطفه . والجمع : نعاريج وتعريجات ، وعرجنا (بتشديد الراء) النهر والوادى : أملنا ه يمنة ويسرة .

٣ - الجزع (بفتح الجيم أو كسرهما) : منعرج الوادى ومنحناه . والجزع وسطه أو منقطعه . الجمع : أجزاع . ولا يسمى جزعا حتى تكون له سعة تذيبت الشجر ، أو هو مكان بالوادى لا شجر فيه .

عدم الإلمام باللغة

العربية دليلا على قصور هذه اللغة فى التعبير وبالأخص

لا يُعَدُّ

فى المجالات العلمية المختلفة . والرجوع إلى المراجع الخاصة بفقہ اللغة العربية والمعاجم اللفظية الكبيرة ضرورى لتوحيد التعبير فى ترجمة المصطلحات العلمية وكم هى وفيرة فى عددها ومعانيها ودرجاتها المختلفة . وسوف نعطي أمثلة لذلك فى بعض مجالات علوم الأرض :

(أ) مادة منعرج الوادى

(ب) مادة أسماء البحر ومافيه ، مع تركيز الاهتمام فى المقال الحالى على بندين من هذه المادة هما :

(١) أسماء البحر ونواحيه (٢) الخليج (ج) مادة نعوت الوديان .

(١) مادة منعرج الوادى

ذكر هذا اللفظ فى كتاب الإفصاح فى فقه اللغة من عمل الأستاذين : حسين موسى

٤ - الضوَج (بفتح الصاد وسكون الواو) :
منعطف الوادى والعوج فيه . ضاج الوادى
يضوج ضوجا وانضاج وتضوج : كثرت
أضواجه أى معاطفه ، وقيل : الأضواج
أنوف تخرج من الوادى إذا ذهب يمينا
وشمالا .

٥ - الثنى (بكسر الثاء وسكون النون)
ثنى الوادى منعطفه وهو الموضع الذى يلتوى
فيه . الجمع : أثناء . ثنى الثنى واثنوني :
انعطف .

وفى كتاب إمبادئ الجيولوجيا الطبيعية
لمؤلفه آرثر هولمز (١٩٦٥) وحده أن
الدلالة العلمية المتواترة لمنعطف الوادى
أو النهر وتعرجهما هى كلمة Meander

وقد وضعت مادتها تحت عنوان :

River bends and widening of valley
floors

ثم عاد فتحدث المؤلف عنها فى بند
آخر تحت عنوان :

Meanders and meander belts

حيث ذكر أن الأنهار تستمر فى
حركة الانحناء والثنى من جانب إلى آخر فى
أرضية الوادى ، ويزداد الثنى والانعطاف
فى اتجاهات مختلفة وسمى هذه المنعطفات
"Meanders".

ذكرت بعض كتب علوم الأرض المعربة
فى شرح تكوين المنعطفات النهرية أنه عندما
يرتطم التيار فى مساره نحو المصب

بأحد الجوانب المحدبة عند مدخل إحدى
هذه التعرجات يرتد نحو الجانب المقعر
المواجه فيذبح منه ، ثم يتجه بعد ذلك إلى
الجانب الآخر فى طريقه ناحية المصب ... ومع
تكرار هذه العملية تزداد الجوانب المقعرة
تقعرا والجوانب المحدبة تحديبا ، فبتكون سلسلة
من الانحناءات الواضحة تسمى المنعطفات .

وهنا يمكن الجمع بين المصطلحات
العربية الثلاث التى ترتبط بفعل الأنهار
ومجاريها فى الوديان وهى : المنعطف والضوج
والثنى فى وصف ظاهرة انعطاف مجرى
الأنهار ، كما لو كانت تصف مراحل
متدرجة لتكوين المنعطفات النهرية . وفى هذا
الحال تبدو اللغة العربية أكثر قدرة على
التعبير ودقة الوصف من بعض اللغات
الأجنبية الأخرى مثل الإنجليزية . فمن الممكن
تخصيص مصطلح المنعطف والمنعرج والجزع
لوصف المرحلة الأولى فى عملية انعطاف النهر
(الشكل ١ - أ) ومصطلح الضوج لكى يصف
مرحلة كثرة المنعطفات وبروزها (الشكل
١ - ب) فى حين أن كلمة ثنى يمكن
أن تصف مرحلة وضوح الالتواءات بمسار
النهر (الشكل ١ - ج) . والخلاصة أن
كلمة Meander هى المختصر للمدلول
الوصفى لعدد من الألفاظ العربية تتقارب
فى المعنى العام وتتفاوت فى مدلولها الدقيق

وهذه الألفاظ هي : المنعطف - المنعرج
الجزع - انضوج - الشئ .

(ب) مادة أسماء البحر وما فيه

لم تغفل المراجع العربية أيضا التعريفات
لكلمة البحر وأضربه، فذكر كتاب الإفصاح
في لغة اللغة (سبق التعريف به) كلمة
البحر تحت عنوان شامل عام « البحر
وما فيه » في الباب الخامس عشر من الجزء
الثاني ثم قسم الموضوع إلى عدة أقسام : أسماء
البحر ونواحيه - صينات البحر - موج البحر
الماء والخزر - الخليج - الجزيرة - ساحل البحر
أصناف البحر، ثم تناول الكتاب تعريف كل
قسم من هذه الأقسام بتفصيل أجزائه . وفي
هذا المقام سنتناول دراسة موضوعين
هما : (١) أسماء البحر ونواحيه (٢) الخليج .

١ - أسماء البحر ونواحيه

وهذه تعريفات المراجع المذكور :

١ - البحر : الماء المالح الكثير . وقيل
الماء الكثير من عذب أو ملح . والجمع بحر
(بضم الحاء) وبحور وبحار وتصغيره
أبيحر لا بحير . ويجوز على قلة وسمى
بحرا لاستبحاره أى اتساعه ومنه استبحر
فلان في العلم والمال وتبحر (بتشديد الحاء
مع الفتح) . والبحيرة ليست تصغير بحر
لوجود التاء فيها، وإنما هي تصغير بحرة (بفتح الباء
أو ضمها مع سكون الحاء) وهي اتسع من الأرض
وهبط . بحر (كسر الحاء) : الرجل يبحر بحرا :
رأى البحر ففرغ ودهش من رؤيته . وأبحر :

ركب البحر .

٢ - اليم : البحر ، لا يكسر ولا يجمع
جمع السالم . يُمّ (ضم الياء) فلان :
طرح في اليم .

٣ - الخضم (كسر الخاء وفتح الصاد) :
البحر الواسع .

٤ - الطيس والطيسل (فتح الطاء وسكون
الياء) : البحر والطيس الكثير من كل شئ .

٥ - السيل (فتح العين وسكون الياء) :
البحر . وقيل الماء الذي عليه الأرض ، وقيل
الماء الذي علته الأرض يعنى المندفن

٦ - القاموس : وسط البحر وقيل
قاموس البحر وقومسه (فتح القاف
والميم) : معظم مائه . وقيل القومس : البحر
والقميس (بكسر القاف وتشديد الميم مع
الكسر) البحر ، والجمع قماميس .

٧ - الأسطمة (ضم الألف والطاء وتشديد
الميم مع الفتح) : أسطمة البحر واسطمة :
وسطه وشجته .

٨ - العرض (ضم العين وسكون الراء) :
وسطه وقيل هو عام في وسط جميع الأشياء .

٩ - الدردور (ضم الدال وسكون الراء)
والقلك (فتح القاف واللام) : موضع في
البحر يجيش ماؤه قلما يسلم منه السفينة .

١٠ - اللجة (ضم اللام وتشديد الجيم

مع الفتح): ليج (ضم اللام وتشديد الجيم مع الضم). ولجته: حيث لا ترى أرضاً ولا جبلاً وحيث لا يدرك قعره. الجمع: ليجج. وبحر ليجي ولجاج: واسع اللجة. التج البحر اختلطت أمواجه وتلاطمت وألجوا: دخلوا في اللجة.

١١ - العالة (بتشديد اللام مع الفتح)

ماء ينقطع من ماء البحر فيجتمع في موضع.

وهكذا نرى في ذكره للبحر قصده بأنه الماء المالح الكثير ووصفه بالاتساع وهي صفات التعبير الإنجليزي المعروف Sea، ثم راح يسرد مراحل الاتساع ويضع لكل كلفيته. وبالنظر في كتب الجيولوجيا الطبيعية نجد أنها استخدمت كلمة Sea للدلالة على اتساع مساحة السطح المائي المالح.

ووصف المرجع العربي البحر الواسع واختصه بكنية خاصة «الخزم» يقابلها اللفظ wide sea وأمثالها في البحر الأبيض المتوسط وبحر الأدرياتيك وبحر اليابان. كذلك وصف المتسع المائي الذي لا يدرك منتهى مسطحه أو قاعه وسماه «اللجة» وهو يقابل وسط البحر أو المحيط وأمثاله في أواسط المحيطات المعروفة مثل المحيط الأطلنطي.

ثم ذكر لفظ العالة وهي ماء ينقطع من ماء البحر فيجتمع في موضع. ويقابلها المصطلح الإنجليزي Lagoon. وقد ذكر المصطلح الأخير في بعض كتب علوم الأرض العربية، مثل كتاب: «مبادئ الجيولوجيا الطبيعية» لمؤلفه: إبراهيم فارس ومحمد يوسف حسن ومراد إبراهيم يوسف، كمظهر من المظاهر المورفولوجية التي تحدث على الشواطئ بفعل التيارات البحرية والأمواج: «... وتحجز الشواطئ الحاجزية بينها وبين الشواطئ الأصلية مساحات من الماء الهادئ إما مقفولة جزئياً أو تماماً وتسمى بالبحيرات الشاطئية أو اللاغونات Lagoons... وهناك مظهر من مظاهر الشواطئ تكونها التيارات، وتسمى الألسنة الرملية، وهذه تتكون عندما تبلغ التيارات الشاطئية الموازية للشاطئ المحملة بالرواسب فتحة أحد الخلجان فهي لا يمكنها أن تتبع خط الشاطئ وبذلك تدخل مياهها عميقة عند مدخل الخليج، وتقل سرعتها فجأة فتسبب حملتها، في هيئة لسان صغير ينمو عبر الخليج تدريجياً، وقد يغلقه تماماً وعندئذ يتحول الخليج نفسه إلى لاغون Lagoon.»

وترجمة المصطلح الإنجليزي Lagoon إلى العربية بتحويل الحروف الأجنبية إلى ما يقابلها بالعربية اتجاه قاصر في الترجمة. ونقترح أن يكون اللفظ العربي المقابل للمصطلح الإنجليزي Lagoon هو كلمة العالة.

شكل (٢) . ولتضرب بذلك مثلاً في بحيرة

البحيرة .

٢ - الخليج

يرى حبيج وصوره في كتاب الإفصاح
ومنه لغة المشار إليه على أنه :

حبيج : الشرم من البحر . والخليج
شرم حبيج : جانبا . الجمع خليج
شرم (شلام) وخالجان .

شرم : الخليج من البحر .

شور (بفتح الخاء وسكون الواو) :
حبيج من البحر : وقيل هو مصب الماء في
البحر . وقيل عنق من البحر يدخل في الأرض
ومن حصص من الأرض بين النهرين
جمع حشور .

ش : (بضم الغين) : الضارب
ش : بحر حتى تمن في البر أو في الأرض .
ش : (بضم الغين وتشديد الباء) .
ش : حريج الخليج حدد وجوده في
ش : وأنه شرم متصل بهذا أو ذاك
ش : يعرف الشرم بأنه الخليج من البحر .
ش : قاموس المصطلحات
ش : شرف على إخراج معناه
ش : (١٩٦٢) وجد أن
ش : كلمة B و تعني الخليج هو : تجويف من
ش : رأسان من اليابسة على كل
ش : كلمة Gulf معناها الخليج كذلك
ش : مع ضيق عند اتصاله بالبحر .

وهنا يرى الكاتبان أن كلمة Bay تناسب
اللفظ العربي «الخليج» أما كلمة Gulf فالأنسب
لها هو اللفظ العربي «الشرم» . ومثال للخليج
هو خليج أبي قير الذي يقع شرق مدينة
الإسكندرية بينما مثال الشرم في ما يسمى
شرم العقبة ، شكل (٣) وشكل (٤) .
وأما كلمة الخور من حيث معناها العربي
كمصب للماء الجارى من الأنهار في البحر
فيقابلها كلمة Estuary ومعناها العلمي
الذي ورد في القاموس المذكور أنها تمثل
منطقة المد والجزر عند عنق النهر مكان
اتصاله بالبحر ، شكل (٥) .

وفي التعريف العلمي لكلمة Fjord
أنها امتدادات طويلة من البحر كالأذرع
في اليابسة تمتد في الأرض بين جدران
المنحدرات الصخرية ، شكل (٦) . والأمثلة
لذلك كثيرة في النرويج وشيلي الجنوبية
وجنوب شرق ألاسكا وكولومبيا البريطانية .
وهو المعنى المقصود في كلمة الغب العربية .
وعليه فكلمة غب ممكن أن تقابل الكلمة
الأجنبية Fjord

وعندما تقصر هذه الأذرع البحرية
ولا تتغلغل كثيرا داخل اليابسة ويقل عمقها
فتسمى Ria كما ورد في قاموس المصطلحات
الجيولوجية . ونرى أنه من الممكن أن يقابلها
اللفظ العربي «غب ضحل» ومثلها الغبان الضحلة
المنتشرة على سواحل شبه جزيرة أيبيريا التي
نظل على المحيط الأطلنطي ، شكل (٧) .

(ج) مادة نعوت الوديان

في هذا الموضوع ذكر كتاب الإفصاح في فقه اللغة بند الأودية في الباب السادس عشر من الجزء الثاني حيث قسم الموضوع إلى : الوادى وأجزاؤه - منحرج الوادى - شاطئ الوادى - نعوت الأودية - مجارى الماء في الوادى . وعرف الوادى على أنه : كل منحرج بين الجبال والتلال والآكام . وهو أعظم مجارى السيل ، الجمع : أودية وأوداء ووديان . وادى الشيء يدى وديا : سال ، ومن ذلك سمي الوادى لسيلانه ..

وتقابل كلمة الوادى لفظ Valley في اللغة الإنجليزية ويقصد بها في كتب علوم الأرض نفس القصد المذكور في كتاب الإفصاح في فقه اللغة : وفي كتاب مبادئ الجيولوجيا الطبيعية في الحديث عن الأودية وعلاقتها بالأنهار أنها تتطور بمرور الماء فيها لتجرف فتات المواد الصخرية الذى ينحدر جوانب الوادى وقاعه ، فيؤدى إلى تعميقه واتساعه .

وورد اثنا عشر نعنا للأودية في المرجع العربى المذكور ببيانها كالاتى :

- ١ - الغال : الوادى الغامض فى الأرض ذو الشجر ، لأنه انغل فى الأرض أى دخل ، الجمع : غلان (ضم الغين وتشديد اللام) .
- ٢ - السليل : أوسع من الغال (السابق) نبت السلم ، وقيل مجرى الماء فى الوادى .
- ٣ - الرغيب هو من الأودية : الضخم الذى يأخذ كل ماء فلا يضيق عنه .

٤ - الزهيد : هو من الأودية : القليل الأخذ من الماء .

٥ - التزل (بكسر الزاى) أو الحشف (بكسر الشين) : هو من الأودية الذى يسيله من الماء القليل الهين ، لأنه غليظ صلب .

٦ - المسلنطع (ضم الميم وكسر الطاء) والزحلح (بفتح اللامين) : الوادى إذا لم يكن عميقاً .

٧ - الخضار (بضم الخاء) : واد خضار كثير الشجر ؟

٨ - الحرج (بفتح الحاء وسكون الراء) واد لا منفذ له .

٩ - الإفجيج (بسكون الفاء) : الوادى الضيق العميق .

١٠ - الكركور (بضم الكافين) : واد بعيد القعر يتكرر فيه الماء أى يتراد .

١١ - اللاخ أو اللاح : واد لاخ أولاح : ملتف المضائق ؟

١٢ - اللاخى : نلخى الشيء يلخى لخال : اعوج . واد لاخ : معوج .

وهنا نرى أنه وصف الأودية تبعاً لمدر الاتساع والعمق فذكر الغال أولاً باتساع محدود ، وسمى الوادى الأوسع من الغال باسم السليل ثم الأضخم اتساعاً فسماه الرغيب ، وجعل فيه مقياس الاتساع هى كمية الماء التى لا يضيق عنها مهما زادت ، أى أنه من الأودية التى تجرى فيها المياه ، وسمى مرحلتين أقل فأقل من الوديان التى تجرى فيها المياه الزهيد ثم التزل أو الحشف على الترتيب .

ثم ها هو يصف شكل الوادى فسماه الخرج حينما يكون مقفلاً لا منفذله ، وسماه لائح أو لائح عندما تلتف مضايقه ، شكل (١٠) ، ثم هو لانهى إذا ما اعوجج الوادى. ومن حيث احتواء الوادى على الخضرة والشجر ، ذكر نوعين من الأودية هما الغال والخضار .

ولم يذهب المرجع العربى مذهب التعميد فى اشتقاق المصطلحات ، بل استقاها بناء على صفة بارزة فى الموصوف تؤدى المعنى المطلوب ، فوصف الوادى حينما يأخذ القابل من الماء بالزهيد وهى من الزهد فى استيعاب الماء كناية عن سعته المحدودة الضيقة ، ثم الرغبة من الرغبة فى احتواء الماء مهما كان مقداره ، فوصفه بقوله إنه الضخم الذى يأخذ كل ماء فلا يضيق عنه . وفى كلمتى الزهيد والرغبة مقابلة بلاغية أصيلة فى المعنى .

وعندما أراد أن يصف الوادى بأنه كثير الشجر وفيه خضرة سماه الخضار، وهو اسم مشتق من صفة واضحة فى الوادى وهى الزرع . ولعل من مظاهر هذا النهج أنه اختار كلمة الكركور كنعت من نعوت الوادى ، حين يقول : « الكركور وادٍ بعيد القعر يتكرر فيه الماء » . وتكرر الماء إذا تراجع فى مسيله ، وكركرت الترجيلة اضطرب ماؤها فكان له صوت يشبه الكركرة ، وفى هذا إشارة إلى اضطراب الماء فى الوادى .

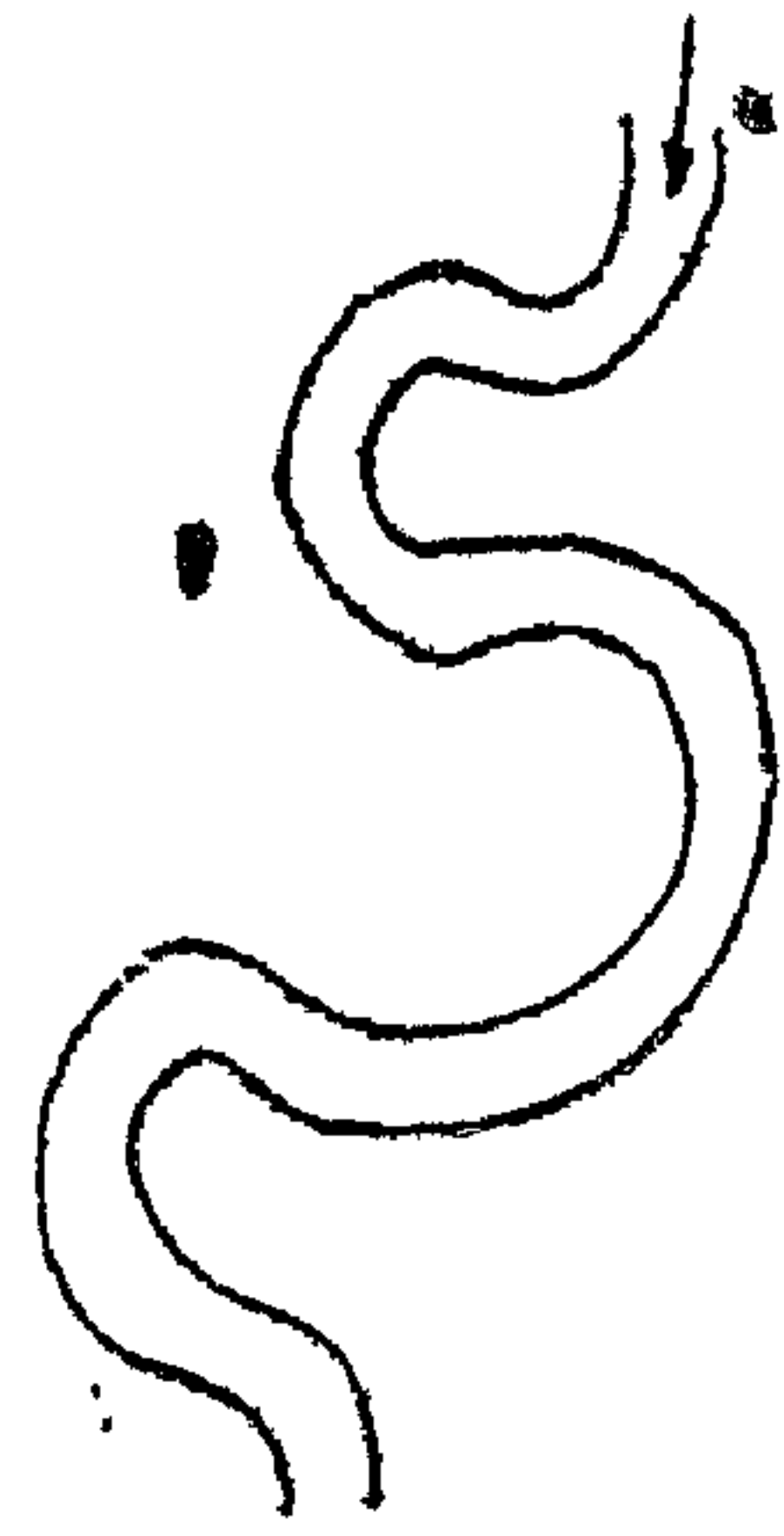
وفى مجال تطابق بعض الألفاظ العربية فى مادة نعوت الأودية مع مقابلها الأجنبية ،

نرى أن كلمة الإفجيج العربية أو الخسانق يقابلها المصطلح الأجنبى Gorge ، شكل (٨) . فهذا المصطلح الأجنبى يشير إلى أى وادٍ عميق ضيق ذى جوانب رأسية ، وفى كتاب المخصص لابن سيده (المتوفى سنة ٤٥٨ هـ - ١٠٨١ م) وجد أن الإفجيج هو الوادى الضيق العميق . وعليه فإن كلمة إفجيج هى المرادف العربى للمصطلح Gorge . هذا وقد ترجمت كلمة Gorge فى المعجم الجغرافى (١٩٧٤) على أنها خائق بنفس المصطلح المترجم لكلمة Ganyon . وكان اللغة العربية قاصرة عن التمييز بينهما . ويبدو جلياً أن كلمة إفجيج تؤدى المعنى المطلوب بدقة من كلمة Gorge .

وعن المصطلح الأجنبى Ganyon نرى أن كلمة كركور العربية تقابله لأن المعنى العلمى لهذا المصطلح هو : واد عميق ذو جوانب رأسية حفرت بواسطة نهر ، انظر شكل (٩) . وفى كتاب المخصص لابن سيده المذكور نجد أن كلمة الكركور معناها واد بعيد القعر . وفى قاموس المحيط : الكركور وادٍ بعيد القعر . وعلى هذا الأساس تكون كلمة الكركور هى أقرب ترجمة عربية الأصل لكلمة Ganyon ، وإذا كانت هذه الكلمة الأخيرة ترجمت فى المعجم الجغرافى على أنها خائق فإن كلمة كركور تؤدى المعنى بصورة أدق .

زايد محمد زايد

على السكرى



(أ) البنية

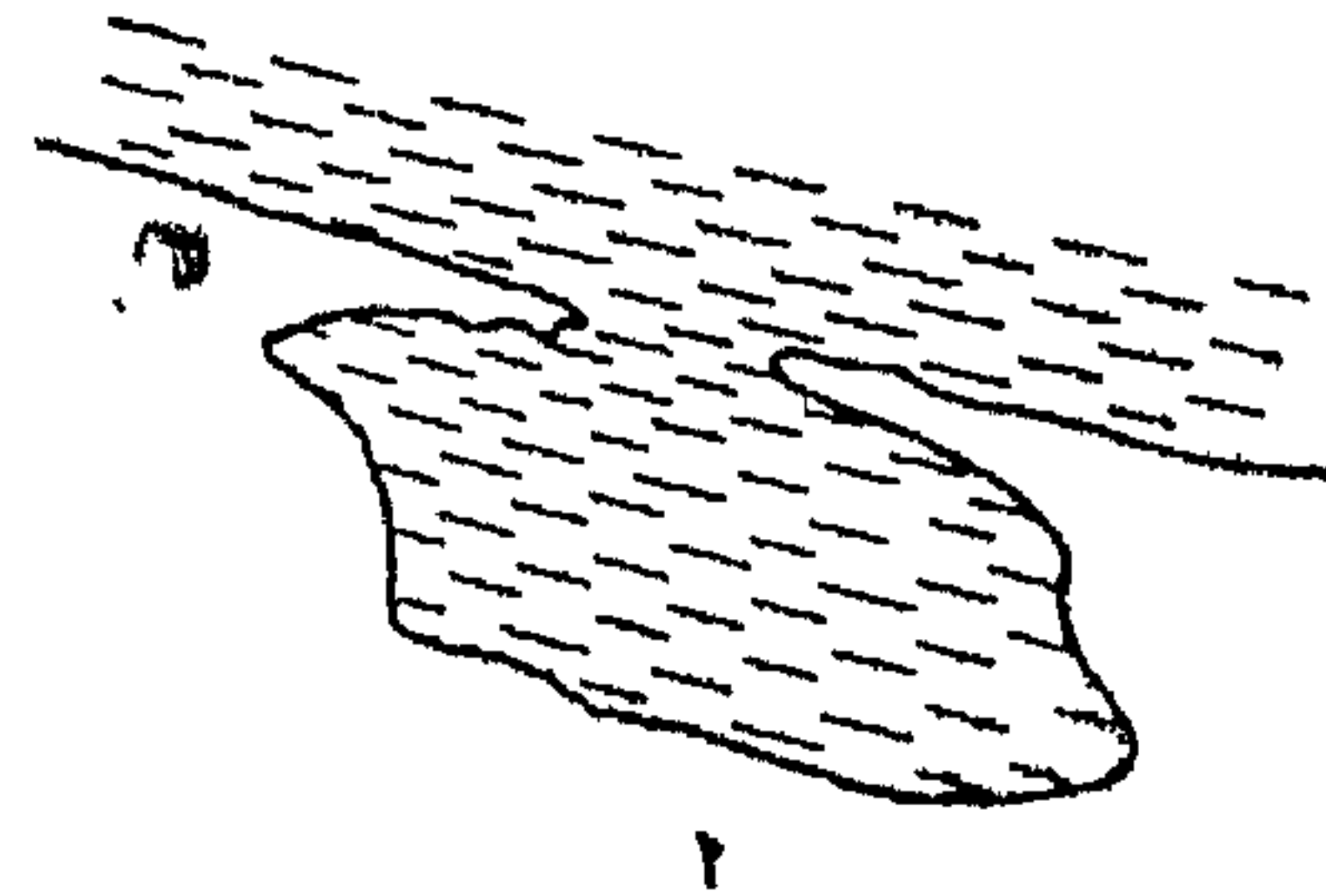
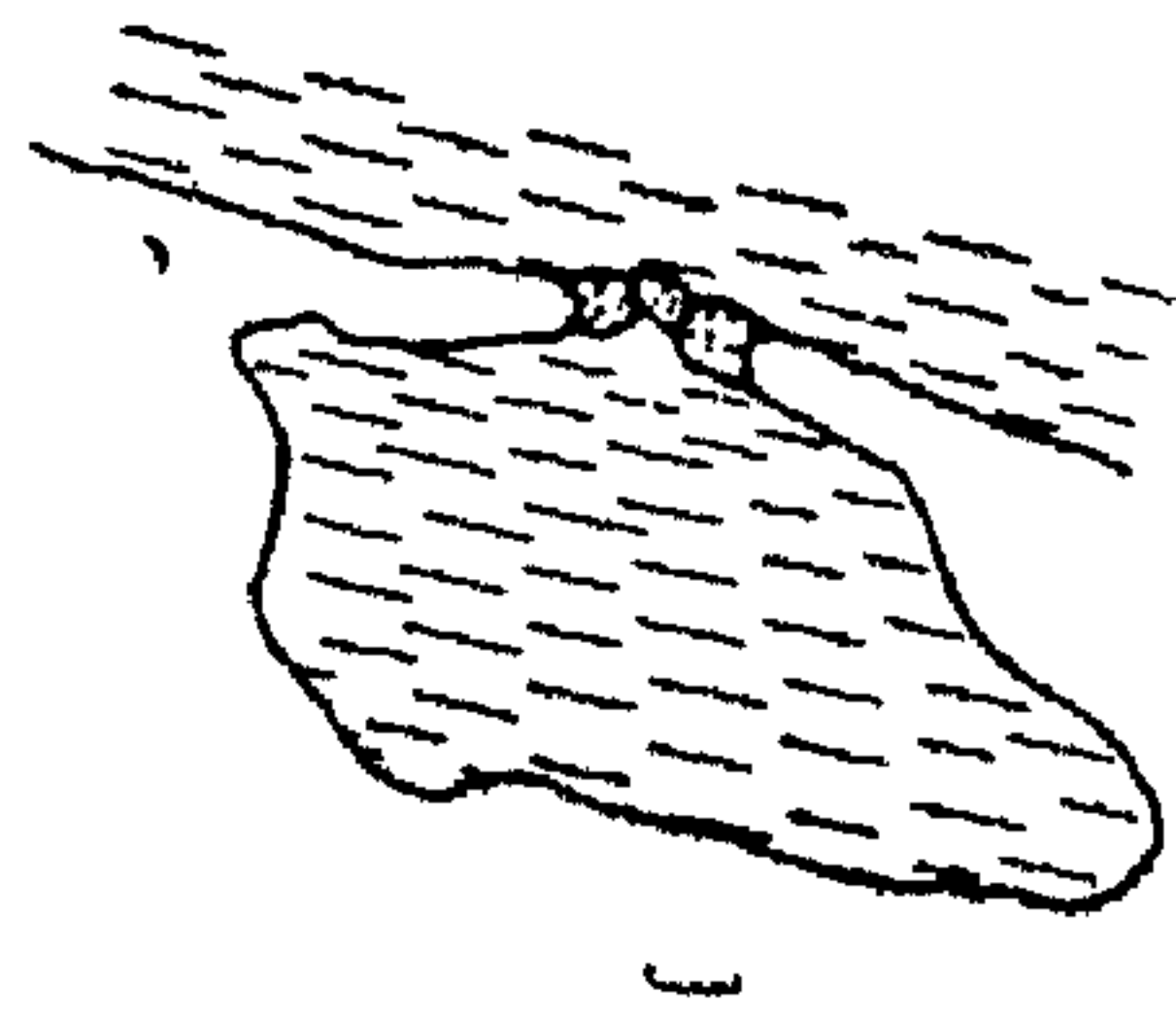


(ب) الصوح

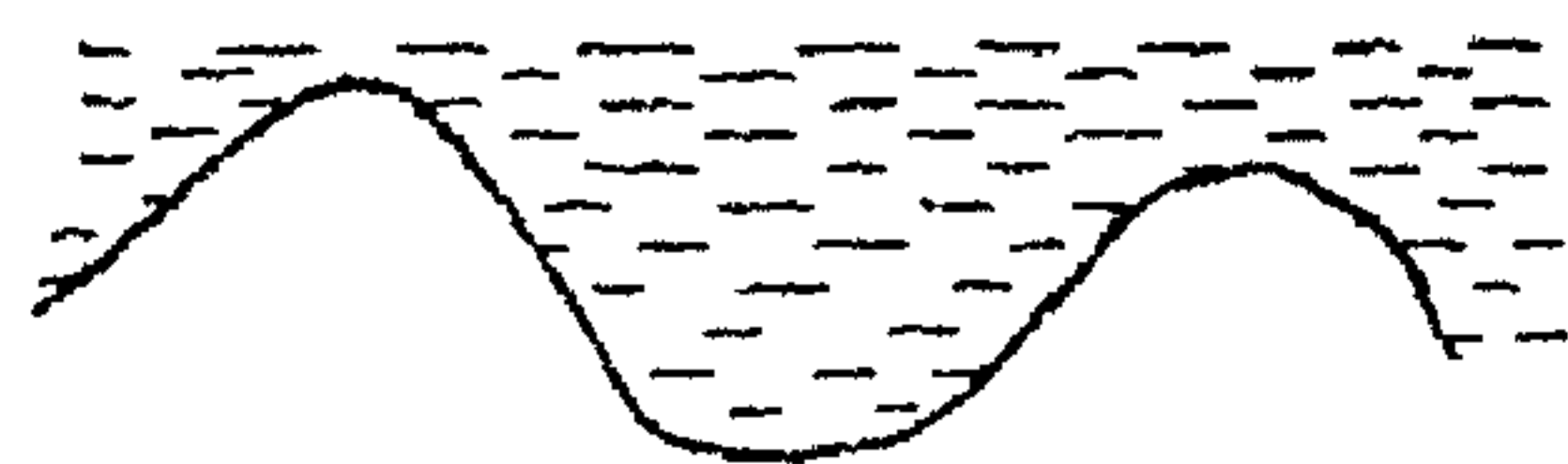


(ج) المنعطف
المعرج
الجرع

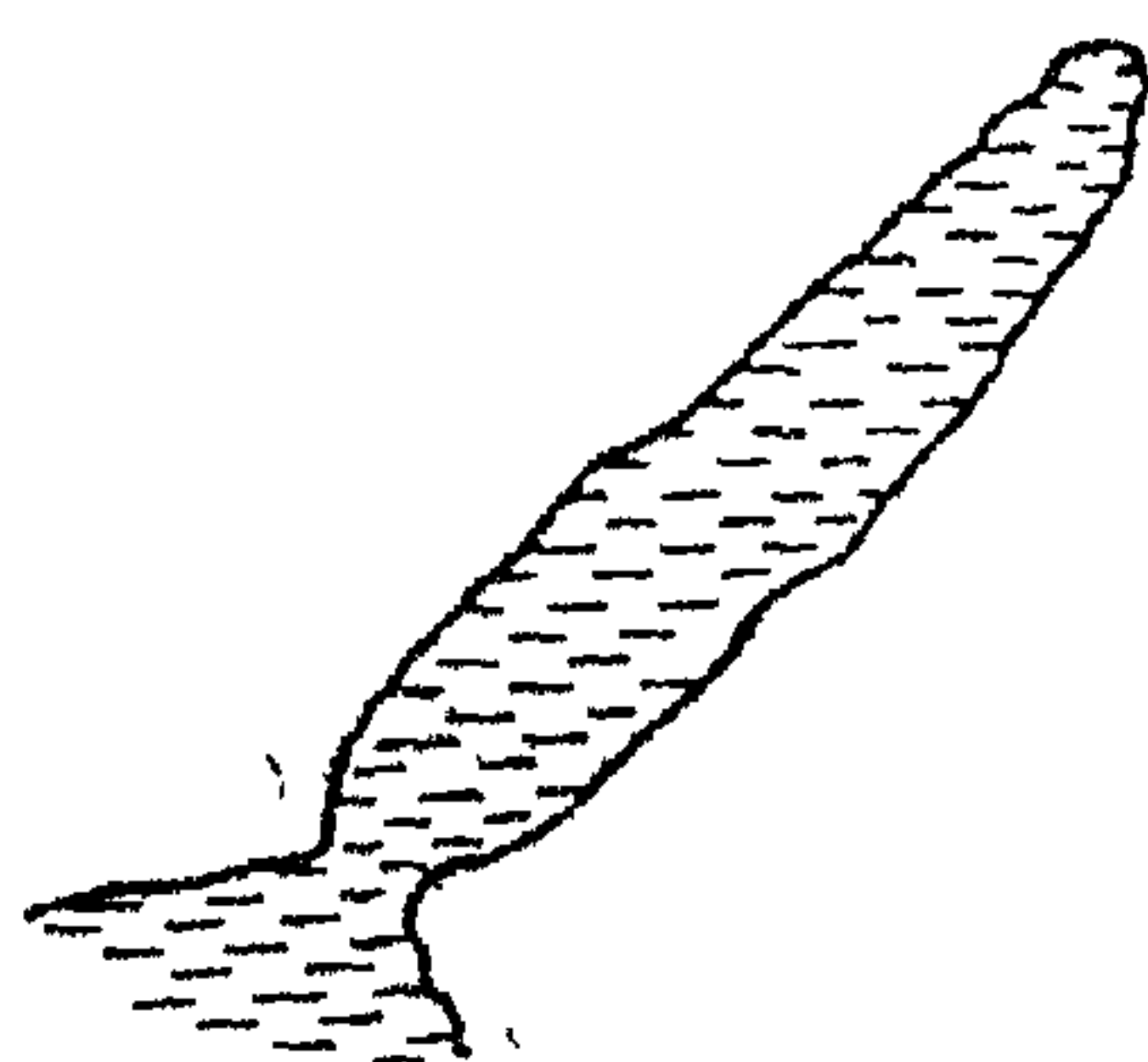
شكل (١) مراحل تكون المنعرجات بالوادي



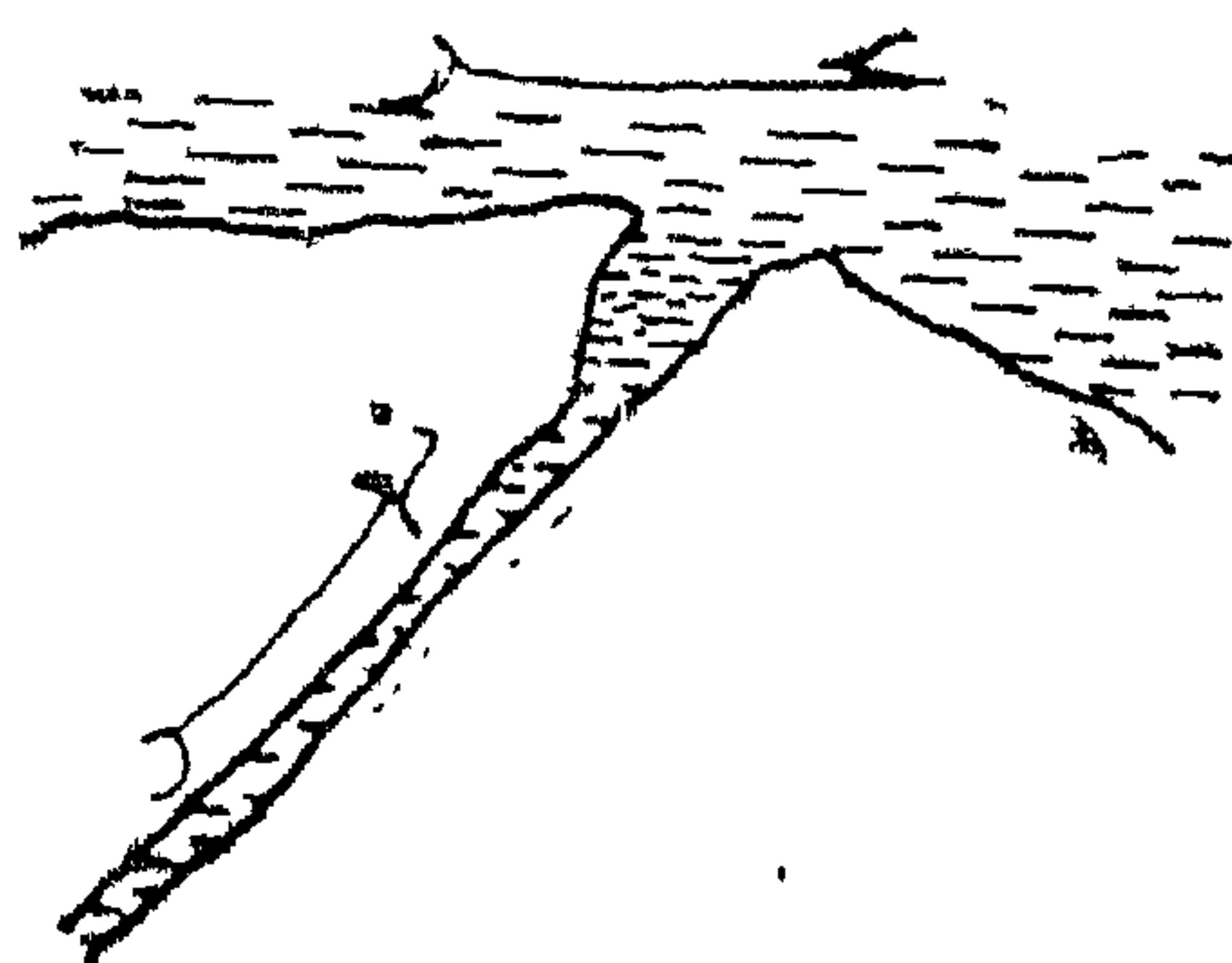
شكل (٢) تكوين العانة على مرحلتين



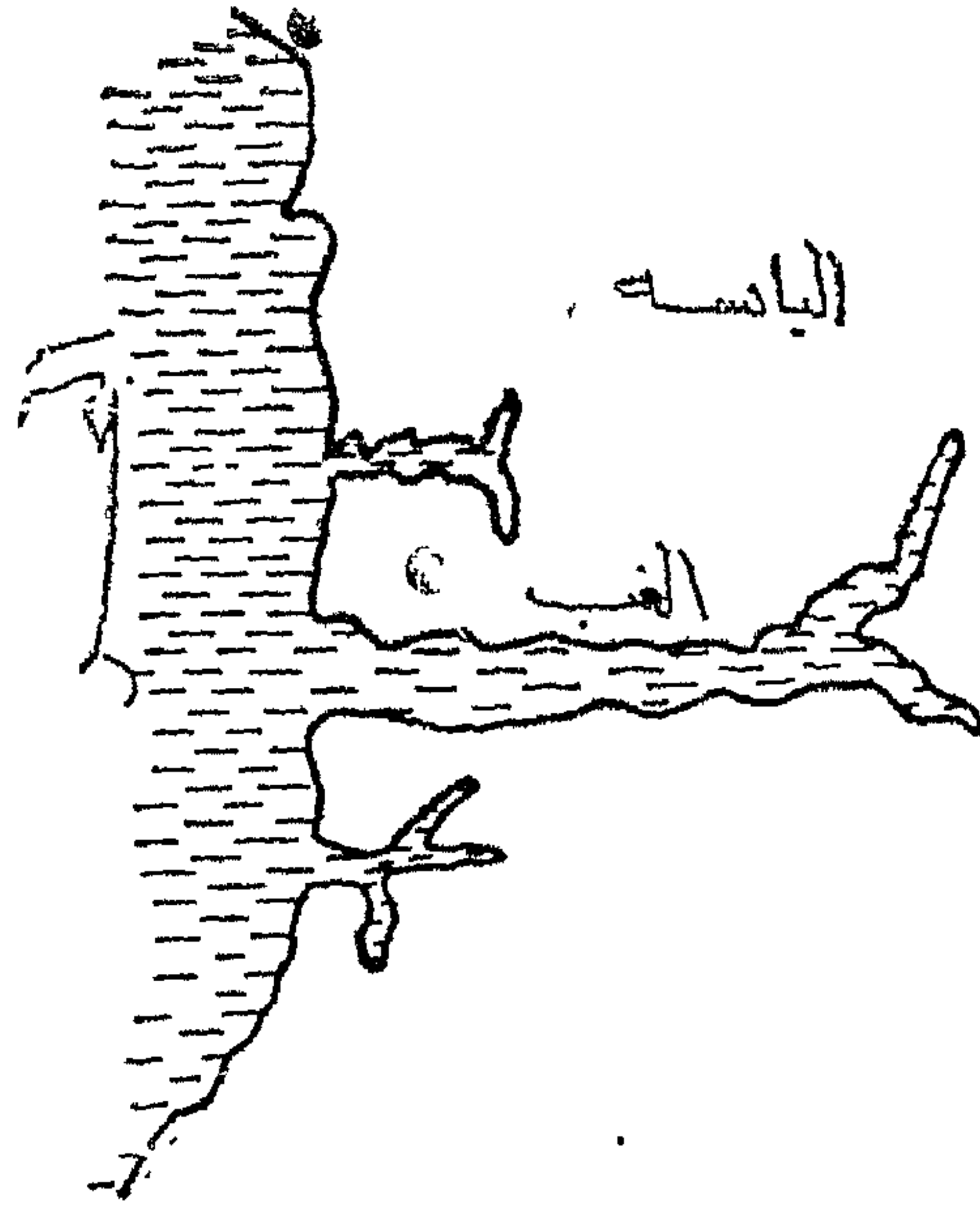
شكل (٣) الخليج



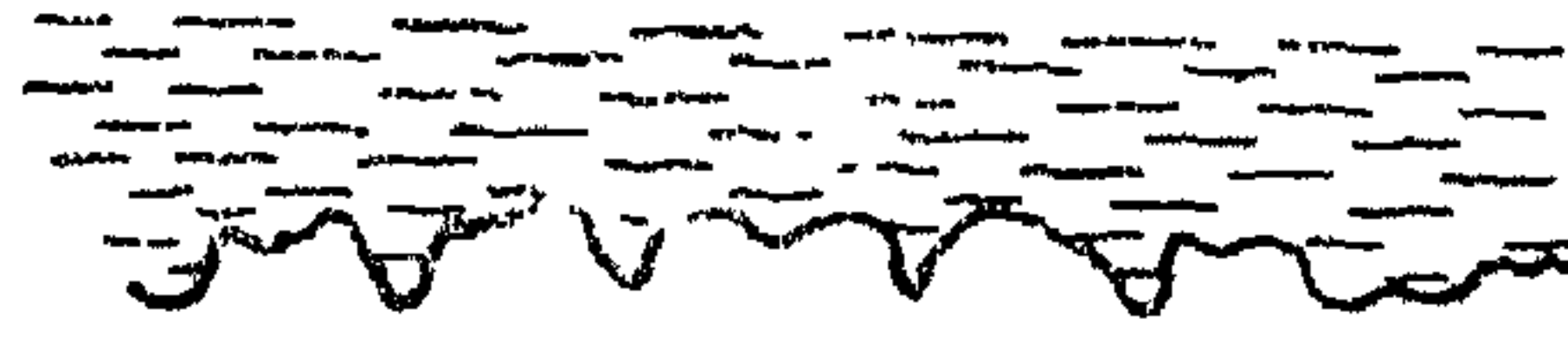
شكل (٤) الشرم



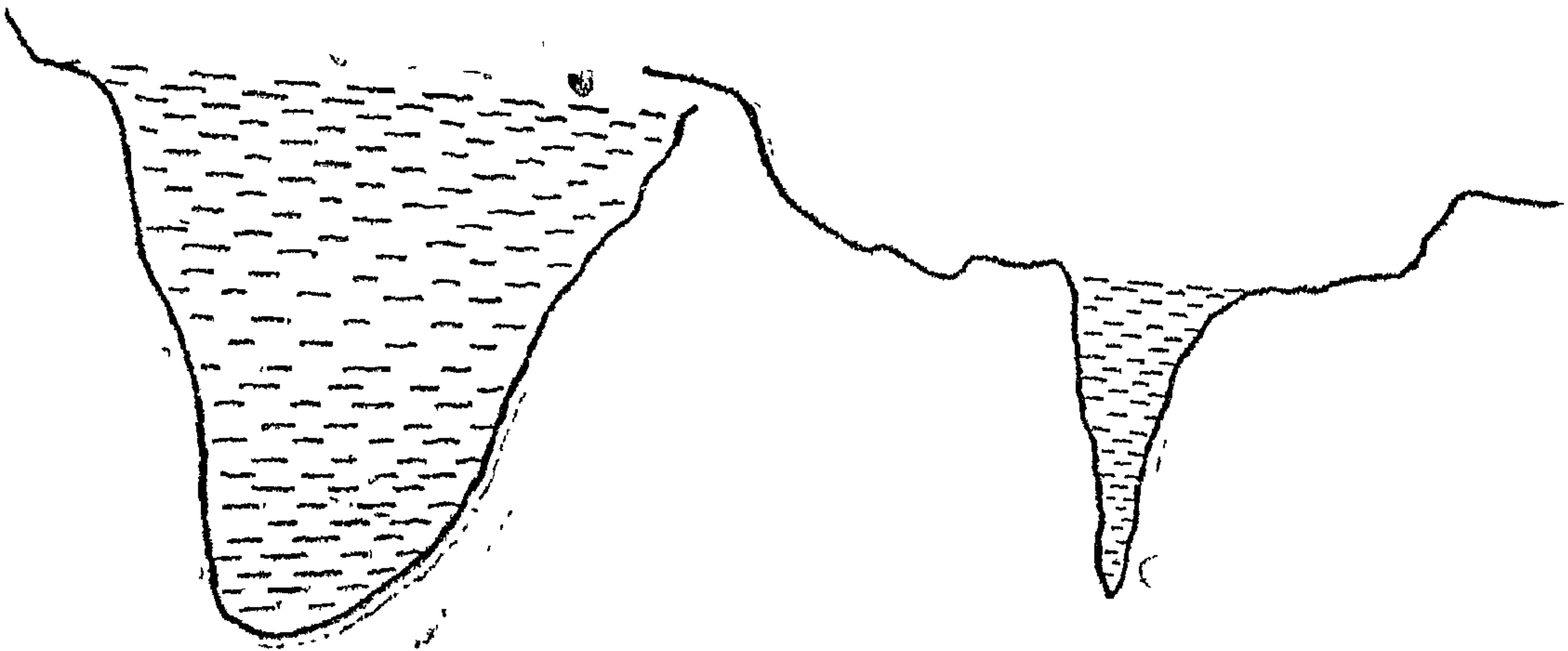
شكل (٥) الخور



شكل (٦) الغيب : لسان من الحجر يمتد كالذراع داخل البايعة

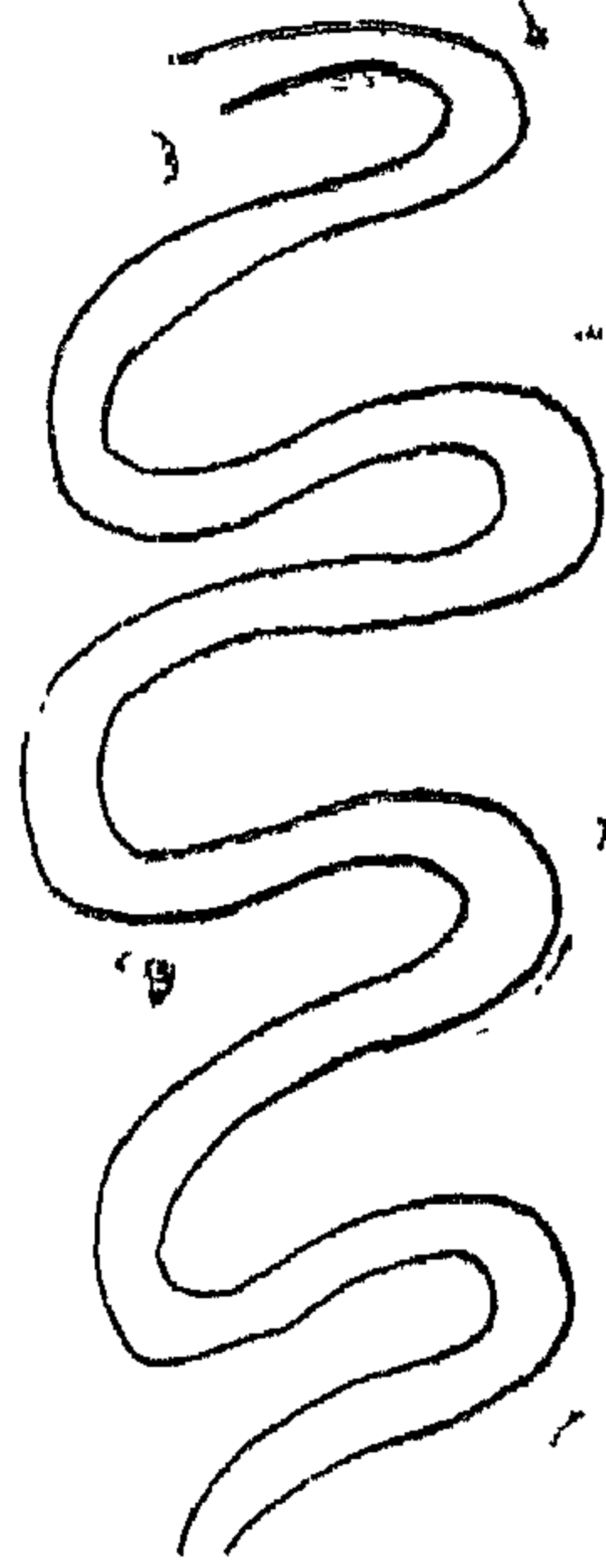


شكل (٧) الغيب : الضحل



شكل (٩) الكركور : واد بعيد القمر

شكل (٨) الإفجيج : واد ضيق عميق



شكل (١٠) واد، لاخ أى ملتف المنحنيين.